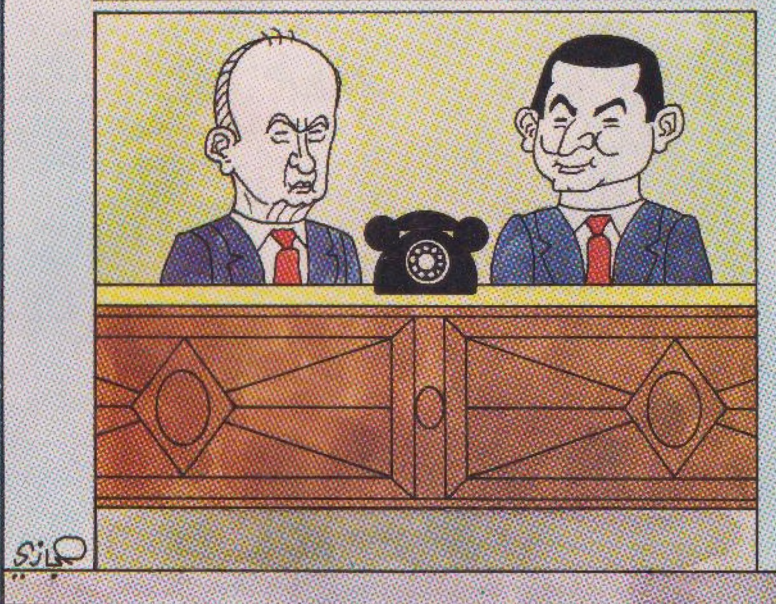


العدد التاسع والثلاثون/ مايو ١٩٩٣م/ ذو القعدة ١٤١٣هـ/ الثمن ١٥٠ قرشاً مصرى



على ابواب الولاية الثالثة:

انفجار مروع في الاسعار وكل شيء معروض للبيع

والدولة ايضا تتهم المفكرين بالإلحاد !!

محاولة لاغتيال تحالف الحزب الشيوعي والمؤتمر في جنوب افريقيا

قبضوا على الضحية وهرب الجناة من قضية إغماء الطالبات

قلق أمريكى من تدهور الأوضاع السياسية فى مصر

٦ وزراء داخلية فى عهد مبارك.. وسياسة أمنية واحدة!



ديمقراطية / عقلانية / اشتراكية

في هذا العدد

الجرى وراء الأحداث

هذا هو العدد الثاني الذي شاركنا في صياغته الزميل «**عبد الغفار شكر**» الذي إنضم الى مجلس المستشارين، فكسبت اليسار إضافة جديدة لها لون خاص وطعم متميز. وربما يرى البعض- وهذا صحيح- أن إنضمام **عبد الغفار شكر** الى مجلس المستشارين قد تآخر كثيرا. ولكن عذرنا أنه كان دائما معنا بكتاباته وأفكاره أيضا.

ويسهر عبد الغفار الان على أعداد ندوة عن «**كيف تخرج مصر من أزمتها الراهنة**»، نأمل أن يشارك فيها ممثلين لكافة تيارات المجتمع. وكنا نعدها لهذا العدد، ولكن الأحداث إضطرتنا الى تأجيلها، وأن نفسح الصفحات لعديد من الموضوعات العاجلة في مقدمتها، مشروع الاتفاق الجديد بين حكومة مصر وصندوق النقد، ونتائج مباحثات مبارك في واشنطون، ومعركة التكفير في جامعة القاهرة، وظاهرة إغماء الطالبات، واغتيال سكرتير الحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا، وعودة اليمين للحكم في فرنسا، وتعيين وزير جديد للداخلية، وغير ذلك من الموضوعات التي فرضتها الأحداث.

ورغم حرصنا على مواكبة الأحداث- بصرف النظر عن شهرية المجلة- فلم نستطيع أن نلحق بحدثين هامين.

الاول.. المحاولة الإجرامية لإغتيال **صفوت الشريف** وزير الأعلام والتي وقعت قبل ساعات من انتهاء تحرير هذا العدد.

الثاني.. الجولة التاسعة للمباحثات الثنائية بين العرب واسرائيل في واشنطون، والتي ظلت حتى اللحظة الأخيرة معلقة تنتظر قرارا عربيا موحدا.

كما إضطررنا الى تأجيل أربع موضوعات حول الفساد، والمرأة، ومناقشة لكتاب خالد محيي الدين «والآن أتكلم»، وملاحظات أعضاء رابطة قراء اليسار في المنصورة حول العدد الماضي.

ونأمل أن نكون نجحنا في تقديم وجبة صحفية متكاملة، تضيف جديد لقراء اليسار.

اليسار

رئيس التحرير:
حسين عبد الرازق
المشرف الفنى:
محمود الهندى
المستشارون:
ابراهيم بدراوى
د. رفعت السعيد
صلاح عيسى
د. عبد العظيم أنيس
عبد الغفار شكر
عبد الغنى ابو العينين
محمود أمين العالم
شارك فى التأسيس:
د. فؤاد مرسى

اليسار: منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر.

AL YASSAR 126 AL SUDAN st.
IMBABA GIZA A.R.E

الاشتراكات: لمدة سنة واحدة
مصر:
١٨ جنيها للأفراد ٤٥ جنيها للهيئات.
الوطن العربى: ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها.
العالم: ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها.

ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.

الادارة والتحرير: ١٢٦ شارع السودان - إمبابة- جيزة
رقم البريدى ١٢٤١١
ت: ٣٤٦٥٤١٦ فاكس: ٣٤٤٢٠١٣
FAX. 3442013 TEL 3465416

موقفنا

الحكم يدير ظهره للشعب.. مطلوب حركة احتجاجية واسعة

حسين عبد الرازق

منذ سنوات ينفذون ما يسمى بسياسة الاصلاح الاقتصادى أو «تحرير» الاقتصاد، أو مشروع الألف يوم.. الى أخر هذه التسميات الفارغة.

ومنذ سنوات تتأكد الآثار السلبية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لهذه السياسة. وترفع المعارضة- اليسارية خاصة- صوتها ضد هذه السياسات، وتقدم الأدلة المادية من خلال الواقع المعاش وتقارير البنك الدولى (معبود الحكام فى مصر) على فساد هذه السياسة واضرارها بالوطن والكادحين والفئات الوسطى.. بل والرأسمالية المنتجة غير التابعة، ولكن الحكم يتشبث بسياساته الفاشلة، ويتحدث ليل نهار عن نجاحه وتفوقه.

وفى الأسابيع الأخيرة، أقدم الحكم- فى عجلة أقرب الى الهرولة- على طرح عدد من مشاريع القطاع العام الرابحة- بل شديدة الربحية - للبيع بعد أن أصر «صندوق النقد» على هذا البيع «المستعجل»، كشرط أساسى لتوقيع الاتفاق الجديد بين الحكومة والصندوق اعتبارا من يونيه القادم، وبادرت قوى عديدة فى مقدمتها حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى، مرورا بالحزب الناصرى والحزب الشيوعى، وصولا الى حزب العمل

يتصرف الحكم فى الفترة الأخيرة على ضوء فكرة ثابتة تقول..«الكلاب تنبح.. والقافلة تسير» . وهى فكرة ستقوده والوطن كله الى كارثة محققة، خاصة وأن «القافلة» لاتسير وأن ذوى البصيرة من أبناء الوطن من كافة الطبقات والاتجاهات الذين يرفعون أصواتهم بالتحذير والتنبيه ومعارضة سياسات الحكم.. ليسوا كلابا ولاهم ينبحون، ولكن حكامنا الذين أخذتهم العزة بالإثم وختم الله على قلوبهم، لا يرون أبعد من مواطئ أقدامهم، وتغيب عن عقولهم وعيونهم الهاوية السحيقة التى يسرعون الخطى نحوها، ولايفكرون الا فى مصالحهم الصغيرة، هم والفئات الطبقية الجشعة الجاهلة التى يخدمونها، ويتسابقون لتنفيذ تعليمات البيت الأبيض وكسب رضاه ورضا صندوق النقد الدولى.

خالد محيى الدين



وعدد من كتاب الوفد وقياداته وقيادات الحزب الوطنى، برفض هذه الصفقة، البعض من حيث المبدأ، والجميع بما أحاط بعملية البيع من إهدار واضح لقيمة هذه الأصول ومن رشاوى وعمولات محتملة، وعودة لسيطرة الأجانب على ثروات الشعب المصرى، بما فى ذلك الاسرائيليين، والقاء بعمال جدد الى ساحة البطالة. وترجمت هذه المعارضة داخل مجلس الشعب بطلب مناقشة عاجل تقدم به «خالد محيى الدين» ووقف معه ٣٢ نائبا هم نواب التجمع والناصريون وعدد من المستقلين ونواب الحزب الوطنى الحاكم.

ولكن الحكم «المغشى عليه» تهرب- حتى الآن- بأساليب ملتوية من مناقشة هذا الموضوع الخطير، وواصل السير فى اجراءات البيع.

وزاد الطين بلة إقدام الحكم فى مشروع خطاب النوايا الجديد المقدم الى صندوق النقد على التعهد باتخاذ سلسلة من الاجراءات، ستؤدى -إن طبقت- الى استفحال الأزمة الاجتماعية والسياسية، والاضرار بمستوى معيشة الغالبية العظمى من المواطنين، وضرب الصناعة والزراعة المصرية، والتفريط القاتل فى ثروات الشعب المصرى ومصالحه.

فالحكم يتعهد بالسماح لكافة الشركات ومن كافة الجنسيات بالعمل فى مجال التجارة الخارجية وفى كافة أنواع السلع، وخفض الرسوم الجمركية على السلع المستوردة، وإخضاع السوق للمنافسة الحرة بين المنتج الوطنى والمنتجات المستوردة، وإعطاء الأولوية لرأس المال الأجنبى فى مختلف مجالات الاستثمار. ويتعهد أيضا بإلغاء ماتبقى من الدعم على السلع الغذائية (السكر والزيت والدقيق)، واطلاق أسعار هذه السلع الأساسية لتتحدد طبقا للسوق، ورفع سعر الطاقة ١٥٪ سنويا كحد أدنى، ومضاعفة أسعار استهلاك المياه ٣ مرات على الأقل خلال حوالى ٥ سنوات. واطلاق أسعار القطن وقصب السكر. وطرح ٣٠٠ شركة من شركات القطاع العام للبيع (أى كل شركاته تقريبا) وكذلك دراسة بيع السكك الحديدية والبريد والنقل العام والصرف الصحى والكهرباء والنقل الجوى..

باختصار بيع مصر.. بلا ثمن!!

ونفس المنهج والاسلوب الذى يؤكد أن الحكم كله- وليس الحكومة فقط- غائب عن الوعى تماما، ولايلقى بالا للمواطنين ولا الأحزاب ولا مجلس الشعب ولامجلس الشورى.. إتبع فى مواجهة قضية الارهاب.

فمن يقرأ التقرير الذى أصدرته الأمانة العامة لحزب التجمع فى ١١ يوليو ١٩٩٢ تحت عنوان «الارهاب والجماعات المتسترة بالدين» وسلسلة المقالات التى نشرت بالاهرام وجاوزت المائة حول نفس القضية، ثم التقرير الهام الذى أصدره مجلس الشورى حول الارهاب... و...و... والتى تتشارك جميعا فى أن مواجهة هذه الظاهرة المدمرة ليس بالأمن وحده، ولابممارسة العنف المضاد وخرق الدولة للقانون وحقوق الانسان، وإنما بمنهج متكامل يقوم على المواجهة الأمنية الجادة والواعية التى تحترم حقوق الانسان وتلتزم بالقانون، وعلى معالجة أسباب تصاعد الظاهرة وانتشارها، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، بما فى ذلك التعليم والإعلام وضرورة توفير تعدد حزبى حقيقى وحريات ديمقراطية حقيقية.. الخ..

من يقرأ هذه التقارير كلها، ثم يتابع التحرك الحكومى فى مواجهة الارهاب، لابد أن يصاب بصاعقة، فكل السياسات- بما فيها السياسات الأمنية تصب فى خانة واحدة.. هى خانة دعم الارهاب ومساندته عمليا..

والقائمة طويلة، تؤكد أن الانفصال بين الحكم والناس يتعمق يوما بعد يوم.. لافرق فى ذلك بين رئيس أو حكومة أو اعلام أو صحافة أو شرطة..

والصمت والقبول بمنطق «الكلاب تنبح والقافلة تسير»، أو الاكتفاء بتسجيل المواقف للتاريخ.. أصبح أمرا لايقل خطورة عن سياسات الحكم.. فالاحزاب والقوى الوطنية والديمقراطية مسئولة عن القيام بفعل يصحح المعادلة المقلوبة، ويلزم الحكم بالاستماع لنبض الجماهير ومطالبتها والاستجابة لها، أو بالانسحاب وترك السلطة لمن يحسن الاستماع وللناس ينتمى اليهم.

باختصار، مطلوب مواقف إحتجاجية متصاعدة، تستخدم كل الأساليب الديمقراطية التى يقرها الدستور.. بدءا من توزيع البيانات فى الشارع، واعتصام مجموعات فى الميادين العامة فى أوقات محددة، والانسحاب الاحتجاجى فى مجلس الشعب.. وصولا الى الاضراب والتظاهر والمسيرات السلمية.

و..

مطلوب الحركة قبل أن يضيع الوطن بيد حكامنا أو على أيدى الارهاب المتستر بالدين.

وزير الداخلية السادس هل لديه جديد..؟

أصدر الرئيس حسنى مبارك قرارا صباح الأحد ١٨ أبريل ١٩٩٣ بإعفاء (اللواء) محمد عبد الحليم موسى من منصبه كوزير للداخلية، وتعيين (اللواء) حسن الألفى (محافظ أسيوط) وزيرا للداخلية مكانه، ليكون سادس وزير للداخلية فى عهد الرئيس مبارك (النبوى- أبو باشا- رشدى- زكى بدر- موسى- الألفى).

وعلى غير العادة تطوع إثنان من رؤساء تحرير الصحف الحكومية بتقديم تفسير لقرار إقالة وزير الداخلية.

فكتب «سمير رجب» رئيس مجلس إدارة دار التحرير ورئيس تحرير صحيفة «مايو» التى يصدرها الحزب الوطنى «الحاكم» فى جريدة مايو يقول إن إقالة موسى جاءت «نتيجة بعض التجاوزات، وكان آخرها أنه أجرى من تلقاء نفسه إتصالات مع مايسمى لجنة الحكماء من دون إستشارة رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء» ونقلت عن مصدر مسئول «أن تصرف الوزير السابق فى خصوص إجراء إتصالات من جانبه يعد خروجا على مقتضيات العمل الوزارى ومنها إلتزام المسئولية الجماعية لأعضاء الوزارة» مشيرة الى أن رئيس الوزراء سبق أن سأل الوزير قبل أيام عن صحة ماتردد عن اتصالات بينه وبين الجماعات الاسلامية المتطرفة، فأنكر فى المرة الأولى، ثم عاد منذ يومين فأقر بأن أعضاء لجنة الوساطة جاءوا الى مكتبه من تلقاء أنفسهم. وقدمت «مايو» سببا إضافيا للإقالة منسوبا الى المصدر المسئول، وهو «عدم وجود استراتيجية أمنية واضحة للعمل الأمنى مما إنعكس على أداء أجهزة الشرطة فى بعض المحافظات».

وأكد هذا التفسير التصريح الذى نشر فى نفس اليوم (الاثنين ١٩ أبريل) فى كافة الصحف منسوبا الى رئيس الوزراء «د. عاطف صدقى» ، والذى نفى فيه بحسم حدوث أى إتصالات بين الحكومة ووزارة الداخلية من جهة، وعدد من المتطرفين المتهمين فى جرائم إرهابية من جهة أخرى مؤكدا أنه لاحوار مع المتطرفين.

فى نفس اليوم الذى نشر فيه «سمير رجب» هذا التفسير، وعلى صفحات الجمهورية التى تصدر عن دار التحرير (التى يرأس سمير جرب مجلس اداراتها) قدم «محفوظ الأنصارى» رئيس تحرير الجمهورية تفسيرا آخر، يخالف ماقالته «مايو» ، ويعترف بوجود قرار سياسى بالحوار مع الجماعات الارهابية ولكنه يتهم الوزير بارتكاب خطيئة كشف هذا الحوار أمام الرآى العام (بدون إذن طبعا). يقول الأنصارى.. «أنه حينما تقرر أن يفتح سبيل آخر مواز ومكمل للمواجهة وللعلاج وللتعامل مع الارهاب ولوقفه، وهو طريق الحوار والمشاركة.. إذ بالوزير نفسه «يكشف هذا الحوار» وعلى «أول ناصية».. فى حين أنه كان من الواجب عليه التأنى والصبر وعدم كشف العملية وهى فى بدايتها حتى وإن كانوا قد خانوا العهد أو خالفوا الوعد.. لأن مثل هذه الأمور تحتاج الى السرية ، وتحتاج الى نفس طويل ،وتحتاج أكثر الى الشجاعة والى الثقة فى النفس. فمكانة الدولة وهيبتها تتعزز وتتدعم وتقوى حينما تقرر الدولة أن تتحاور ، وهى التى تملك أسباب القوة وتملك أدواتها».

وقدم الانصارى سببا أخر لرحيل «عبد الحليم موسى» وهو أن قبضته كانت أشد وأعنف من سابقه (زكى بدر) ، وربما تجاوزت الحدود فى بعض الأحيان.. وربما خرج التنفيذ على أيدى الضباط والجنود الى أبعد من المطلوب بكثير.. لكن المؤكد أنه حتى بالتجاوز فى التنفيذ فى بعض الأحيان، أو فى كثيرها..)لم يستطع اللواء ورجاله أن يقضوا على الارهاب..»

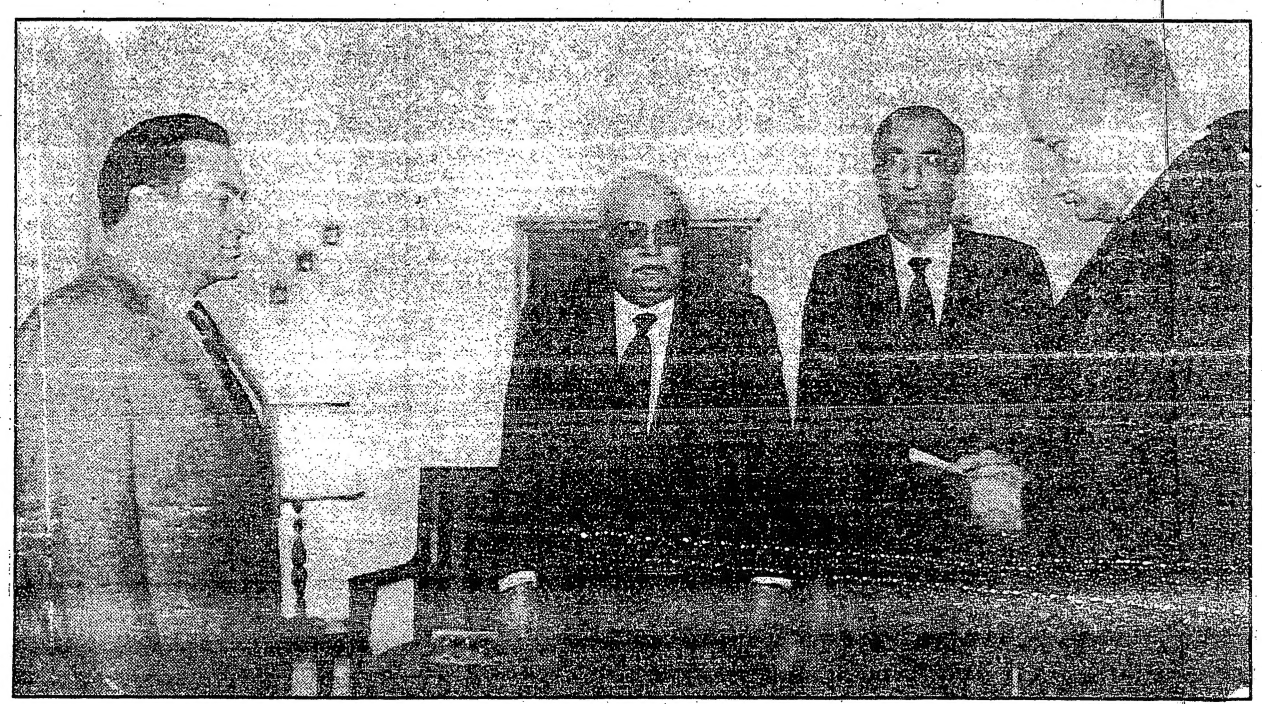
ويبدو تفسير محفوظ الأنصارى لموضوع الإتصالات مع «لجنة الحكماء» أقرب الى المنطق. فليست هذه هى المرة الأولى التى تجرى فيها وزارة الداخلية (فى عهودها المختلفة) إتصالات مباشرة أو عبر وسطاء مع بعض قيادات هذه الجماعات داخل السجون وخارجها. ولم يكن الاتصال الأخير سرا. فقد أعلنه الوزير بنفسه يوم الثلاثاء ١٣ أبريل (قبل إقالته بخمسة أيام) أمام المؤتمر السنوى الثالث الذى تعقده اللجنة الاقتصادية بالحزب الوطنى، ونشر فى كافة الصحف صباح الأربعاء ١٤ أبريل. وبالتالى يستحيل تصديق ماقالته مايو من أن رئيس الوزراء لم يعرف بهذا الأمر من الوزير إلا عند سؤاله للمرة الثانية قبل إقالته بيومين فقط.

وسواء صدقنا ماقاله سمير رجب أقرب رؤساء تحرير الصحف الى الرئيس، أو محفوظ الانصارى ، فمن الواضح أن هذه الاتصالات (إخفاءها ، أو إعلانها) والسياسة الأمنية ، كانت وراء هذه الإقالة وفى هذا الوقت بالذات

فما هى حقيقة هذه الاتصالات أو الوساطة؟

فى ضوء ما نشر سواء على لسان الوزير السابق أو على لسان بعض أعضاء لجنة الحكماء، أو «الفئة الثالثة للاصلاح بين الشرطة والجماعات» والتى يتراوح عددهم بين ١١ و٢٠ شخصا من رجال الدين والعلماء والمفكرين من بينهم «الشيخ متولى الشعراوى -د. محمد عماره -فهمى هويدى- د. سليم العوا- د. عبد الصبور شاهين (بطل فضيحة تكفير أستاذ جامعى فى جامعة القاهرة) أحمد فراج- الشيخ محمد الغزالى- د.

حسن الألفى يحلف اليمين



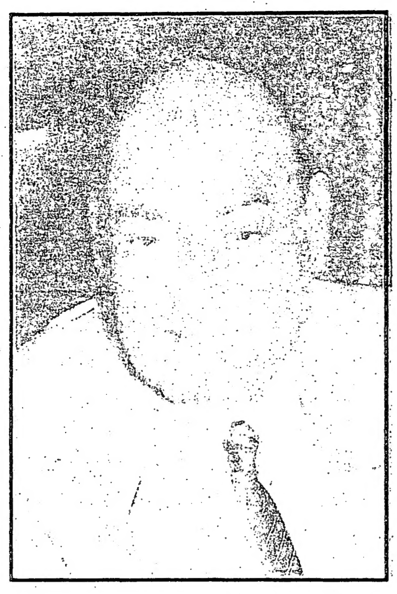
عبد الرشيد صقر- د. أحمد شلبي- د. عبد الحي الفرماوي- د. سيد رزق الطويل (رئيس جمعية دعوة الحق) - **الشيخ عبد اللطيف مشتهري** (رئيس الجمعية الشرعية) - **الشيخ عبد الرحمن يعقوب**.. فقد التقت هذه المجموعة مع **اللواء عبد الحليم موسى** يوم ٤ أبريل ١٩٩٣ بمكتبه بالوزارة واستمر اللقاء نحو أربع ساعات ونصف: وعرضت المجموعة وساطتها مطالبة بتمكينها من الاتصال بالمعتقلين في السجون وقيادات الجماعات الاسلامية وطرحت أفكارا لتهدئة الموقف ووقف نزيف الدم .من بينها.. الافراج الفوري عن جميع المعتقلين الذين ليسوا على ذمة قضايا، ووقف عمليات التصفية الجسدية ضد أعضاء الجماعة، ووقف الاعتقالات العشوائية ووقف الحملات العشوائية ضد الجماعات في أجهزة الاعلام، ووقف التعذيب، وإلغاء المحاكمات العسكرية.

وخلال اللقاء هاجم **د. عبد الصبور شاهين** اليساريين والعلمانيين، واتهمهم بمهاجمة الاسلام(!) . وادعى **فهمي هويدي** أن الحكومة أقرت بوجود حزب لليساريين والشيوعيين ولهم صحيفة .. «فيما تكممون أفواه الاسلاميين وتصادرون مجلتهم ولاتسمحون بحزب لهم».

وترددت أنباء بعد هذا اللقاء عن اجتماعات أو اتصالات أخرى تمت مع **اللواء مصطفى عبد القادر** مساعد وزير الداخلية لمباحث أمن الدولة ، وعن اجتماع سيعقد بين **الرئيس حسني مبارك** و**الشيخ متولي الشعراوي** لبحث قضية الوساطة . وكان وزير الداخلية قد طلب مهلة عقب لقائه مع لجنة الوساطة لعرض الأمر على القيادات السياسية.

وبعيدا عن التفاصيل الكثيرة التي قيلت ونشرت هنا أو هناك، فقد تركت هذه الاتصالات والطريقة التي تمت بها وإذاعتها والنشر عنها عقب اغتيال مساعد مدير أمن أسيوط، وماطرح خلالها من اقتراحات وآراء إنطباعات خطيرة لدى قطاعات أساسية في الرأي العام.

* **فقد بدت الدولة في حالة ضعف مزر في مواجهة الارهاب**، خاصة وأن الجماعة الاسلامية ردت على هذه المحاولة بإصدار بيان قالت فيه أن المواجهة بينها وبين النظام المصري «حتمية شرعية يفرضها الشرع ثم الواقع الذي رسم ملامحه النظام بالضرب



محمد عبد الحليم موسى

في السرداب» وقالت تحت عنوان «**بيان الجماعة الاسلامية حول مسألة الوساطة بيننا وبين الدولة العلمانية في مصر**»..«أن النظام المصري يسوغ للناس قانونا وضعيا غير قانون السماء المحكم، وأننا على رغم آثار التعذيب وآلام السجن والاعتقال ودماء شهدائنا الاطهار، على رغم أن كل ذلك يشكل جرحا غائرا في

الشيخ متولي الشعراوي



صدورنا يطالبنا دوما بالقصاص والوفاء، الا أن إسلامنا أغلى وأعز علينا من كل ذلك..»

* وحملت بعض الأسماء المشاركة في لجنة الوساطة مخاوف لدى كثيرين أن الدولة تستسلم للمتطرفين الذين **يفسرون الدين على نفس أرضية الجماعات الإرهابية ويمارس بعضهم جريمة تكفير المخالفين** في الرأي، وإرهابهم والدعوة -مباشرة أو بشكل غير مباشر- بنفيهم من الحياة وقتلهم.

* أيضا ظهر من خلال الحوار أن الوساطة تدور على أساس الوصول الى **اتفاق بين هذه الجماعات والحكومة في مواجهة قوى الدولة المدنية ، قوى العلمانية واليسار**. رغم أن هذه الحكومة متهمة بأنها علمانية(!).

إن الجميع يتفقون مع حقن الدماء ووقف الارهاب وعنف الدولة، وضد التعذيب والتصفية الجسدية والاعتقال العشوائي والمحاكمات العسكرية. بل لعل اليسار والعلمانيين هم الأعلى صوتا والأكثر استقامة في قضايا حقوق الانسان. وهي مطالب دائمة وأساسية بصرف النظر عن وجود حوار أووساطة. ولكن هذا شئ واستسلام الدولة للارهاب وتشجيعه شئ آخر، وهي الصورة التي برزت خلال هذه الاتصالات.

وبقى السؤال الأهم.. **هل يحمل تغيير وزير الداخلية جديدا؟**

إن تصريحات الوزير الجديد، وتجربته في أسيوط، وقبلها في الادارة العامة لمباحث الأموال العامة ومانشر عن خلافة مع مدير أمن أسيوط حول ممارساته الأمنية في المحافظة، بالاضافة الى الموقف المعلن حاليا من عملية الوساطة.. كل هذا يجعل من الصعب معرفة الجديد في السياسة الأمنية. **خاصة وأن تجربة مايقرب من ١٢ عاما من حكم الرئيس حسني مبارك و٦ من وزراء الداخلية، تقول أن السياسة الأمنية لاتتغير جوهريا بتغير الوزراء (رغم وجود دور للفرد). كما أن مواجهة الارهاب ليس قضية أمنية فقط.**

ومرة أخرى فالبرنامج الصحيح والكامل للتصدي للارهاب أمنيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا موجود ومعروف. ولكنه يحتاج **لقرار سياسي يغير من ممارسات الحكم.. أو سلطة جديدة تماما.**

قلق أمريكى من تدهور الأوضاع السياسية والأمنية فى مصر

إتصالات مع أحزاب معارضة تصلح كبديل مقبول عند الطوارئ!

تلقى الرئيس حسنى مبارك تقريرا سياسا هاما قبل رحلته إلى الولايات المتحدة ولقائه مع كلينتون. أشار التقرير إلى أن الادارة الأمريكية تشعر بقلق بالغ من تدهور الأوضاع السياسية والأمنية فى مصر، فى ضوء صعود القوى الاسلامية بشقيها.. السياسى، والذى يعتمد العنف والارهاب. وعبرت الادارة الأمريكية عن خوفها من وصول هؤلاء الى الحكم فى مصر، ليصبح وادى النيل (السودان ومصر) بأكمله منطلقا «للتطرف والعنف الاسلامى، يشكل مع ايران كماشة على منطقة الخليج والمشرق العربى وإسرائيل». واقترحت الادارة الأمريكية- طبقا لهذا التقرير- ضرورة وضع خطة للتحرك تأخذ فى اعتبارها كافة الاحتمالات، **فى حالة فشل حكومة الرئيس مبارك فى السيطرة على الوضع وإحكام قبضتها الأمنية والسياسية خلال فترة لاتتجاوز عام ونصف أو عامين على الأكثر.** ويضيف التقرير أن من ضمن الاقتراحات المطروحة على الإدارة الأمريكية، إعادة النظر فى أسس العلاقات الأمريكية المصرية الحالية فى ضوء الثقل الخاص لمصر فى السياسة الأمريكية الحالية، وتكثيف الاتصالات ببعض أحزاب وقوى المعارضة المصرية التى يمكن أن تشكل بديلا مقبولا فى حاله عجز ادارة الرئيس مبارك عن مواجهة خطر قوى التيار الاسلامى الأصولى.

أشار التقرير أيضا إلى أن الحكومة الاسرائيلية تشعر بقلق بالغ من «الجماعات الاسلامية المتطرفة» فى مصر، وتحذر من وصولهم الى مراكز إتخاذ القرار باعتبار أن ذلك سيؤدى إلى الغاء إتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المصرية الاسرائيلية، وسيدعم تيار «حماس» فى الأراضى (الفلسطينية) المحتلة، وسينسف عملية السلام فى الشرق الأوسط كله.



حسنى مبارك

«الأخوان» يدينون الإرهاب.. والعدوان على الشرطة والسياح

اهتمت الدوائر السياسية والحزبية بالبيان الذى أصدره مكتب الارشاد عن موقف الأخوان المسلمين من الأرهاب. أكد الاخوان فى بيانهم على خمسه قضايا هامه.

* قيام أجهزة الدولة- طوال المشرين عاما الماضية- بالتحقيق والتحرى بشتى الوسائل ومختلف الأساليب، «فلم تنته إلا لتأكيد عدم وجود أى صلة قريبة أو بعيدة للاخوان المسلمين بأى عمل من أعمال العنف، أو أى حادث من حوادث العدوان على الغير، أو بأى سلوك من شأنه تعكير أمن الأفراد أو المجتمع بأى صورة من الصور.

* أنهم أكدوا مرارا وتكرارا استنكارهم لحوادث العنف بكل شدة وتقرير «عدم مشروعيتها دينا وخلقا وإنسانية».

* «ضرورة توسيع دائرة الحرية والديمقراطية حتى تبرز الى الوجود جماعات وأحزاب من صميم الإرادة الشعبية، تعبر تعبيرا صادقا عن مختلف التيارات الفكرية السائدة بين شعبنا وفى وطننا».. و«توفير ضمانات تكفل سلامة العملية الانتخابية وأن تكون حرة ونزيهة معبرة تعبيرا صادقا عن إرادة الأمة، يتمخض عنها مجلس نيابى يعبر تعبيرا صحيحا وحقيقيا عن الارادة الشعبية، ومصالح مختلف طوائف وأبناء هذا الوطن، ويكون له من الاختصاصات مايجعله قادرا على أداء مهمته وفرض الارادة الشعبية ومحاربة الفساد، ومحاسبة المسئولين، وبالتالى القدرة على إحداث التغيير السلمى والتطوير السياسى والإقتصادى والاجتماعى فى نطاق مصالح الأمة..»

* رفض الإخوان لكل «المزاعم التى قيلت بشأن الأجانب عامة والسائحين منهم خاصة». و«إعلان «عقيدتنا الفقهية: إن الأجنبى- سائحا كان أم غير سائح- هو مستأمن لايجوز لفرد أو جماعة المساس بحرمة نفسه وماله واطمئنانه».

حامد أبو النصر



مرة أخرى

الشرطة زورت انتخابات ١٩٩٠

محكمة النقض برئاسة المستشار السيد خلف محمد نائب رئيس محكمة النقض التى إنتهت فى تقريرها حول الطعن الذى تقدم به عادل عيد وعلى محروس غانم مرشحى الفئات والعمال بدائرة باب شرقى بالاسكندرية ببطلان إنتخابات الاعادة بالدائرة والتى تمت يوم ٦ ديسمبر ١٩٩٠. وقد بنت محكمة النقض حكمها. على وقوع تزوير وتلاعب فى النتيجة شاركت فيه الشرطة وأشخاص مجهولو الهوية وأحد رجال القضاء.

وقد ختم المستشار السيد خلف محمد نائب رئيس محكمة النقض تقريره الذى يقع فى ١٤ صفحة قائلا...» وحيث أنه يبين من جماع ماتقدم أن عملية الادلاء بالاصوات فى إنتخابات الاعادة بدائرة باب شرقى بالاسكندرية قد حدث بها بعض التجاوزات المتمثلة فى تدخل بعض رجال الشرطة وبعض الأشخاص مجهولى الهوية وقيامهم بالاستيلاء على بطاقات إبداء الرأى فى بعض اللجان الفرعية والتأشير عليها ووضعوها بالصناديق عنوة وذلك على النحو المبين بالمذكرة المقدمة من الاستاذ المستشار **ناجى حسن محمود القاضى** والتى ضمنها أن اللجنة رقم ٣٨ الفرعية كانت محلا لهذه الواقعة إضافة إلى بعض اللجان الأخرى، وهذا الأمر كان من أسباب إجماع رؤساء اللجان الفرعية ورئيس اللجنة العامة على استبعاد صناديق اللجان أرقام (٢٩، ٣٨، ٣٩، ٦، ٧، ٥٨، ٦٤، ٧٠) من عملية الفرز لما حدث بها من تزوير وشابها من عبث، وما أثبته رئيس اللجنة العامة فى محضر أعمال اللجنة من أن رئيس اللجنة الفرعية رقم ٣ أبلغه بمذكرة حضور بعض الأشخاص الى اللجنة واستيلائهم على أوراق الانتخاب بالقوة ووضعوا علامات عليها ثم وضعوها فى صندوق الانتخابات وأن رئيس اللجنة الفرعية رقم ٦ تقدم إليه بمذكرة ضمنها تعدى بعض الأشخاص عليه وقيامهم بتزوير بعض بطاقات إبداء الرأى بالقوة، كما أن عملية فرز الأصوات لم تسلم هى الأخرى من القصور والاخلال بحق المرشحين فى تحقيق إعتراضهم على مسألة عدم ختم صناديق الانتخابات وإمكانية العبث بها، وفرز الأصوات على نحو يبعث على الشك فى صحتها، وآية ذلك أن الاستاذ ابراهيم **مصطفى اليقطين** رئيس المحكمة ورئيس اللجنة العامة قرر أن المرشحين **عادل عيد وعلى محروس غانم** أبلغاه أن صناديق اللجان أرقام (١٨، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٥) وعددها تسعة عشر صندوقا قد وردت الى لجنة الفرز دون تحريز القفل الخاص بكل منها، وأنه تأكد من صحة هذه الواقعة، وأنه لو كان الأمر بيده لكان قد قام بإجراء مطابقة بطاقات إبداء الرأى الموجودة فى كل صندوق على كشوف أسماء من أبدوا الرأى فى كل لجنة من اللجان السابق الإشارة اليها واستبعاد مايثبت التلاعب فيه، الا أن المستشار عزت مزيد الذى تدخل فى عملية الفرز- على خلاف تكليفه بالاشراف على حضور القضاة ورؤساء اللجان العامة والفرعية- طلب منه الإكتفاء بإثبات إعتراضه السابق فقط وهو ماحال دون التحقق من صحة الاصوات الموجودة فى تلك الصناديق، مما يعد إخلالا جوهريا بحق المرشحين فى تحقيق طلبهما الجوهرى المتمثل فى عدم سلامة تحريز الصناديق الخاصة بتسع عشرة لجنة انتخابية، وعدم صحة البطاقات الانتخابية بها ومدى مالحقها من عبث، والذى كان من الممكن إن صح أن يتغير به وجهة الرأى فى نتيجة الانتخابات. كما ترتب أيضا على ذلك التداخل فى عملية الفرز عدم الاستجابة الى طلب المرشحين سالفى الذكر بأن يتم فرز أصوات كل صندوق على حدة حتى يمكنهما متابعة عملية الفرز، وهو ماكان متجها اليه رئيس اللجنة العامة، الأمر الذى يشوب أعمال لجنة الفرز بالبطلان بهذه الدائرة. لذلك نرى بطلان إنتخابات الاعادة بدائرة باب شرقى الاسكندرية».

ومن المعرف أن تزوير الانتخابات فى هذه الدائرة لحساب مرشحى الحزب الوطنى «فاروق رخا وأبو الوفا العمدة».

وكانت الاسكندرية قد شهدت فى إنتخابات مجلس الشعب (نوفمبر/ ديسمبر ١٩٩٠) تزويرا واسعا مخططا فى عديد من الدوائر وخاصة كرموز وسيدى جابر والمنتزة والرمل ومحرم بك وباب شرقى والعطارين واللبان، مع التركيز بصفة أخص على أسقاط ٣ من رموز المعارضة «أبو العز الحريرى- عادل عيد- كمال أحمد» (راجع اليسار العدد ١١- يناير ١٩٩١)

وقرر عادل عيد رفع قضية تعويض أمام القضاء- بصرف النظر عن قرار اللجنة التشريعية فى مجلس الشعب- ضد وزارة الداخلية والحزب الوطنى، وضد المستشار **عزت مزيد عوض** وكيل التفتيش القضائى مطالبا بأن يدفع التعويض من ماله الخاص حيث أن ما قام به لايدخل فى إطار عمله بوزارة العدل ولم يكن إسمه واردا ضمن رؤساء اللجان العامة لانتخابات مجلس الشعب الذى صدر قرار وزارى بهم ونشر فى الوقائع المصرية بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٩٠.

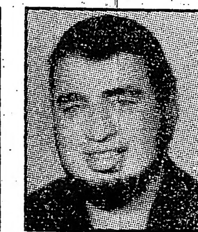
---

* التأكيد على ماسبق أن أعلنوه من أن «القاء القنابل والمتفجرات والعدوان على ضباط وجنود الشرطة ورجال الأمن والشخصيات العامة، ومايتصل بذلك من إصابة جمهور قد يتصادف وجوده.. كل ذلك هو إجرام فى إجرام، ونفى وعدوان من أشد وأفظع أنواع العدوان. وهذه الأمور لاتقرها شريعتنا الغراء، كما لاتقبلها أية أخلاق.

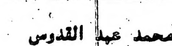
أشار الاخوان المسلمون فى بيانهم الى بيان المرشد العام، السابق اصداره فى ١٥ ديسمبر ١٩٩٢ ضد الأرهاب.

من المعروف أن هناك آراء متباينة داخل الحكم وفى الأحزاب المدنية حول الأخوان المسلمين وموقعهم من الجماعات التى تمارس الارهاب، وهل يسمح لهم بتكوين حزب سياسى ينطلق من أرضية دينية ويقبل بالتعددية وتداول السلطة، وتطبيق مبادئ الشريعة فى قوانين وضعية.. أم أنهم حزب دينى لايسمح بقيامه.

فوجئ **محمد عبد القدوس** عضو مجلس نقابة الصحفيين والحاصل على أعلى الأصوات للمرة الثالثة فى انتخابات نقابة







محمد عبد القدوس — ابراهيم نافع

الصحفيين بمنعة يوم ١٥ أبريل الماضى من دخول مؤسسة الأهرام بتعليمات من ابراهيم نافع نقيب الصحفيين ورئيس المؤسسة. كان نافع قد اتصل تليفونيا بعضو مجلس النقابة وأبلغة غضبة متهما عبد القدوس بتحريض الصحفيين على المطالبة بزيادة مرتباتهم طبقا لما وعد به النقيب خلال ترشيحه، بزيادة أجر الصحفى بمبلغ ٣٧٫٥ جنيها زيادة للحد الأدنى للأجر و٣٠ جنيها بدل تدريب ، والذى تراجع النقيب بعد انتخابه عن الشق الأول منه الخاص بزيادة الحد الأدنى. هدد النقيب عضو المجلس باستبعاده من رئاسة لجنة الحريات بالنقابة. اعتصم عبد القدوس عند منعه من دخول المؤسسة لمدة ربع ساعة أمام المصعد ليبلغ الصحفيين بأسباب منعه.

المهندسون يستنكرون تدخل الأمن

استنكر المجلس الأعلى لنقابة المهندسين فى اجتماعه خلال أبريل الماضى، قيام رجال الأمن بحجز السيارات والأتوبيسات الخاصة بنقل المهندسين لحضور الجمعية العمومية العادية الأخيرة لنقابتهم، وسحب رخص السائقين وتهديد الشركات التى شاركت فى نقل المهندسين بالاغلاق اذا قاموا بذلك مرة أخرى. أعد المجلس خطابات بوقائع تدخلات الأمن فى العمل النقابى أرسلها الى رئيس الوزراء ووزيرى الداخلية والأشغال العامة والموارد المائية.

احتج الهستدروت، فتأجل المؤتمر الدولى لعمال البناء

قرر الاتحاد الدولى الحر لعمال البناء تأجيل مؤتمر نقابات البناء بدول حوض البحر الأبيض المتوسط، والذى كان مقررا عقدة بالقاهرة من ١٣-١٥ أبريل ١٩٩٣، الى العام القادم. برر الاتحاد قرار التأجيل فى رسالته لنقابة عمال البناء فى مصر (النقابة المضيفة) بأنه يرجع لأسباب فنية. وعلمت «اليسار» أن سبب التأجيل هو احتجاج الهستدروت (اتحاد العمال الاسرائيلى) عضو الاتحاد الدولى لدى الاتحاد على موافقة رئيسه أولف أسب على مشاركة وفد نقابى فلسطينى فى المؤتمر. كانت النقابة العامة المصرية قد أجرت اتصالات مع رئيس الاتحاد الدولى وأقنعته بمشاركة وفد فلسطين، وتمت اتصالات مع اتحاد عمال فلسطين (فرع القاهرة) لترتيب حضور هذا الوفد. كان المؤتمر سيناقش الحقوق النقابية فى دول البحر المتوسط وقضية الخصخصة.

خير العرب.. لغير العرب

انتقد كل من محمود عبد العزيز رئيس الاتحادين العربى والمصرى للبنوك، وصالح قلية الأمين العام للاتحاد العربى للعاملين بالبنوك، هجرة فوائض المال العربى واستثماره خارج البلدان العربية. خاصة وأن المصارف العربية- كما يقول محمود عبد العزيز- **تتعرض لهجمة دولية شرسة لم يسبق لها مثيل.** وحذر صالح قلية من المخططات الأمريكية الغربية لاستنزاف الفوائض العربية ودعا لعودة الأموال المهاجرة لاستثمارها فى البلدان العربية. جاء ذلك فى افتتاح **ندوة تنمية الكوادر المصرفية** التى عقدت بالقاهرة يومى ١٤/ ١٥ أبريل الماضى ونظمها **الاتحاد العربى للمصارف والنقابة العامة للعاملين بالبنوك.** وتحدث فى الافتتاح **عاصم عبد الحق** وزير العمل المصرى فأشار الى أن الدول العربية تدفع سنويا **١٨ مليار جنيه لعمالة من ١٠١ جنسية** أى أن خير العرب- حسب تعبيره- يذهب لغير العرب.

اضعاف النقابات يخدم الارهاب

دعا بيان أصدره المركز المصرى للدراسات والحقوق النقابية قبل أسبوعين، جميع النقابات الى رفض التعديلات المقترحة من الاتحاد العام لنقابات العمال على قانون النقابات العمالية. وطرح مشروع التعديلات للنقاش العام فى الصحف وعقد جلسات استماع بشأنه فى مجلس الشعب حتى يمكن الوصول الى تعديلات جادة تساعد المنظمات النقابية على القيام بدورها فى مواجهة النفوذ المتزايد لجمعيات رجال الأعمال وفى ظل الحريات الواسعة التى يتمتع بها رأس المال فى مصر. قال البيان انه ليس فى مصلحة أحد أن تظل المنظمات النقابية للعمال ضعيفة الا أولئك الذين يريدون افساح الطريق للارهاب.

يذكر أن التعديلات المقترحة من الاتحاد العام لقانون النقابات العمالية تستهدف تكريس البيروقراطية داخل التنظيم النقابى ، واستمرار القيادات الحالية فى المستويات العليا للاتحاد مدى الحياة باعطائها حق التواجد دون الرجوع للقواعد العمالية من خلال صناديق الانتخاب اذا أمضوا دورتين فى مجلس ادارة النقابة العامة. كما تستهدف افساح الطريق أمام المديرين الذين يملكون سلطة توقيع الجزاء للتواجد فى مجالس ادارات المنظمات العمالية. وتلغى الجمعيات العمومية للمنظمات النقابية القاعدية، وتنهى تماما أى دور لنقابات المصنع والمنشأة.

وتكرس كل السلطات فى أيدى النقابات العامة. وتجاهلت التعديلات وجود أكثر من ٢٠ مادة فى القانون الحالى تسمح لوزارة العمل بالتدخل فى الشئون النقابية، والمادة ٧٠ التى تسمح بحل أى منظمة نقابية اذا قامت بأى عمل احتجاجى ولو بالقول أو الاشارة ليتقض طائفة رغم أن جوهر العمل النقابى هو الدفاع عن مصالح طبقة فى مواجهة أصحاب الأعمال.

يهمسون

** رفض حزب التجمع خلال الاتصالات التى سبقت إصدار بيان الأحزاب والمنظمات والشخصيات ضد الأرهاب تكوين جبهة وطنية ، وأصر على العمل المشترك ضد الارهاب. وأكد ممثلو الحزب رفضهم أيضا للمشاركة فى أى حكومة إئتلافية مع الحزب الوطنى، وهو الاقتراح الذى طرحه حزب الوفد. فسر قادة حزب التجمع موقفهم، بأنهم يرفضون الجبهة والحكومة الائتلافية ،لأنهم يرفضون السياسات الاقتصادية والاجتماعية والأمنية للحزب الوطنى وحكومته ، ولايقبلون المشاركة فى تحمل مسئوليتها بأى صورة من الصور. وأن العمل المشترك ضد الارهاب وفى الحدود التى يتفق عليها كافة الفرقاء، وها لايقيد حرية الحزب فى طرح برنامجه الكامل لمقاومة الارهاب، شئ والجبهة الوطنية والحكومة الائتلافية شئ آخر.

❄ ❄ ❄

** تولى مؤخرا عبد المنعم سليم جبارة أحد قيادات الاخوان المسلمين رئاسة تحرير صحيفة الأسرة العربية. كان الاخوان يبحثون عن رخصة لصحيفة تنطق باسمهم بعد اغلاق الصحف التى كانوا يصدرونها كالدعوة والاعتصام واللواء الأسلامى.

❄ ❄ ❄

** جيمس ويلزى مدير المخابرات المركزية الأمريكية (سى. أى. إى) الذى وصل الى القاهرة مساء الأحد ١١ أبريل فى زيارة سرية لم يعلن عنها الا صباح الأربعاء ١٤ أبريل بعد مغادرته للأراضى المصرية.. ركز اتصالاته على تبادل المعلومات مع أجهزة الأمن السياسى فى مصر وتكثيف التعاون الأمنى بين والولايات المتحدة حول مكافحة الارهاب فى المنطقة.

ومناقشة المعلومات التى قدمتها الادارة المصرية حول الدور الايرانى فى تشجيع ودعم الارهاب

تأتى هذه الزيارة فى ضوء الاتفاق الذى تم خلال زيارة الرئيس مبارك لواشنطون للتنسيق بين الحكومتين فى مكافحة الارهاب (الاصولى) فى المنطقة!!

تشير بعض المصادر الصحفية أن الولايات المتحدة تعهدت بتقديم معلومات للحكومة المصرية حول «المصريين الافغان» الذين شاركوا مع «المجاهدين» فى الحرب ضد الحكومة الأفغانية السابقة بزعامة بابراك كارمل ود. نجيب الله والتى كان يؤيدها السوفييت. والمعروف أن هؤلاء ينتمون للجماعات الاسلامية فى مصر وسافروا الى بيشاور بباكستان بدعم من الحكومة المصرية، وتلقوا تدريبهم العسكرى على يد المخابرات المركزية الأمريكية، وتقاضوا مرتباتهم منها.

المصادر الأمريكية أكدت أن جيمس ويلزى اجتمع مع الرئيس مبارك خلال الزيارة!!

❄ ❄ ❄

* * أحد خبراء الحرب الكيماوية يجرى أبحاث حول ظاهرة الاغماء الجماعى التى أصابت الفتيات فى العديد من المحافظات المصرية الشهر الماضى. يبحث الخبير افتراض أن يكون ذلك ناتجا عن الأسمدة الكيماوية المستوردة من أسرائيل والتى أدت إلى آثار عضوية على الأغذية، وعلى الأمهات- خاصة فى المناطق الريفية- انتقلت منهن الى الفتيات.

❄ ❄ ❄

** أحد قيادات حزب الوفد استقال من الحزب ليتولى رئاسة حزب مصر الفتاة فى اطار حل وسط لحسم الخلافات داخل الحزب الأخير توصلت اليه الأطراف المعنية.

❄ ❄ ❄

** كشف هيئة الرقابة الادارية خلال الفترة من أول يوليو عام ٩١ الى نهاية يونيو عام ١٩٩٢ عددا من جرائم المال العام بلغت ٢٧ جريمة جنائية للاستيلاء وتسهيل الاستيلاء على المال العام، و٢٧ قضية رشوة، و١٧ حالة اضرار غير عمدى بالمال العام، و١٢ قضية كسب غير مشروع.

وقامت الهيئة بـ ١٢٣٣ حالة تحرى عن مرشحين لشغل وظائف بقطاع الاعمال ، طبقا لطلب قيادات القطاع، وهذا العدد يساوى ٣٠٪ من اجمالى مانفذته الهيئة من تحريات خلال العام المنصرم. يذكر أن الهيئة تقوم بالتحرى عن المرشحين لمناصب قيادية فى الحكومة والحكم المحلى وان رأيها استشارى فى هذا الصدد. وذكرت معلومات من مجلس الوزراء أن- المسئولين التنفيذيين قاموا باحالة ١٩٪ من الموضوعات التى نفذتها هيئة الرقابة الى النيابات المختصة، بمعرفتهم.

❄ ❄ ❄

** دعا استاذ علم اجتماع معروف - حصل مؤخرا على جائزة نقطية هامة- الى العودة الى نظام «الكاترباند» (الفرقة الرابعة) والذى كان متبعا فى تأديب القرى فى الثلاثينيات من هذا القرن. النظام يعتمد على فرق الهجانة بالكرابيج السودانى لتبييت الناس من المغرب. وقال د. الساعاتى، أمام المجالس القومية المتخصصة فى جلسة منتصف الشهر الماضى، أن هذا هو أفضل نظام لمعاملة القرى التى تفرز أو تأوى الارهابيين!!

وقد دارت مناقشات هامة فى الجلسة تكشف منها قيام الداخلية بجرائم مروعة حيال الابرياء فى بعض نواحى الصعيد، منها عمليات تصفية جسدية وتعذيب للسيدات. وذكر احد المتحدثين، وهو يعمل فى حقل العلوم الاجتماعية أيضا أن الطريقة غير القانونية وغير الانسانية ، التى تتبع فى الصعيد حيال الارهاب، ستؤدى الى خلق ثارات لانهاية لها وحذر المتحدث من سوء الاداء الشرطى، وقال أن القضاء على الارهاب، بهذا الشكل، سيحتاج وقتا لايقل عن عشر سنوات.

❄ ❄ ❄

** مباحث أمن الدولة استدعت د. عمر عبد الكافى عدة مرات خلال الشهر الماضى. د. عمر يعمل استاذا بمركز البحوث الزراعية ، وله جمهور كبير من المريدين، من بينهم عدد من الفنانات «التائبات»!

كل شئ فى مصر معروض للبيع..

وانفجار مروع فى الاسعار

* الغاء الدعم وبطاقات التموين عام ١٩٩٤.
* أطلاق أسعار «رغيف العيش» والزيت والسكر.
* ارتفاع سنوى فى أسعار البنزين والكهرباء والغاز.
* مضاعفة أسعار المياه ثلاث مرات على الأقل

محمود الخضرى

ينتهى العمل باتفاق الحكومه وصندوق النقد والبنك الدولى، مع نهاية شهر مايو الحالى، ليسرى أول يونيو الاتفاق الجديد الذى توصلت إليه مفاوضات الحكومه مع خبراء المؤسستين الدوليتين خلال الأيام الأخيرة، وتم وضع الإطار العام له، ولمرحلة ماتسميه الحكومه بالاصلاح الإقتصادى، وتحرير آليات الإقتصاد القومي.

- وتشير المعلومات أن المرحلة المقبله تستهدف أساساً توسيع قاعدة القطاع الخاص فى كافة مجالات الانتاج والخدمات والهيئات الاقتصادية. وطرح خطة مبدئية لإدخال القطاع الخاص كشريك ومساهم ومستثمر فى مجالات الخدمات المباشرة وغير المباشرة، كبديل لدور الدولة فى تلك المجالات. وتقدرالمصادر الإقتصادية أن المرحلة القادمة من خطط الحكومه ستشهد دخول مجالات كان من الصعب الإقتراب منها خاصة بعد الهدوء الذى ساد مراحل التحرير الاقتصادى السابقة، رغم ماسادها من بعض التراجع المؤقت وليس التخلى عن تنفيذ السياسات المرسومه والمحدده سلفاً، خاصة فى مجال تحرير الاسعار والخصخصة.

القطاع الخاص يسيطر على ٧٥٪ من خطة الدولة خلال ٤ سنوات

طرح ٣٠٠ شركة مملوكة للدولة للبيع...!!

الحكومة تؤكد للبنك الدولى أنها تدرس بيع..

السكك الحديدية- البريد- النقل العام- شركات

الكهرباء والصرف الصحى والمياة- شركة مصر للطيران..

للقطاع الخاص

قضايا أساسيه

تؤكد المعلومات أن خمس قضايا أساسيه كانت محور بحث ومناقشات بين الحكومه وخبراء الصندوق برئاسة بول شابرييه خلال شهر أبريل المنتهى وهي.

* **إلغاء القيود علي تحرير التجارة الخارجية، بالعمل والسماح لكل الشركات من كافة الجنسيات فى مجالات التجارة الخارجية**، وإلغاء كافة القوائم، وقد طالب صندوق النقد بالدخول الفورى فى التحرير بالكامل للتجارة الخارجية دفعة واحدة، والسماح للشركات الأجنبية بممارسة أنشطتها فى هذا المجال بالتساوى مع الشركات المحلية. بينما ترى الحكومه إتخاذ خطوات تدريجية فى تحرير التجارة الخارجية، والتحفظ فى الوقت الحالى على السماح للشركات الأجنبية بالتعامل فى الاستيراد والتصدير والتجارة بكل أنواعها.

و إستمرار عمل مشروعات المناطق الحرة لحين خلق الظروف والمناخ المناسب.

د. عاطف عبيد



* وثانى القضايا التى كانت محل نقاش بين الصندوق والحكومه، وضع نظام جديد للرسوم الجمركية، خلال المرحلة الثانية من برنامج التحرير الاقتصادى، وقد طالب الصندوق **بتخفيض الرسوم الجمركيه على السلع المستورده، وإخضاع السوق للعرض والطلب، والمنافسة الحرة بين المنتج المستورد والمحلى.** وكان الموقف الحكومى يرى أن هناك عوامل وضغوط إقتصادية واجتماعية تستلزم ضرورة إتباع أسلوب الحماية بالرسوم الجمركيه للانتاج المحلى، وهذا يتطلب إتباع رسوم تدريجيه بجدول محدد لتوفير الحمايه لبعض المنتجات

* وثالث القضايا تتعلق بمطلب الصندوق بفتح باب الاستثمار دون قيود لرأس المال الأجنبى، وإعطاؤه الأولويه، فى مختلف مجالات الاستثمار. وكان الموقف الحكومى يرى إعطاء الأولوية فى الإستثمار لرأس المال المصرى ثم العربى فالأجنبى، خاصة بعد ما إتضح من مراجعة برامج الاستثمار ونسب المساهمة فيها، أن أكثر من ٦٧٪ من إجمالى الاستثمارات المحلية مساهمة مصرية. وإنتهى الأمر إلى الاتفاق على وضع تسهيلات، تتفق وحجم التدفق الإستثماري الخارجي.

* أما رابع القضايا التى كانت محل نقاش بين الصندوق والحكومه وتخص عجز الموازنة، والعجز بميزان المدفوعات، فقد تركزت مطالب الصندوق فى ضرورة التخلص **من العجز بالموازنة خلال عام واحد أو خلال ١٨ شهرا** هى مدة المرحلة الثانية من خطة الاصلاح الاقتصادى للحكومه. وطالب الصندوق بالعمل على خفض العجز بميزان المدفوعات ليصل إلى اقل حد ممكن بنهاية عام ١٩٩٤، وخشيت الحكومه عدم الالتزام بذلك فى تلك التوقيتات، وطلبت مد التخلص النهائى من العجز بالموازنة العامه إلى ٣سنوات تبدأ من يوليو القادم. وطلبت منحها فرصة أكبر لدراسة خفض العجز بميزان المدفوعات.

أخطر المطالب

* وكان خامس مطلب محل نقاش بين الحكومه ووفد صندوق النقد، خاص بالعمل على خفض السيولة بالبنوك، والعمل على سحبها من البنوك، والحد من إرتفاعها **مما يعنى سرعة التراجع فى أسعار الفائدة**، وإعتبر بعض المفاوضين الحكوميين أن هذه أخطر قضية يثيرها الصندوق، وقد تكون لها آثار على الاقتصاد المصرى، وما



د. صلاح حامد

شهدته البنوك **من تدفق فى سيولة النقد المحلى تجاوزت المائة مليار جنيه**. وطلب الصندوق بتحويل تلك السيولة إلى البنك المركزى، **وخفض سريع لسعر الفائدة. على الودائع بالنقد المحلى.** مبرراً أن هذا التدفق الذى شهدته البنوك المحليه سببه الزيادة فى سعر الفائدة. كما تضمنت مطالب الصندوق وقف بعض **أنواع الودائع بالنقد المحلى، وتخفيض الفائدة عليها، خاصة شهادات الاستثمار وأذون الخزانه.**

ودار نقاش طويل حول هذا الموضوع، حيث أكد الجانب الحكومى على أن إلغاء أذون الخزانة سيتم بشكل تدريجى، وتحفظ بشدة علي نقل السيولة النقدية إلى البنك المركزى، خاصة أن ذلك سيفقد الثقة فى البنوك، وقد يؤدى إلى تدنى الإستفادة التى كانت وراء تدفق فى تحويلات النقد الأجنبى الي نقد محلى، الأمر الذى ساهم فى خلق إحتياطى من النقد الأجنبى بالبنك المركزى لأول مرة، تجاوز ١٣ مليار دولار.

وتم الإتفاق على جدول زمنى لخفض سعر الفائدة تدريجياً حتى يصل إلى ١٢٪ كمرحله أولى. والعمل على خلق فرص استثمارية تحقق عائداً معقولاً لأصحاب المدخرات، والتوصل لصيغة

الإتفاق الجديد مع صندوق النقد يبدأ فى أول يونيو القادم

٥قضايا أساسيه فى مناقشات الحكومه والصندوق:

رسوم جمركية جديدة ودور للأجنبى فى التجارة، وخفض سعر الفائده

د. عاطف صدقى



لاستثمار تلك المدخرات عن طريق شركات يكون للبنوك دور فيها. مع إلغاء بعض القيود على شركات ومكاتب الصرافه ومنحها حرية أوسع وأشمل فى مراحل مقبله.

وتفيد المصادر أن هذا الموضوع لم يحسم بعد بشكل نهائى ومازال محل نقاش، على أن تتقدم الحكومه بمذكرة تعهدات فى هذا الشأن.

تعهدات أخرى

وإلى جانب تلك القضايا الخمس تقدمت الحكومه بما يمكن أن نسميه بمذكرة تعهدات **للفترة القادمة من خطة تحرير الاقتصاد القومى** وذلك خلال المباحثات التى جرت مع الصندوق والبنك الدوليين.

وتضمنت تلك التعهدات.. إعتبار عام ١٩٩٤ هو آخر عام لسلع البطاقات التموينية، وإلغاء العمل بها نهائياً، مما يعنى إلغاء ماتبقى **من الدعم على السلع الغذائية**. و تعهدت الحكومه بتوحيد أسعار السلع الغذائية خاصة **الزيت والسكر** باعتبارهما آخر سلعتين فى بطاقة التموين.

كما تعهدت الحكومه لخبراء الصندوق **بإلغاء الدعم تدريجياً من عام ١٩٩٣ عن الخبز، وتحرير أسعاره**، وذلك من خلال ايجاد أنماط استهلاكية جدية، وصناعة خبز بسعر خاص.

وتضمنت قائمة التعهدات عدة مجالات تلتزم الحكومه بتنفيذها خلال فترة الإصلاح الاقتصادي بمرحلته الثانية ابتداء من يونيو القادم. ومنها التزام شامل بزيادة **سعر الطاقة بواقع ١٥٪ سنوياً كحد أدنى حتى عام ١٩٩٧، أو ضغط البرنامج إلى عام ١٩٩٥ مع زيادة نسبة الزيادة سنوياً**. وتشمل الزيادة **الاستهلاك الكهربائى بكل فئاته «منزلى- صناعى- تجارى» وأسعار البنزين والمازوت والغاز**.

وتشير المعلومات إلى أن الحكومه تعهدت بمراجعة زمنية لأسعار الطاقة، والنظر فيها وفقاً لأسعار الطاقة العالمية، وخلق صيغة لربط السعر المحلى مع العالمى.

والمياه فى الطريق

ومن تعهدات الحكومه فى الإتفاق الجديد، **وضع جدول لزيادة أسعار استهلاك المياه، والعمل على مضاعفتها ثلاث مرات على الأقل خلاله إلى ٧ سنوات**، تبدأ من العام الحالى ١٩٩٣ بواقع ١٥٪ إلى ٢٥٪ على أقل تقدير.

وهناك تعهدات ليست جديدة لكن الحكومه أكدتها من جديد وتتعلق **بتحرير أسعار المحاصيل الزراعية خاصة القطن وقصب السكر، وتحرير التجارة فيها إبتداء من أكتوبر القادم**. علاوة على إجراءات ماليه ونقدية أخرى تتعلق بنظام الصرف والعمليات الائتمانية.

وكانت أخطر التعهدات الحكوميه لوفد البنك الدولي وخبراء الصندوق، أنه لارجعه عن فتح الباب أمام القطاع الخاص للدخول فى كافة مجالات الانتاج والخدمات. والاستمرار فى سياسة الخصخصة **حتى يصبح القطاع الخاص هو الأدارة الانتاجية الأولى فى مصر**.

● ● ●

وفى هذا السياق، تقدمت الحكومه بمذكرات لوفد البنك والصندوق وكان على رأسها مذكرات من رئيس الوزراء د. **عاطف صدقى**، ود. **عاطف عبيد** وزير الدولة للتنمية الأدارية، والمكتب الفنى لقطاع الأعمال ومديره **فؤاد عبد الوهاب**، علاوة على د. **صلاح حامد** محافظ البنك المركزى.

وجاء فى هذه المذكرات أن **القطاع الخاص يسيطر حاليا على ٤٢٪ من خطط الدولة الاستثمارية**، ومن المقرر أن ترتفع إلى ٥٠٪ مع نهاية العام المالى «النصف الأول من العام المالى القادم» وستزداد تدريجياً **لتصل إلى ٧٥٪ فى ٤ سنوات**.

كما كشفت المناقشات عن أن هناك ٣٠٠ شركه عامه مطروحه للبيع في المرحلة القادمة، ممايعني أن كل شركات القطاع العام تقريبا مطروحه للبيع، وأن الحديث عن شركات مستبعدة غير وارد تماماً.

أما الجديد والخطير هو اخطار الحكومه البنك الدولى عن خطة يجرى دراستها حاليا لدخول القطاع الخاص تدريجيا لشراء القطاعات الخدمية، أو المساهمه فيها، خاصة الهيئات الخدمية الإقتصادية. مثل **هيئة السكة الحديده والبريد والنقل العام وشركات النقل البري**. ولم يتوقف الحديث عن هذا الحد بل إمتد إلى **شركات الكهرباء وخدمات الصرف الصحى ومياه الشرب ومد وتوصيل الخدمات العامه**. بل تطرق الحديث **لقطاع النقل والشحن الجوى**، والمقصود هنا شركه مصر للطيران وذلك فى مرحلة قادمة.

وتشير المعلومات أن هناك لجان تدرس فعلاً إدخال الخصخصة لهذه القطاعات فيما بعد عام ١٩٩٥، ليتلاشى دور الدوله تماماً ويصبح قاصراً على التخطيط التأشيرى، وإداره القطاع الخاص كافة المجالات على المستوى الانتاجى أو الخدمى..

ويبدو أن كل شئ سيصبح مباحاً خاصة بعد بدء دراسة إسناد إدارة المستشفيات، للقطاع الخاص على غرار الفنادق وبحث تطبيق ذلك فى مجالات أخرى قد تصل إلى التعليم.

أضواء على محادثات مبارك- كلنتون

النقطة الوحيدة المؤكدة اختلاف الأولويات

بصرف النظر عما نعتقده بشأن علاقات الولايات المتحدة مع مصر- ومع العالم العربى ككل- وبصرف النظر عن طبيعة تقييمنا لسياسات الولايات المتحدة تجاه قضايا الشرق الأوسط. قضايا الصراع العربى الاسرائيلى، أو اتجاه عملية السلام.. فان هناك حقيقة أساسية هى أن هناك **«علاقات خاصة» عمرها عشرون عاما بين الولايات المتحدة ومصر.**

مشهد هذه «العلاقات الخاصة» الأمريكية- المصرية يظهر أكثر وضوحا من هذا الجانب من التل.. من واشنطن .. أكثر مما يبدو من القاهرة.

ومن المؤكد أن هذه «العلاقات الخاصة» اكتسبت طابعا أكثر أهمية وبروزا فى السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط منذ بداية السلام الرسمى بين مصر واسرائيل.

أما أن العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل تفوق بكثير العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر فهذه مسألة اخرى ترجع الى اعتبارات تاريخية واستراتيجية وسياسية واذا كان معظم المحللين يقيسون تفاوت المستويين بين العلاقات الخاصة الأمريكية- الإسرائيلية والعلاقات الخاصة الأمريكية - المصرية بقيمة «المساعدات» الأمريكية التى تحصل عليها كل من مصر واسرائيل سنويا فأن هذه المساعدات هى **بالفعل مؤشر الى «العلاقات الخاصة» فى الحالتين.. بقدر ماهى مؤشر الى مستوى العلاقات عند المقارنة بينهما.**

والواقع أنه أصبح هناك ارتباط أكيد بين المساعدات الأمريكية لاسرائيل والمساعدات الأمريكية لمصر، **بحيث لم يعد جائزا أو**

سمير كرم

رسالة واشنطن

متوقعا أن تخفض المساعدات لاسرائيل دون أن تخفض لمصر. كما لايتوقع أحد أن تتغير نسبة التفاوت بينهما. وليس خافيا- فى واشنطن على الأقل- أن هذه «المعادلة» هى إحدى نتائج السلام بين مصر واسرائيل. انها بمعنى أكثر تحديدا أحد جوانب التعهدات الأمريكية التى ساعدت على دفع عجلة السلام بين مصر واسرائيل فى أواخر السبعينات.

مع ذلك تبقى زاوية المساعدات الأمريكية لمصر واسرائيل مجرد مؤشر واحد الى طبيعة العلاقات الخاصة التى تربط الولايات المتحدة بكل منها، وليست هى كل شئ.

وقد دلت على ذلك بوضوح المقارنة بين **زيارة اسحق رابين رئيس الوزراء** الاسرائيلى لواشنطن ومحادثاته مع الرئيس الأمريكى **كلنتون**. وزيارة الرئيس **حسنى مبارك** لواشنطن ومحادثاته مع **كلنتون..** سواء من ناحية **«أجواء»** الزيارة والمحادثات . أو من ناحية **النتائج** التى أسفرت عنها كل منهما. والحقيقة أن أحدا لم يستطع أن يفلت من هذه المقارنة.. وان اختلفت الاستنتاجات التى أمكن الخروج بها. لكن لقد مضى على الزيارتين وقت كاف يجعل الكتابة عنهما ترتفع عن مستوى الاعتماد على مجرد الانطباعات.. الامر الذى يقع فيه- بالضرورة ومهما حسنت النوايا- من يكتب عن حدث مافور وقوعه أو بعد وقوعه بأيام قليلة.

ولنحاول -بداية- أن نضع زيارة الرئيس مبارك لواشنطن فى اطارها الخاص بها.. بصرف النظر عن زيارة رابين التى سبقتها بأقل من شهر واحد.

من الطبيعى أنه عندما يجيئ رئيس مصرى إلى واشنطن لمحادثات مع الرئيس الأمريكى فانه يستقبل بصفته رئيس أكبر دولة عربية.. ويصبح من المتوقع باستمرار أن تبحث معه قضايا ومسائل تتجاوز نطاق علاقات أمريكا مع مصر الى النطاق الأوسع لعلاقات أمريكا مع العالم العربى.

فى هذه المرة بالذات تقدمت قضايا «غير مصرية» بالمعنى الضيق على القضايا المصرية.. أو على الأقل فاقت القضايا غير المصرية المطروحة فى عددها وفى أهميتها والحاحها القضايا والمسائل المصرية البحتة. فقد اقتصرت هذه الأخيرة على مسألة المساعدات الأمريكية واحتمالات خفضها، ومسألة نشاط الجماعات المتطرفة فى مصر وامتداداتها من داخل الولايات المتحدة. أما القضايا الأخرى فقد شملت : عملية السلام فى الشرق الأوسط. وهى تهم الأطراف العربية المشاركة فيها منفردة ومجتمعة. مشكلة التأثيرات الخارجية على الأمن الاقليمى من جراء التدخلات الخارجية الدافعة للعمليات العنيفة والارهابية فى أماكن متعددة من المنطقة وفى الولايات المتحدة. معضلة العلاقات بين ليبيا والولايات المتحدة والتقصيرات الناشئة عن العقوبات المعروضة على ليبيا وتأثيراتها على المنطقة المحيطة اقتصاديا وانسانيا. مشكلة الوضع العراقى وتعقيداته فى ظل نظام صدام حسين.. وفى ظل احتمالات التحالف التكتيكى بين بغداد وطهران. واحتمالات الصدام بين ايران والعرب ، وبين ايران والولايات المتحدة.

فى هذه المرة جاءت زيارة الرئيس المصرى لواشنطن فى إعقاب **«قمة استثنائية»** بين الرئيس الأمريكى. والرئيس الروسى **بوريس يلتسين..** وقد يبدو للوهلة الأولى أن لاعلاقة جوهرية- أو بالاحرى لا تأثيرات فى العمق- بين محادثات كلنتون- يلتسين فى

فانكوفر/ كندا و ادثات كلنتون- مبارك فى البيت الأبيض ن لامهرب من القول بأن مهمة يلتسين مع ينتون زادت من صعوبة مهمة مبارك معه.

لقد كان على ارك أن يجد لهذه الهموم العربية مكانا بين) لايات السياسة الخارجية لكلنتون.. بعد أن كان يلتسين قد زاحم كل ماعداه على هذا المكان بسبب أزمته الدستورية وأزمة روسيا الاقتصادية ومخاوف أمريكا من المجهول السوفياتى الذى تتخيله تحت قبعة كل عسكرى روسى.

من ناحية أخرى فان محادثات كلنتون ومبارك أول محادثات أمريكية - عربية.. بعد أن كانت محادثات كلنتون مع رابين أول محادثات رسمية تأخذ الرئيس الأمريكى الجديد الى حقل ألغام الشرق الأوسط. وقد أحدثت نتائجها المعلنة ردود فعل فى العواصم العربية ربما لاتقل فى حدتها عن ردود الفعل التى أحدثتها تصريحات كلنتون مرشح الرئاسة.. وكانت تعد بانحياز أمريكى كامل لاسرائيل.

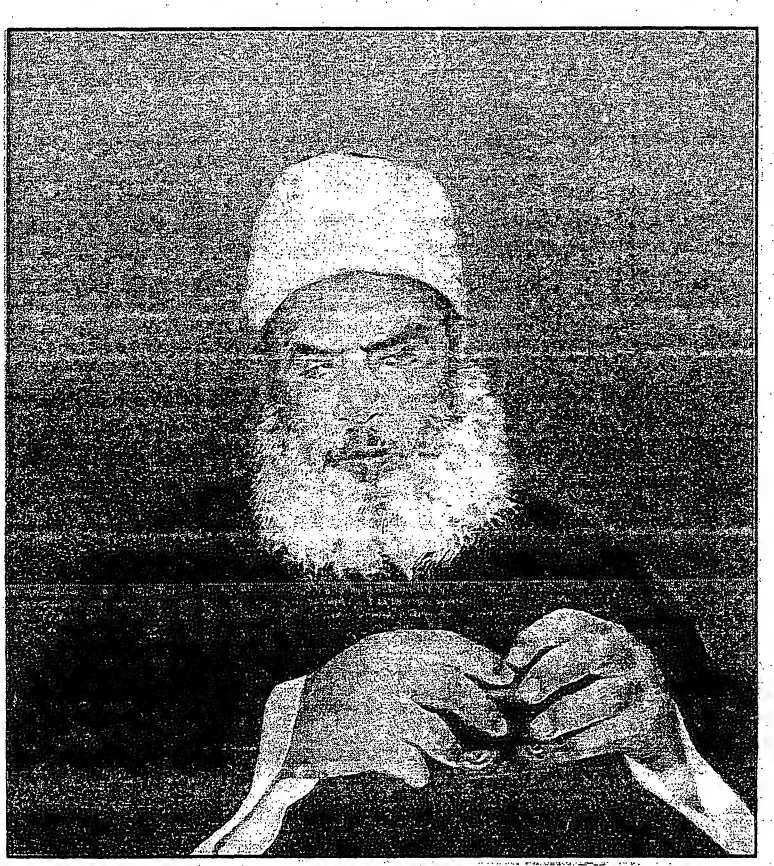
وبغض النظر عن الآراء عن حدود الحقيقة فى العلاقات بين ادارة كلينتون واسرائيل، بين الدعاية الانتخابية والواقع السياسى، فان زيارة رابين حملت زيارة مبارك لواشنطن عبئا زائدا: **تحريك جبل عدم الثقة العربية بادارة كلينتون والدور الذى تزمع القيام به فى محادثات السلام بحيث لايسد باب المحادثات تماما.**

ولقد كان مفهوما من البداية أن دور مصر- على الرغم من اختلاف وجهات النظر اليه- سيكبر فى عملية السلام بعد ادارة كلنتون أكثر مما كان فى أى وقت منذ **مؤتمر مدريد**.. وكان هذا تقديرا فى ضوء تصورات ومفاهيم ادارة كلنتون ووزير الخارجية كريستوفر لقدرات مصر الدبلوماسية فى العلاقات العربية. أما الآن **فقد أصبح تقدير دور مصر أكبر فى ضوء عدد اضافى من الاعتبارات: ايران- العراق- الجماعات المتطرفة- ليبيا- السودان.. الخ**

* * *

ونستطيع استنادا الى هذه المقدمات أن نقول: **لقد اتسمت مهمة الرئيس مبارك فى واشنطن-** اذا جاز القول أنها كانت مهمة واحدة- **بدرجة من الصعوبة والتعقيد لم يسبق لها مثيل.** وذلك مايجعل من الصعب للغاية، بعد مراقبة وقائع المحادثات التى أجراها فى واشنطن- مع كلنتون وقبله مع وزير الخارجية **كريستوفر** ووزير التجارة **رون براون**.. وغيرهم داخل الادارة وخارجها ،فى صندوق النقد الدولى وفى البنك الدولى مثلا- الانتهاء الى أنها كانت «ناجحة» أو «فاشلة». **ان تعدد الجوانب وتشابكها يجعل كل جانب من النجاح فيها مشوب بالفشل بسبب تداخل هذا الجانب بالتأكيد مع جانب أو أكثر شابه الفشل.**

ومن الصعب بالدرجة نفسها تحديد نصيب كل من الطرفين من المسؤولية عن مقدار ماحققت المحادثات من **«النجاحات»** وما أصابت من «تراجعات». لكن الأمر المؤكد أنه فى محادثات على هذه الدرجة من الكثافة- فى عدد القضايا والتشابك فى الصلات - ايجابية وسلبية- بينها جميعا، ما كان يمكن أبدا أن تتفق الأولويات بين الطرفين. **لقد جاء مبارك الى واشنطن ولديه مجموعة أولويات مؤكدة. ولا أحد**



الشيخ
عمر عبد الرحمن

يمكن أن يجزم بأنه كان يدرك قبل أن يجئ أن للرئيس كلنتون أولويات مختلفة.. ومدى هذا الاختلاف عن أولوياته هو. لكن من المؤكد أن الرئيس مبارك أنهى زيارته مدركا اختلاف الأولويات ومداه بين القاهرة وواشنطن ولابد أن بعض هذه الاختلافات قد فاجأه.

لكن لابد أن المفاجأة الأكبر للرئيس مبارك كانت فى قوة اهتمام كلنتون بضرورة العمل من أجل انقاذ رابين وحكومته من موت سياسى محقق فهو يواجه نقمة حقيقية فى اسرائيل قد تودى بحكومته. وحكومة رابين هى الأمل الاسرائيلى الأوحد فى نجاح عملية السلام ولابد من الابقاء عليها مهما تصلبت فى مواقفها بالنسبة لموضوع المبعدين ومهما شددت من اجراءاتها الأمنية فى الأراضى المحتلة ومهما تعنتت فى اغلاق الأبواب أمام الأمال الفلسطينية.

كانت مهمة كلنتون اقناع الرئيس المصرى أن النتائج الكبيرة والباهرة فى مظهرها التى حققتها محادثات رابين فى واشنطن كانت مقصودة وضرورية لدعم مركزه لأن رابين يمثل القوة الوحيدة الراغبة والقادرة على مواصلة عملية السلام من الجانب الاسرائيلى وأى حكومة اسرائيلية أخرى لن تستطيع ولن تريد التعاون مع الولايات المتحدة فى مسعى السلام وبالتالى فان واشنطن تطلب مساعدة مبارك والقادة العرب الآخرين من خلاله لكى يتفهموا هذه الحقيقة .

ففى سبيل منع سقوط رابين اتخذ كلنتون عددا من المواقف كان هدف الرئيس مبارك أصلاً فى المحادثات أن يحاول زحزحتها ولو خطوات صغيرة باتجاه الفلسطينيين وباتجاه العرب

وعلى سبيل المثال فقد كان مبارك يعلم أن واشنطن تستعد لاستئناف الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية باعتبار ذلك خطوة ضرورية من أجل اقناع الوفد الفلسطينى باعلان عزمه على حضور الجولة التاسعة من محادثات السلام الثنائية فى واشنطن والتغاضى عن مشكلة المبعدين .وبعد زيارة رابين بالتحديد كانت تصريحات المسئولين فى الادارة الامريكية- فى اطار غير رسمى- تشير الى أنه بعد كل الدعم الذى تلقاه رابين فى واشنطن خلال هذه الزيارة سيكون من الضرورى تشجيع الفلسطينيين بخطوة كهذه.

كذلك فقد كان تحرك بريطانيا وبلجيكا ولوكسمبورج مؤخرا لرفع درجة العلاقات بينها وبين منظمة التحرير مؤشرا الى قرب استئناف الحوار بين واشنطن والمنظمة.

داخل المحادثات كان خوف كلنتون الأكبر على مصير رابين.. وخارجها كان حديث الاعلام الأمريكى عن المصاعب التى يواجهها مبارك.

❊ ❊ ❊

لكن لسبب ما لم يشأ الرئيس كلنتون أن يعلن هذه الخطوة كنتيجة لمحادثات الرئيس مبارك أو أثناء وجوده فى واشنطن لسبب ما كان الرأى الذى عبر عنه لمبارك فى هذا الصدد أن هذه ليست مسألة عاجلة وينبغى أن لاترتبط بالمحادثات الثنائية بين الفلسطينين والأسرائيليين كما وأن الفلسطينيين يحضرون الى واشنطن وتجرى معهم اتصالات بالفعل!

وبحجة منع سقوط رابين اتخذ كلنتون موقفا على درجة مفاجئة من الجمود ازاء مشكلة المبعدين بعد ان كانت ادارته قد اعطت تلميحات كثيرة الى حصولها على وعود اسرائيلية بالمرونة تتجاوز حدود الاتفاق الذى كان قد تم التوصل اليه بين امريكا واسرائيل فى اول شهر فبراير الماضى باعادة ١٠٠ من المبعدين واعادة الباقين قبل نهاية العام وكان **اقتراح مبارك يقضى باعادة الباقين بحلول شهر سبتمبر القادم أو قبل ذلك وبأن تعلن اسرائيل بصوت مسموع وليس فى الخفاء التزامها بأن لاتعود الى ممارسة اسلوب الطرد الجماعى للفلسطينين من اراضيهم** .

❊ ❊ ❊

كيف اختلط الدفاع عن سياسات اسرائيل فى مواجهة الفلسطينيين بالهجوم على طريقة مواجهة مبارك للمتطرفين؟

لماذا اصاب الموقف الامريكى جمود عند حدود اتفاق اول فبراير بعد ان كانت تصريحات المسئولين فى الادارة توحى- بل وتدل- على ان التعامل مع مشكلة المبعدين مستمر وليس عملية انتهت بذلك الاتفاق

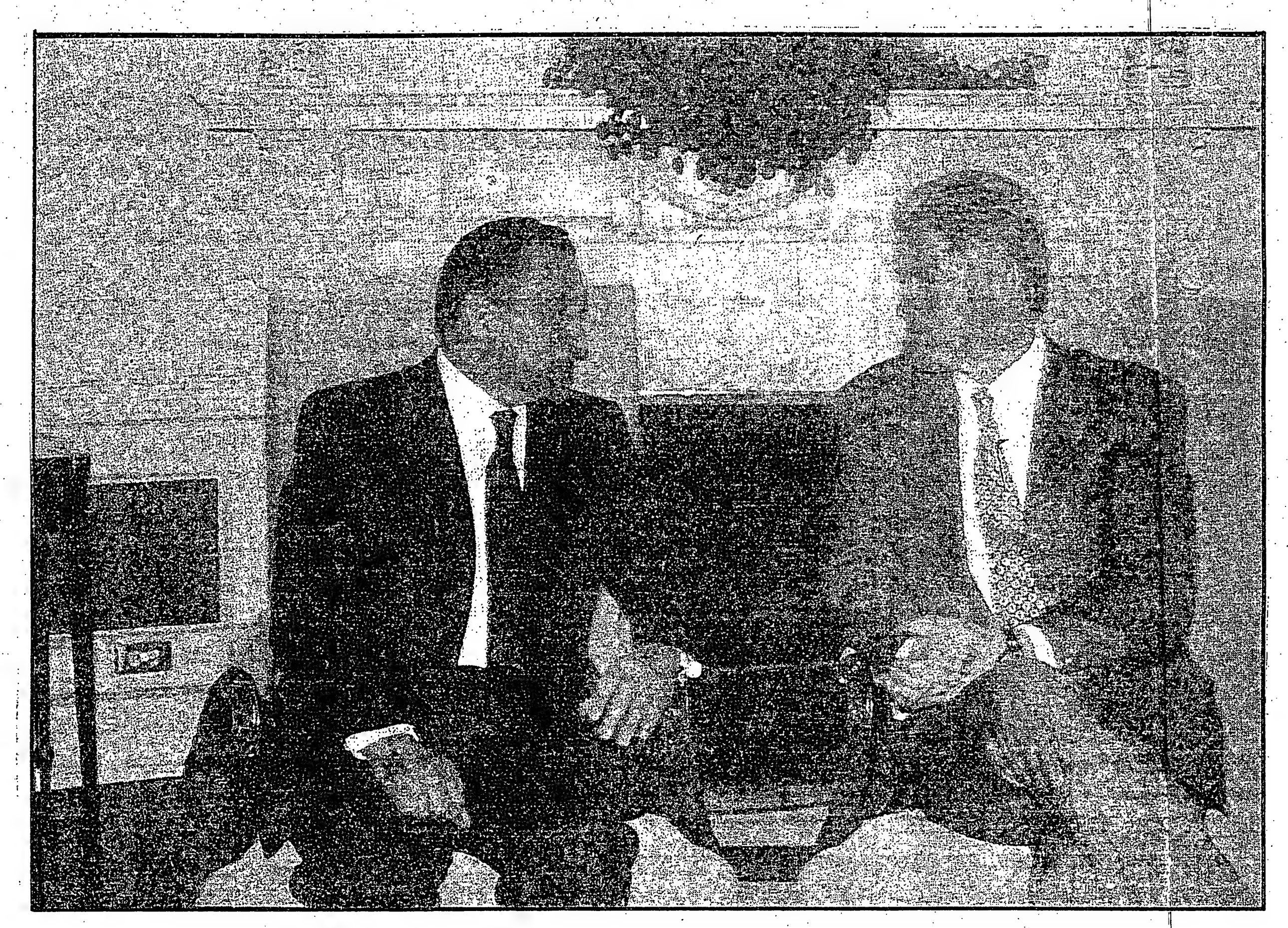
السؤال بالاحرى **لماذا قبلت ادارة كلنتون ان تحمل زيارة مبارك ومحادثاته مع الرئيس الامريكى عبء العنف المتبادل بين اسرائيل والفلسطينيين فى الاراضى المحتلة؟**

ان تحميل هذا كله على حرص ادارة كلنتون على انقاذ رابين من السقوط أو على الاقل تخفيف ضغوط المتطرفين الاسرائيليين عليه، ينطوى على مبالغة كبيرة خاصة وأن الادارة الامريكية ليست غافلة عن طبيعة ضغوط المتطرفين فى مصر على الرئيس مبارك بدوره. وفضلا عن هذا فان من الخطأ الافتراض بأن هناك تطابقا تاما بين وجهات النظر الامريكية والمصرية حول قضايا الصراع العربى الاسرائيلى أو حتى حول العلاقات المصرية الامريكية ومواقف امريكا ازاء العرب فى القضايا العربية وينطبق هذا بشكل خاص على الفترة منذ بداية سنوات الرئيس مبارك .

وعلى الرغم من كل المحاولات والجهود التى تقع عادت على عاتق الجانب المصرى لجعل العلاقات تبدوا فى صيغة(ليس بالامكان ابدع مما كان).

انما وراء جمود مواقف كلينتون والادارة الامريكية الجديدة الذى بدأ فى المحادثات مع مبارك اعتبار آخر أكثر أهمية اعتبار استراتيجى- بالمعنى الواسع لهذا التعبير- يتعلق باهمية مصر ودورها الاقليمى.

ليس من الصعب ان يدرك من يراقب العلاقات الامريكية المصرية انها تتأثر ايجابا احيانا وسلبيا فى احيان اكثر كلما قويت علاقات مصر العربية فعلى الرغم من كل



الرئيس مبارك مع الرئيس الأمريكى كلينتون

التأكيدات الامريكية عن التقدير لمركز مصر ودورها فى المنطقة الا أن الشواهد كثيرة على ان اقتراب مصر من محيطها العربى ليس دائما سبب ارتياح للسياسة الامريكية فى الشرق الاوسط.

ولقد اتضح ذلك اكثر من اى وقت فى محادثات مبارك، كلنتون فى الاسبوع الماضى وقد دل على مدى صعوبة مهمة مبارك. كلما ابتعدت علاقة مصر بالولايات المتحدة عن نقطة المحور الامريكية وهى نقطة السلام مع اسرائيل بدت هذه العلاقات عرضه اكثر للخلاف والضعف.

لكن ألم تكن محادثات مبارك كلنتون الأخيرة قريبة للغاية من هذه النقطة المحورية؟

نعم. ولكن- كما ذكرنا- تشابكت مع مسائل كثيرة اعتبرها مبارك جزءا من نسيج الدور المصرى وجزءا من التفكير فى مستقبل الوضع العربى ككل- خطر المتطرفين، معضلة العلاقات بين امريكا وليبيا، معضلة العراق ونظامه الحاكم، ماهو منتظر عربياواسلاميا بشأن محنة البوسنة..- واعتبرها كلنتون قيودا على عملية السلام.

لقد اتسمت تصريحات المسئولين فى ادارة كلنتون وهم يشرحون ماجرى فى محادثات مبارك كلنتون بالغموض فقد بدت لاتشرح شيئا بل لامبالغة اذا قلنا انها اعتمدت الغموض المتعمد الذى يهوون فى دوائر واشنطن السياسية تسميته «الغموض الخلاق». حتى انه بدا ان الادارة الامريكية تحرص على اخفاء سر ما فى معظم الموضوعات التى تناولتها المحادثات وعلى سبيل المثال اعطت الادارة الامريكية انطباعا- مجرد انطباع- بأنها تتوقع أن تعجل اسرائيل باعادة المبعدين ولكن بعد ان تبدأ الجولة التاسعة من المحادثات أى أن تبقى ورقة المبعدين فى يد اسرائيل فاذا عاد الفلسطينيون الى المحادثات قدم الاسرائيليون مكافأة التعجيل باعادة المبعدين.

وبدا بعض الوقت - بعد ان انتهت زيارة مبارك- ان ماقاله المسئولون الامريكيون يبرر ماقاله الرئيس مبارك اثناءها من أن ادارة كلنتون بذلت اقصى مابوسعها فى الظروف الراهنة.. خاصة فى ضوء ماقاله مسئول كبير فى الخارجية الامريكية فى اعقاب المحادثات أن هناك تطمينات للفلسطنيين شاملة للغاية وذات مغزى كبير تسمح لهم بأن يقولوا نعم للدورة المقبلة فى محادثات السلام.

وقد تبين بعد وقت قصير من الزيارة أن اسرائيل مستعده لقبول مشاركين فى المحادثات الثنائية من الفلسطينيين الذين يعيشون فى القدس الشرقية مثل فيصل الحسينى.

وتردد بعد وقت قصير من الزيارة أيضا أن اسرائيل تقترح أن تدخل المحادثات مع الفلطيسنين استعدادا للمضى خطوات نحو انتخابات فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزه، فضلا عما تردد قبل ذلك من أن اسرائيل« تفكر» فى الانسحاب من غزة بقرار من جانبها تجنبا للعنف المتصاعد هناك. وتعهدت ادارة كلنتون أثناء زيارة مبارك

بعدها أن تترك كل انطباع بالثقة بأن ا لجولة التاسعة من المحادثات ستستأنف فى موعدها (٢٠ ابريل) بحضور جميع الأطراف... بل لقد استمر كلنتون نفسه - خاصة فى المؤتمر الصحفى المشترك الذى عقده مع الرئيس مبارك- فى تأكيد تفاؤله بأن عملية السلام ستعطى نتائج إيجابية مهمة خلال العام الحالى فقد قال- بغير تحفظ- أنه والرئيس مبارك يشعران كلاهما بأن هناك فرصة تاريخية لتحقيق تقدم حقيقى فى عملية السلام بين العرب واسرائيل فى عام ١٩٩٣.

* * *

على أى الأحوال لاتكتمل أى محاولة لفهم الابعاد التى اتخذتها لزيارة مبارك لواشنطن ومحادثاته مع كلنتون دون رؤيتها من زاوية نظر انصار اسرائيل فى الساحة السياسية الامريكية وهؤلاء تعبر عن مواقفهم بتعليقات وتحليلات اكثر القوى يمينية فى مراكز الابحاث الامريكية المعنية بالشرق الأوسط، وفى الاعلام الامريكى وبالقدر نفسه تعبر عن مواقفهم تصريحات زعماء اليهود الامريكيين الذين يرتبطون ارتباط التزام كامل بسياسات اسرائيل ومواقفها السياسية وما تنشره الصحافة اليهودية الامريكية

ومايلفت النظر ويثير الدهشة على الفور فى هذا الصدد أن تركيز أنصار اسرائيل فيما يتعلق بمحادثات مبارك وكلنتون لم يكن قضايا الشرق الأوسط وعملية السلام أو دور مصر فيها باعتبارها الدولة العربية الوحيدة التى ترتبط بمعاهدة سلام مع اسرائيل **ولقد انصب اهتمام كل الذين نظروا الى تلك المحادثات من منظور اسرائيلى فى امريكا على (متاعب مبارك) الداخلية وعلى الصراع مع المتطرفين الاسلاميين وانعكاسات ذلك على قوة النظام المصرى من ناحية وعلى العلاقات الامريكية المصرية من ناحية أخرى.**

ولم يكن ذلك من منطلق ايجابى بأية حال. لقد حفلت كتابات الصحف الامريكية اليمينية وكذلك صحف المنظمات اليهودية الامريكية بانتقادات لمبارك وبدفاعات استفزازية عن سلوك اسرائيل مع الفلسطينيين تستند الى مقارنتها بسلوك السلطات المصرية مع المتطرفين الاسلاميين. ولا شك ان الرئيس مبارك أول من استفزته هذه الطريقة فى تناول الأمور من جانب الاعلام الامريكى أثناء



اسحق رابين يتحدث الى الصحافيين والرئيس كلينتون يستمع إليه

وجوده حتى انه انتقد الصحافة الامريكية فى المؤتمر الصحفى المشترك الذى عقده مع كلنتون فى ختام محادثاتهما كما انتقدها فى كل اللقاءات الصحفية والتليفزيونية العديدة التى اجريت معه وكان اهم مارد به على هذا التناول قوله فى المؤتمر الصحفى المشترك (أود أن أطمئنكم جميعا أن مصر ليست فى خطر وأن الصورة التى يعكسها الاعلام مؤخرا أميل الى المبالغة وكما تعرفون جميعا فان العنف يصنع الاخبار فورا. أما القصة الحقيقية فهى ثقتنا ووحدتنا ونجاحنا المتزايد فى مواجهة هذه المشكلة).

وجهة النظر الاسرائيلية داخل امريكا فى هذا الموضوع عبرت عنها- مثلا- مجلة «نيو ريبابليك» الاسبوعية بطريقة تكشف عن تعصب لم يحاول الكاتب اخفاءه حتى وان كان قد وضع نفسه موضع الدفاع عن المتطرفين الاسلاميين:

«لقد طلب الرئيس حسنى مبارك رئيس مصر من الرئيس كلنتون فى الاسبوع الماضى أن يضغط على اسرائيل لتسريع عودة المتطرفين الاسلاميين الاربعمائة الذين ابعدوا مؤقتا فى ديسمبر الماضى بعد موجة عنف ارتكبت باسم مجموعتين من الارهابين الفلسطينيين لقد رفض كلنتون بذكاء. ولقد كان موقفا غريبا بشكل خاص ودالا على التعامل بميزانين، أن يتوقع مبارك أن تقدم حكومة رابين تنازلات اضافية لحماس والجهاد الاسلامى حتى يمكن أن يسمحوا لوفد فلسطينى لأن يعود الى محادثات السلام. **فالحقيقة بعد كل شئ هى أن المصريين (وكذلك الجزائريين) يقتلون بلا محاكمة ابناء العمومة العقائديين للرجال الذين لم تفعل اسرائيل شيئا اكثر من انها ابعدتهم عن الحدود** ويبدو ان القتلى لايستحقون الا عدة سطور قليلة فى الصحافة (ومايزيد عن ثلاثين ثانية على شبكة سى إن إن) التى لاتتردد فى أن تصف هؤلاء بأنهم ارهابيون. **ويستطيع المرء أن يتصور الصرخة التى ستنطلق لو أن قوات الأمن الاسرائيلية حاصرت أحد مساجد المتطرفين واطلقت عليه القذائف حتى لم يبق بداخله حى واحد. وهو ماتفعله اساسا سلطات القاهرة.** حسنا ان اسرائيل لاتسلك بهذه الطريقة وينبغى أن

لاتفعل. لكن هذا لايمنى أنه يتمين عليها أن تعيد أولئك الذين يعتقدون أن قتل اليهود هو عمل يأمر به الله.

وفى مثل آخر كتب «موريس أميتا» وهو رئيس سابق للجنة اليهودية الامريكية ويشغل حاليا منصب أمين الصندوق للجنة العمل السياسى المناصر لاسرائيل فى واشنطن مقالة فى صحيفة «واشنطن جويش ويك» اليهودية قال فيه: «فى الشرق الأوسط أكثر من معظم أماكن العالم الأخرى حين يتحدث المرء عن السلام والاعتدال فلا بد ان يكون ذلك دائما على أساس المقارنة فالحقيقة أنه بالمقارنة مع العراق والسودان وليبيا يمكن بالتأكيد أن تعد مصر معتدلة ولقد وقعت معاهدة سلام مع مصر... مع ذلك فان نظرة المسئولين المصريين الى عملية السلام والى ترحيل اسرائيل للنشطين فى حركة المقاومة الاسلامية(حماس) لاتكاد تظهر تعاطفا مع مشكلات اسرائيل الأمنية. والمشاعر المعادية لاسرائيل والمعادية للسامية تنتشر بصورة وبائية فى الاعلام المصرى وفى الرأى العام هناك...».

وبعد استطراد فى ذكر المساعدات التى تحصل عليها الحكومة المصرية من واشنطن كل عام. وتأكيد- لم يسبق له مثيل بأن مصر تحصل على أكثر مماتحصل عليه اسرائيل على عكس مايقال باستمرار. يضيف اميتاى قائلا «لابدوا أن نحصل على مانستحقه نقودا كمقابل من التأييد الدبلوماسى المصرى ثم يعود الكاتب اليهودى الامريكى الى النغمة ذاتها ليقول ان احدا لايملك من التهور القدر الكافى لكى يتسائل لماذا الاستجابة المصرية ردا على هجمات الارهابيين الاصولين الاسلامين فى اطلاق النار اولا والتفكير فى الأمر لاحقا».

وتكاد تكون ظاهرة تداخل الدفاع عن اسرائيل مع انتقاد تصرفات الحكومة المصرية ازاء الارهابيين حاضرة فى كل ماكتبت الصحافة اليهودية الامريكية وفى قطاع كبير من الصحافة الامريكية غير اليهودية أثناء زيارة مبارك وبعدها وهو أمر يبعث على أكثر من مجرد الدهشة ويثير اكثر من مجرد التساؤل.

لكن بعض الكتاب اليهود دفعوا الأمر خطوة أبعد فى هذا الاتجاه نفسه بالاشارة صراحة وتلميحا الى أن **الرئيس مبارك لايتمتع باستقرار حقيقى فى الحكم** «ديفيد تويرسكى» مدير تحرير صحيفة «فوروارد» اليهودية التي تصدر فى نيويورك وتعد من أكثر الصحف اليهودية نفوذا وقربا من ادارة كلنتون- كتب يقول أن **الرئيس كلنتون الذى استضاف فى اسبوع واحد كلا من الرئيس الفرنسى ميتران والرئيس الروسى يلتسين والرئيس المصرى مبارك هو وحده أى كلنتون الذى يضمن على الأقل بقاءه فى الرئاسه حتى نهاية عام ١٩٩٦...»** وهذا بينما كان كلنتون داخل البيت الأبيض يطلب من مبارك أن يراعى ضعف مركز رابين داخل اسرائيل.

❄ ❄ ❄

اقتراب مصر من محيطها العربى ليس دائما سببا لارتياح الساسة الأمريكيين

وهناك من وضع مسألة استقرار الحكم فى مصر فى منظور آخر. على سبيل المثال قالت صحيفة «بوسطن جلوب» وهى صحيفة لايمكن اعتبارها معادية للغرب أو منحازة لاسرائيل لقد تجنب الرئيس كلنتون فى المؤتمر الصحفى المشترك مع مبارك التعبير عن أى ضرر من الشك بشأن لستقرار مصر وأيا كانت حقيقة توازن القوى فى مصر فان التحذير الذى أعلنه مبارك بشأن تأييد ايران للمتطرفين المصريين يشهد بخطورة التهديد».

وقد مضت «بوسطن جلوب» إلى حد التأكيد بأن كل الأطراف المتنازعة فى الشرق الأوسط تعرف أن مصر هى حجر الزاوية الثقافى والسياسى فى العالم العربى وأن استيلاء الأصوليين على السلطة فى القاهرة سيكون كارثة تقارن باستيلاء الفاشيين على الحكم فى روسيا.

أما المعلق اليمينى الأمريكى «تشارلز كراو تامر» وهو مؤيد عنيد لاسرائيل بلا تحفظ فقد امتدح كلنتون الذى لايلقى أى مديح من اليمين الامريكى منذ ظهوره على المسرح السياسى- لأنه امتنع على الرغم من ضغوط **الجماعات المعنية بحقوق الانسان عن تعنيف مبارك على نحو مافعلنا يوما مع شاه ايران بشأن انتهاكات حقوق الانسان التى لايوجد أى شك** فى أنها ماضية فى حربه الشعواء مع الأصوليين الاسلاميين لقد حددت الادارة اولوياتها بشكل مستقيم. فمن وجهة النظر الامريكية فان مبارك ويلتسن هما أهم زعيمين خارجيين فى العالم.. ان سقطت مصر فسيؤدى ذلك الى تحول العالم الاسلامى الى منطقة صراع مستمر مع الغرب.»

انها اذن مسألة اولويات وقد اوضحت زيارة مبارك لواشنطن مدى اختلاف هذه الاولويات بين جميع الاطراف.

كلينتون ومبارك فى المكتب البيضاوى



الإعداد لمؤامرة التسليم الأمريكية

د. عبد العظيم أنيس

في عدد يونيو الماضى من اليسار كتبت مقالا بعنوان «**اللهم أحمنى من أصدقائى**» تحدثت فيه عما توفر لنا من معلومات عن المبادرة -أو المؤامرة إن شئت- الأمريكية الجديدة التى سميت رسميا «**مبادرة السلام والتعاون فى الشرق الأوسط**»، وهى المبادرة التى كان يقودها سبعة عشر كوكبا أمريكيا من رجال السياسية والمخابرات والمال ، وتستهدف الجمع بين الضحية والجلاد على أرض مشتركة، ليس فيها مكان لحق تقرير المصير للفلسطينيين ولا لقرارات الأمم المتحدة، ليس فيها مكان للمبادئ ولا التاريخ ولا حتى الشرعية الدولية المتمثلة فى قرار التقسيم التاريخى عام ١٩٤٧. ويعتمد هؤلاء الأمريكيون - كما يدعون- على «عقل مركزى» يضم مصريين (حضروا اجتماعات مدريد) وسعوديين وكويتيين واسرائيليين وفلسطينيين وأردنيين وأتراك ظلت اسماؤهم فى الكتمان باستثناء الدكتور سعد الدين ابراهيم والسيدة منى مكرم عبيد. وقد أعلن عن عدد من الهيئات المصرية أو العربية باعتبارها مشاركة فى هذه المبادرة، وقد نفى بعضها هذا الأدعاء ، لكن من الملحوظ أن هيئة واحدة لم يصدر عنها أى نفى أو تأكيد، تلك هى «**المركز القومى لدراسات الشرق الأوسط**» ، ذلك المركز الذى ظهر فجأة يقوده «**اللواء أحمد فخر**» وهو أيضا رئيس المجلس المحلى لمحافظة القاهرة. ولقد أشرت فى هذا المقال إلى حديث السيدة **هيلينا كوبان** زوجة **وليم كوانت**- أحد مهندسى كامب دافيد- فى المصور لمراسل المجلة فى واشنطن **محمد وهبى**، والذى ذكرت فيه أن اجتماعات عديدة تمت فى روما وغيرها من العواصم حضرها **اسرائيليون وسعوديون ومصريون وفلسطينيون وأردنيون** منها اجتماع لجنة الأمن التى حضرها جنرالات سابقون فى الجيش المصرى والجيش الأردنى والجيش الاسرائيلى (أتساءل ماإذا كان اللواء أحمد فخر كان ممثلا للجانب المصرى؟) فى ٢٦ فبراير ١٩٩٢ فى روما، بمباركة من الحكومات المعنية.

وقد ختمت المقال بأمرين.. تقييم ونداء. أما التقييم فقد قلت فيه «هكذا الموقف إذن... مع استمرار الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية فى فلسطين والجولان وجنوب لبنان، مع استمرار تدفق الهجرة اليهودية من روسيا وأوربا الشرقية إلى أرض فلسطين مع استمرار ضرب الانتفاضة الفلسطينية الباسلة بكل وحشية، مع استمرار تخاذل الحكومات العربية إزاء «الراعى» الأمريكى، ومع استمرار تآمر حكومات الخليج على طموحات الأمة فى التحرر والتنمية والوحدة.. مع كل هذا يشكل «الراعى» مبادرة غير رسمية مهمتها إيجاد الحلول عندما تصل المفاوضات الرسمية إلى «حارة سد» كما هو متوقع **وتطبيع العلاقات بين المثقفين العرب والمثقفين الأسرائيليين على حساب المبادئ وحتى الشرعية الدولية المتمثلة فى قرارات الأمم المتحدة»**.



د. مصطفى خليل

أما النداء فقد جاء نصه كما يلى: «ويا أيها المثقفون المصريون والفلسطينيون والخليجيون الذين اشتركتم فى هذه المبادرة - أو المؤامرة- أليس من المناسب أن تكون لديكم الشجاعة وتعلنوا عن أسمائكم؟»

وبالطبع لم يتطوع أحد بالاعلان عن اسمه- لا فى الجانب المصرى أو الجانب العربى- لكن الاحداث التى توالت منذ أن ظهر هذا المقال فى «**اليسار**» قد أقنعتنى أن المؤامرة أوسع نطاقا مما كنا نتصور.

ويهمنى على وجه الخصوص الاشارة إلى حلقات أساسية فى تلك المؤامرة الأمريكية

ومن هذه الحلقات الحديث الذى تطوع به الدكتور يوسف والى أمين الحزب الوطنى ووزير الزراعة ونائب رئيس مجلس الوزراء فى الاهرام فى صفحة تدعى «مصر الخضراء»، ولقد كان من المفهوم أن هذه الصفحة تتناول شئون الزراعة المصرية ومشاكلها، ولكن يبدو أنها تحت توجيه حكومى تحولت إلى «مصر الاسرائيلية». إذ نشرت فى ٢٧ فبراير الماضى حديثا للدكتور يوسف والى بشر فيه بسوق شرق أوسطى يضم مصر واسرائيل ودول الخليج وبقية الدول العربية، ولم يكن الموضوع مجرد فكرة طرأت فى ذهن الوزير، وإنما أوضح هو أن وفودا مصرية تتردد بالفعل على واشنطن لبحث الموضوع وعمل الدراسات وأن مؤتمرات أخرى سوف تنعقد فيما بعد لبحث تفاصيل الخطط الموضوعة لهذا السوق الجديد.

ومنذ نشر هذا الحديث انفتحت النيران على يوسف والى وأفكاره، فقد انتقد الدكتور حلمى نمر (رئيس جامعة القاهرة السابق وأمين عام مجلس التعاون العربى السابق أيضا) نقيب التجاريين وعضو مجلس الشعب عن الحزب الوطنى، الأفكار التى دعا إليها يوسف والى وحذر من خطورتها وذلك فى مقال بالاهرام بعد حديث يوسف والى بأيام قليلة. أما الدكتر حلمى مراد قطب حزب العمل فقد اتهم يوسف والى بالخيانة الوطنية ودعا إلى محاكمته ، وذلك بمقالات فى جريدة «الشعب».

ورغم قسوة هذه الاتهامات العلنية فإن أحدا من السلطة لم يتحرك لسؤال الدكتور حلمى مراد ولا يوسف والى ولا أى مسؤول حكومى آخر، أو للرد على اتهاماته. وكل الذى عرفناه أن يوسف والى قال عندما سئل فى النادى السياسى للحزب الوطنى «الكلاب تنبح والقافلة تسير» ، تماما كما قالت السيدة جيهان السادات بعد توقيع كامب دافيد!

وإلى هؤلاء الاصدقاء الذين ظنوا أن مقالى فى يونيو الماضى الذى تحدثت فيه عن المؤامرة الأمريكية كان به ضرب من المبالغة أقول.. انظروا إلى حلقاتها. فلم يكد ينشر حديث يوسف والى والرد عليه حتى اتضح أن هذا الحديث لم يكن طعنا فى الهواء، وإنما كان التمهيد لنشر وقائع جديدة هى حلقات أخرى فى تلك المؤامرة. ومن هذه الوقائع الجديدة المؤتمر الذى انعقد بالقاهرة فى الفترة من ٢٩ إلى ٣١ مارس الماضى، والذى نظمه المجلس القومى لدراسات الشرق الأوسط بالتعاون مع جامعة هارفارد ومؤسسة فريدريش إيبرت الألمانية، والغريب أن أنباء هذا المؤتمر قد ظهرت فقط فى صفحة «مصر الخضراء» بالاهرام التى تصدر كل يوم سبت ، وسمى بالمؤتمر الاقليمى للشرق الأوسط، وهدفه بالطبع بحث مشروع سوق الشرق الأوسط.

من هم حضور هذا المؤتمر؟ كما تقول «مصر الخضراء». إنهم د. مصطفى خليل، د. سعيد النجار، ٢٦ سفيرا عربيا وأوربيا من بينهم سفير اسرائيل وعدد من الخبراء والمختصين من البلاد العربية وأمريكا وألمانيا وممثلين عن الأجهزة المصرية المهتمة بموضوع المؤتمر.

وعلى مدى ثلاثة أيام انعقدت خمس جلسات حول التعاون الاقليمى فى مجال التجارة ودور المؤسسات المالية ومساهمة القطاع الخاص فى التعاون الاقليمى والتعاون الاقليمى فى مجال السياحة وسوق العمالة.



د. يوسف والى

وقد افتتح اللواء أحمد فخر المؤتمر قائلا إنه لايمكن الانتظار حتى يأتى السلام ثم نبدأ التفكير فى بدائل وسيناريوهات للتعاون الاقتصادى ، كما تحدث د. مصطفى خليل عن أهمية المشاريع المشتركة بين العرب واسرائيل وأوضح أنه يمكن عمل مشاريع بين مصر واسرائيل ودول أخرى فى المنطقة كما أوضح أنه لا يوجد أى مستقبل للتعاون الاقتصادى دون وجود تقدم فى مباحثات الشرق الأوسط.

وقد دارت مناقشات بين الاسرائيليين والمصريين والاردنيين- من حضور المؤتمر- حول هل يتم عمل فى مجال التجارة قبل أن يتم السلام، أم هل يتم السلام أولا ثم تتخذ إجراءات التعاون الاقتصادى. وكان رأى الاسرائيليين أن الأوضاع لاتحتمل الانتظار ٢٠ إلى ٣٠ سنة لتحقيق سلام فى الشرق الأوسط، وهم يلحون من الآن على إلغاء المقاطعة العربية للمنتجات الاسرائيلية، كما كان رأى بعض المشاركين العرب أنه ينبغى أن يتحقق السلام أولا ثم يبدأ انشاء سوق شرق أوسطى إثر ذلك.

ويبدو أن توصيات المؤتمر قد انتهت إلى ضرورة السير فى الاتجاهين معا ، والبدء من الآن فى التخطيط العربى الاسرائيلى حتى نكون جاهزين فورا للتعاون الاقتصادى عند إقرار السلام»، بما فى ذلك إعداد بنك معلومات. كما أعلن اللواء أحمد فخر أنه سيتم تنظيم حلقة أخرى لبحث القضايا التى لم تأخذ حظها من النقاش ، وأنه سوف يصدر كتابا يحتوى على كل أوراق المؤتمر وتوصياته.

ولم يكد المثقفون المصريون يفيقون من صدمة مؤتمر اللواء أحمد فخر الذى انعقد من ٢٩ إلى ٣١ مارس الماضى ، حتى فوجئوا فى صفحة الاهرام إياها (صفحة «مصر الخضراء» أو «مصر الاسرائيلية» كما يسميها بعض الظرفاء) تنبئنا فى يوم ١٠ إبريل بأنه قد عقد يوم ٤ أبريل بمقر الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع مؤتمر «عالمى» لبحث مبادرة جديدة لانشاء هيئة جديدة تقوم بالبحوث الاقتصادية الخاصة بالشرق الأوسط وسوقه. وهكذا اتسع الأمر من مبادرات سياسية إلى مبادرات

اقتصادية تتعلق بالقضية إياها: سوق الشرق الأوسط الذى تلعب فيه اسرائيل دورا قياديا لحساب واشنطن.

أما الذين قاموا بتنظيم هذه المبادرة الاقتصادية فهم مرة أخرى البنك الدولى ومؤسسة فورد الأمريكية وبرنامج الأمم المتحدة للانماء، وقد قام بتنسيق أعمال المبادرة لجنة تضم الحبيب المالكى، د. سعيد النجار، وسمير المقدسى، ولين سكويير. وقد أعلن الأجتماع أنه يستعد لتنظيم مؤتمر بالقاهرة فى ٤ يونيو القادم للاعلان عن بدء تكوين شبكة الباحثين الاقتصاديين الشرق أوسطيين، وبطبيعة الحال من الهيئات الأمريكية والدولية التي ستتولى تمويل هذه المؤسسة البحثية الجديدة. ولم يخف د. سعيد النجار فى رده على أسئلة محرر «مصر الخضراء» أهداف الموضوع فقال بصراحته المعهودة «هذه المبادرة كما هو واضح لها علاقة بما يدور فى المنطقة من أوضاع جديدة، إن المنطقة داخلة فى تطور وتطبيع مع اسرائيل. وواضح أن بعض جهات فى الدولة بدأت فى مبادرات مختلفة وهذه واحدة منها».

ثم أضاف د. سعيد النجار قائلا «لقد حضر إلى مصر د. ستانلى فيشر، وهو أستاذ اقتصاد يهودى من جامعة هارفارد وكان يشغل منصب نائب رئيس البنك الدولى وعلى مائدة الغذاء قال لى: «لابد لاسرائيل أن تدخل معكم فى المنطقة»، فقلت له: «إذا كان الهدف هو البدء (بإدخال اسرائيل فإن هذا سيقضى على المبادرة ، ولامانع من إدخال اسرائيل مستقبلا بعد صياغة السلام».

وواضح من هذا الكلام أن الجانب الأمريكى يلح على إدخال اسرائيل فى الهيئة البحثية المزمع إنشاؤها من الآن، بينما يرى آخرون مثل دسعيد النجار تأجيل دخولها إلى مابعد إبرام اتفاق السلام. وحيث أن الكثيرين من الحكوميين يعتقدون أن السلام على الابواب إذن فإن انتظار اسرائيل لن يكون طويلا!

والغريب أن بعض الاقتصاديين المصريين لم تكن لديهم حساسية د. سعيد النجار من موضوع ضم اسرائيل الآن، فهذا الدكتور علم يقول: «بصراحة لا أرى ثمة حساسية من ضم اسرائيل». والدكتور أحمد الغندور يقول بجرأة غريبة «إن مصالح مؤسسات مثل



اللواء احمد فخر

البنك الدولى قد تتفق مع المصالح القومية»، والدكتور عبد المنعم راضى يقول «لقد كسبنا سلاما فى الماضى فلماذا لانتعاون ونحقق الاستقرار». غير أن د. اسماعيل صبرى عبد الله قال «أنا غير مستريح للشكل التنظيمى المقترح. فمن يقدم المال يقدم أسلوب إنفاقه».

الأحداث تتوالى بسرعة لإعداد الرأى العام فى مصر والعالم العربى لما يسمى بالسلام العربى الاسرائيلى، ويتخذ القائمون على هذا الاعداد من صفحات «مصر الخضراء» كل يوم سبت من جريدة الاهرام منبرا لعرض الوقائع وإجراء مايسمى بالحوار بين المؤيدين والمعارضين مع أنه ليس هناك معارضون حقيقيون يتحدثون على هذه الصفحة أو الصفحات. وواضح لكل ذى عينين وبصيرة أننا أمام مؤامرة متصلة مركزها الحقيقى واشنطن وأجهزتها الاساسية الخارجية الأمريكية والمخابرات وبعض الجامعات الأمريكية (هارفارد على وجه الخصوص والبنك الدولى ومؤسسة فورد ... الخ).. وهذه المؤامرة تستهدف اختراق السد المنيع الذى بناه النضال الشعبى العربى ضد اسرائيل والصهيونية، والذى لايقبل الصلح الا على أساس المبادئ ،على أساس حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني وبناء الدولة المستقلة، والجلاء غير المشروط عن الجولان وجنوب لبنان. وواضح أيضا لكل ذى عينين وبصيرة أنه لا علاقات القوى الدولية ولا علاقات القوى الأقليمية بين العرب واسرائيل تسمح بتحقيق هذا اليوم. وإذن لايبقى أمام المفاوض الفلسطينى الا قبول الحكم الذاتى بشروط وظروف أسوأ مما كان معروضا فى كامب دافيد. فهل لمثل هذا قدم الشعب الفلسطينى ماقدم من تضحيات وشهداء؟

وإذا كان واضحا لنا أن مركز المؤامرة هو واشنطن فإن من الواضح كذلك أن لها أعوانا عديدين فى مصر وعمان وتونس المغرب والسعودية وبعض دول الخليج، هؤلاء الذين وصلوا إلى قناعة بأن مصالحهم الاقتصادية مع مصالح المؤسسات الدولية الأمريكية والمصالح الأسرائيلية، فرفعوا برقع الحياء وقرروا أن يلقوا بثقلهم وراء أمثال تلك المؤمرات.

إن الحجة التى تستخدم الآن لاقناعنا بأهمية إبرام سلام عاجل مع اسرائيل أنه إذا فاتنا القطار هذه المرة فلن نجد فرصة أخرى. لكن هذه الحجة تنسى أن تتساءل: ماذا سوف نصنع فى هذا القطار.. هل سنكون خدم الغرب فيه؟ ماهو دورنا بالضبط؟ لماذا نتهالك على التسليم ونظن أن توقيع معاهدة هو الغاية وأن ضياعها هو نهاية العالم؟ ومن قال حقا أنه لن تكون هناك فرصا أخرى لسلام عادل حقا؟

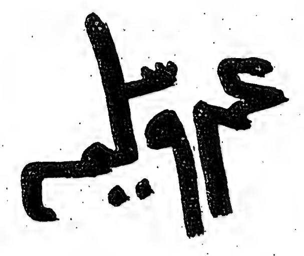
إن بعض الحكومات العربية التى تبحث عن استقرار أوضاعها تعتقد أن إبرام سلام مع اسرائيل من شأنه تحقيق هذا الاستقرار لها بضمان أمريكى. غير أن هذه نظرة قصيرة النظر ، لأنه حتى إذا أفلح الضمان الأمريكى فى تحقيق استقرار قهرى فى الأمد القصير فإن نضال الشعوب قادر على فرض وقائع جديدة على أمريكا وعلى اسرائيل وعلى أصدقائهما فى هذا الوطن العربى الكبير.

والعبرة بالخواتيم..



كاريكاتير
السوق الشرق أوسطية
قصة قصيرة
١
الإتفاق على السوق الشرق أوسطية
٢
السوق الشرق أوسطية
الإفتتاح بعد إسبوع
٣
السوق الشرق أوسطية
السوق الشرق أوسطية
للبيع
عملية تبادل تجاري بحت .. حنديلهم المياه والسلع اللي يحتاجوها ..
.. وحناخد منهم صابون؟ .. !
السوق الشرق أوسطية بين مصر وإسرائيل
؟!!


للأسف .. مافيش فإيدنا حاجة يا ابنى ..
زى ما انت شايف دى "سياسة عليا" ..
!!
؟!!
لا للسوق الشرق أوسطية
غصن سلام كامب ديفيد .
بالتأكيد يا هانم .. فكرة السوق الشرق أوسطية
فكرة مصرية ١٠٠٪ .. !
زمبلك
MADE in USA
بساعدك على التفكير بيسر وسهولة .
وزير الزراعة
صحافة


عمرو سليم


متضايق ليه .. مش إنت مع إتفاقيات الدفاع العربى المشترك والتكامل الإقتصادى والوحدة العربية ؟!!
١
٢
طبعاً ..
لا للسوق الشرق أوسطية
٣
خلاص متفقين .. كل اللى حيحصل بس إننا حنضيف دولة جديدة للإتفاقيات الحلوة دى كلها .. !
!!
لا للسوق الشرق أوسطية

معركة التقارير علمية ولجان الترقيات بجامعة القاهرة:

والدولة أيضا.. تتهم المفكرين بالإلحاد!!

الجامعة تتجاهل أربعة تقارير إيجابية

لصالح تقرير شاهين الذى يرفض الترقية.

محمد موسى

رفض مجلس جامعة القاهرة فى ١٨ مارس الماضى، ترقية د. نصر حامد أبو زيد إلى درجة الأستاذية.

اعتمد المجلس فى قراره على تقرير قدمه د. عبد الصبور شاهين- أحد أعضاء اللجنة العلمية الثلاثية- يحكم فيه على انتاج الباحث بالضعف العلمى، ويمتلئ بعبارات التشكيك فى عقيدة الباحث الذى «وضع نفسه مرصادا لكل مقولات الخطاب الدينى» حسب نص التقرير.

ومنذ تلك اللحظة ، اشتعلت المناقشات حول القضية. وبعد احتجاج أساتذة قسم اللغة العربية ومجلس كلية الآداب على عدم ترقية د. نصر ، خرجت القضية الى الرآى العام، لتثير عاصفة من الجدل والمساجلات.

ويعبر المعارضون لما حدث عن انزعاجهم لعقد مايسمونه «**بمحكمة تفتيش لعقيدة الباحث**»، والخلط بين شخصه وبحثه، ويضيفون أنها مواجهة بين قوى الجمود من ناحية ، وقوى التنوير والتقدم من ناحية أخرى. بينما يرى مؤيدو د. شاهين أن ماحدث هو الحق، رغم «**الهجمة العلمانية**» المساندة لأبحاث د. نصر كما يقولون

د. نصر أبو زيد:
الاستسلام لابتزاز التكفير يؤدى لنتائج خطيرة



ويحذر د. **محمد عصفور**- أستاذ القانون الدستورى والذى يتولى عرض قضية د. نصر أمام القضاء الإدارى- من المبالغة فى إثارة القضية، واختلاق معركة «حيث لامعركة» . وحدد د. عصفور أبعاد الموضوع بأنه «**قانونى بحت، يتعلق بالإجراءات التى يجب أن يلتزمها مجلس الجامعة عند مناقشة لتقارير اللجان العلمية للأخذ أو عدم الأخذ بها**».

«اليسار» تقدم قراءة فى أوراق القضية.

***

يخرج ماحدث عن الوصف التقليدى، بأنه «سابقة خطيرة» أو «مفاجأة غير متوقعة». وربما كان بطل القضية نفسه أول من تحسس الخطر القادم، ربما -كما يقول- منذ أكثر من عقدين، وبالتحديد عندما رفضت الجامعة- لأسباب مشابهة- رسالة الدكتوراه المقدمة من د. **محمد أحمد خلف الله** حول «**الأسلوب القصصى فى القرآن الكريم**».

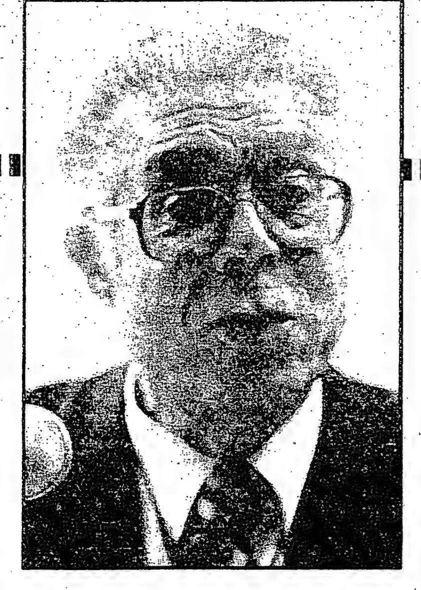
وفى كتابه الذى ثارت من حوله العواصف، تحدث د. نصر عن سلاح التكفير

الذى يشهره الخطاب الدينى فى وجه الذين يحاولون كشف قناعه الايديولوجى، وهو «**سلاح فعال فى واقع متخلف، يعانى أغلبية أفراده من الأمية التعليمية، ويعانى أغلبية متعلميه من الأمية الثقافية. وكثيرا مايستسلم بعض العقلانيين لابتزاز هذا السلاح، فيلجأون الى التقية والمصالحة مع الخطاب الدينى**، وهو موقف خطير فى مغزاه، وفى النتائج التى يؤدى إليها».

كأن د. نصر فى هذا النص يقرأ سيناريو القضية ، التى بدأت وقائعها فى ٩ مايو من العام الماضى، عندما تقدم بانتاجه العلمى إلى اللجنة العلمية الدائمة، للترقية إلى درجة أستاذ. وتشكلت لجنة القراءة والفحص من د. **محمود مكى ود. عونى عبد الرؤوف ود. عبد الصبور شاهين**. وفى الثالث من ديسمبر الماض اعتمدت اللجنة تقرير د. شاهين الذى يرفض الترقية ، لأن الإنتاج المقدم «لايرقى إلى درجة الأستاذ» ، بينما تجاهلت التقريرين الآخرين، الذين أشادا بفكر صاحبه المستنير، المستند «**إلى قراءة التراث قراءة واعية مستوعبة، يربط فيها بين الماضى والحاضر، ويجتهد فى أن يستخلص من تراثنا مايعين على تحرر الفكر، بحيث يصبح عاملا على تقدم الأمة**» كما جاء بتقرير د. مكى.

وعندما عقد مجلس جامعة القاهرة جلسته الطارئة فى ١٨ مارس الماضى، لمناقشة اجراءات السودان ضد فرع الجامعة بالخرطوم، تقرر تخصيص نهاية الجلسة لمناقشة ترقية د. نصر. كان أمام المجلس تقرير شاهين الذى اختير ليعبر عن رأى اللجنة العلمية ، وتقرير آخر من مجلس قسم اللغة العربية بكلية الآداب، يؤكد أحقية د. نصر فى الترقية، **لغزارة إنتاجه العلمى وتميزه، والتزامه المنهج العلمى**. ثم تقرير ثالث من مجلس الكلية، يؤكد أن **ابحاث المرشح تتميز بكل الصفات العلمية المطلوبة للترشيح لدرجة الأستاذية**.

للمرة الثانية، تم إزاحة كل التقارير الايجابية، ووافق مجلس الجامعة على التقرير الوحيد الذى يرفض ترقية د. نصر!



د. محمد عصفور: القضية قانونية تتعلق بلوائح الجامعة

ليس لهم علاقة بالإسلام!

يصف أساتذة قسم اللغة العربية «تقرير شاهين» الذى تم على أساسه رفض ترقية د. نصر، بأنه «**لايقدم وصفا متكاملا للأعمال المقدمة، بل يتوقف عند بعض أجزائها، تاركا أغلب الأجزاء، ويصفها بمالايكشف عن حقيقتها، ويناقض المقصد منها...**».

فماذا يقول د. شاهين فى تقريره «العلمى»؟

يقول فى صفحته الثانية مثلا «يعتبر الإنتاج إجمالا أشبه بالأعمال التى لم ينشر أكثرها فى دوريات علمية **محكمة** ، ولايجرؤ الباحث على نشر أفكاره فى المجتمع الذى يرفضها ولاشك، بل وقد يحكم عليها حكما قاسيا، كما يحكم على صاحبها».

لماذا؟

فى أول الكتب المقدمة من المرشح «**الإمام الشافعى وتأسيس الأيديولوجية الوسطية**» يقول د. نصر «آن أوان المراجعة والانتقال إلى مرحلة التحرر، لامن سلطة النصوص وحدها، بل من كل سلطة تعوق مسيرة الانسان فى عالمنا». وهنا يقول تقرير شاهين ببساطة وبدون دليل «علمى» ، أن «**أول النصوص التى مؤكد على ضرورة التحرر منها : القرآن والسنة**»!

يضيف تقرير شاهين: «وهو ينتصر بحماس شديد لرواية سلمان رشدى (آيات شيطانية) مع ما اشتهرت به من فساد وهلوسة». ويرد أساتذة اللغة العربية فى تفنيدهم لاتهامات شاهين، بأنه يتجاهل ما كتبه د. نصر من أنه ليس بصدد «مناقشة القيمة الأدبية لهذه الرواية أو تلك»، ولكنه يؤكد فقط عدم اختصاص رجال الدين وعلمائه بهذا المجال (النقد الأدبى).

وحول الكتاب الأساسى فى أعمال الباحث «**نقد الخطاب الدينى**» يصل تقرير شاهين إلى خلاصة «أن الباحث قد وضع نفسه مرصادا لكل مقولات الخطاب الدينى، حتى ولو كلفه ذلك إنكار البديهيات، أو إنكار ماعلم من الدين بالضرورة». وهنا - كما يقول د. **سيد القمنى- يخلط** التقرير بين الباحث وبين بحثه.

وعبر صفحات التقرير الإحدى عشر، تتوزع اتهامات شاهين للباحث، تم شطب بعضها مثل «**وهذا كفر صريح**» و«**رأى كافر مردود**» لتصبح أقل حدة فى عبارات من نوع «**يعمد الى تشويه القرآن**» أو «**يكشف أيضا عن خلل فى الاعتقاد**»، «**كلام أشبه بالإلحاد**».. **الخ**.

«لم نتهم الباحث بالكفر» يقول **د. عبد الصبور شاهين** فى حديثه إلى جريدة الأخبار (١٩٩٣/٤/٧) بل ويضيف «ولم يرد بالتقرير أى اتهام. ويرى شاهين أن مايحدث هو مؤامرة على جامعة القاهرة، ورد الفعل أمر غير طبيعى، فالغريب «**أن الذى يتحدث عن هذه القضية هم أناس ليس لهم أدنى علاقة بالإسلام**».

وهكذا- بضربة واحدة- أطاح شاهين بكل



د. جابر عصفور:
رئيس الجامعة تحول إلى شيخ صغير متدروش

من يتحدث عن القضية، ليتهمهم جميعا بانعدام الصلة بالاسلام، هو الذى ينفى عن نفسه اتهام د. نصر بالكفر!

من حقنا أن نتزعج

فور خروج القضية من أروقة الجامعة إلى الرآى العام، أعرب الكثير من المفكرين عن فزعهم لتعرض الجامعة لما أسموه «بالبحث فى عقيدة المرشح للأستاذية بدلا من فحص انتاجه».

كتب د. غالى شكرى (الأهرام - ١٩٩٣/٣/٣١) أن «القضية برمتها ليست مسألة ظلم، ولاهى مسألة ترقية، وإنما القضية هى الحيثيات التى جاءت فى تقرير لجنة الترقيات، والتى تشبه محاكم التفتيش، من حيث بعدها البعيد عن التقويم العلمى، وقربها القريب من البحث فى النوايا والضمائر، والحكم بالتكفير وغيره من مفردات الإرهاب الذى تحاربه مصر كلها. والمعنى المباشر أن هذا الإرهاب قد استطاع التسلل أخيرا إلى موقع يمكنه من معاقبة هذا الأستاذ عقابا رسميا وقانونيا».

والأمر- من وجهة نظر أحمد عبد المعطى حجازى- يتعلق بمستقبل الثقافة كما يتعلق بالديمقراطية. وكتب (الأهرام - ١٩٩٣/٤/٧) «ومع أن البحث فى عقيدة نصر أبو زيد ليس من اختصاص د. شاهين ولا لجنة الترقيات، فإن الذى يقرأ تقرير د. شاهين يرى أنه فشل أيضا فى إقناعنا بأن عقيدة د. نصر زائفة. لأن التقرير كتب بلغة انفعالية مليئة بالشتائم، ووقع فى أخطاء كثيرة...».

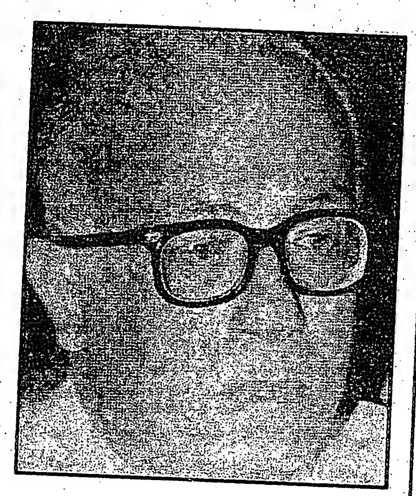
ومن حقنا أن ننزعج، هكذا كتب جمال الغيطانى (الاخبار- ١٩٩٣/٣/٣١) عندما نرى أن أى مشتغل بالثقافة قد «يفاجأ بمن يفتش فى أفكاره، ويصل الأمر إلى حد التكفير تلميحا أو تصريحا.. نتساءل عن الفرق بين من يحاول تكفير مفكر أو مثقف أو أستاذ جامعة، وبين تكفير آخر يقوم به متطرفون يحملون السلاح ضد مجتمع بأكمله؟.

وفى نفس اليوم، كتبت فريدة النقاش فى «الأهالى» أن رفض ترقية د. نصر- الذى هو فضيحة بكل المعانى لمجلس جامعة القاهرة- يظهر على نحو واضح كيف «يهجم الإرهاب الفكرى باسم الدين، وهو يساند الإرهاب المدجج بالسلاح ويقدم له الفتاوى، فى توجيه ضربة قاسية- بليل- لحرية البحث والفكر والاعتقاد» ووصفت الكاتبة تقرير شاهين بأنه تحريض سافر للجهلاء ضد تفكير عقلانى حر، ودعت كافة المثقفين للتصدى «لهذا التدهور الذى يهدد حياتنا الثقافية فى الصميم».

وطالب لطفى الخولى (الاهرام- ١٩٩٣/٤/٧) أعضاء مجلس الجامعة بأن يشرحوا- أمام التاريخ- لماذا قبلوا- علميا- تقريرا «من نوعية كهذا التقرير الذى دبجه د. شاهين». وأضاف: علينا أن نطرح بقوة وإلحاح مسألة جامعة القاهرة، وكل المسائل الجامعية فى بلادنا، وذلك أن اغتيال العقول وتصفية المفكرين بات لهما شواهد مفزعة داخل الجامعة وخارجها.

وكتب فاروق عبد القادر (روزاليوسف- ١٩٩٣/٤/٥) أن المأساة هى أن ينجح هذا الرجل (شاهين) بالإرهاب والابتزاز والتكفير فى أن يفرض تقريره «المشبوه» على اللجنة .. ويتساءل الكاتب: كيف يمكن أن نتحد فى مواجهة «الإرهاب» القائم على «التكفير» إذا كان هذا النمط من التفكير يمارس فى أرقى مؤسساتنا العلمية؟

وأعربت عبلة الروينى عن انزعاجها «لإهدار معنى الجامعة وتقاليدها ورسالتها، إهدار العقل والعقلانية كمنهج.. خاصة وقد تجاوزت اللجنة حدود دورها العلمى».



د. فؤاد زكريا:
شيوخ شركات التوظيف يثأرون من منتقديهم.

دعوة إلى القتل

على الجانب الآخر، وقفت جريدة «الشعب»، ومعها مصطفى محمود وثروت أباظة، ضد ماأسموه بثورة العلمانيين وأشباه المسلمين. وصفت جريدة الشعب د. عبد الصبور شاهين بأنه «العالم المتبتل فى محراب العلم» نقلا عن أحد المشعوذين (أى العلمانيين أنفسهم). وبينما نشرت الجريدة نص تقرير د. شاهين، لم يخجل د. مصطفى محمود (الاهرام - ١٩٩٣/٤/١) من اقتباس فقرات التقرير بالنص، ونسبها لنفسه، كأنه يقرأ ويحلل ماكتبه د. نصر، ولم يكلف نفسه حتى

صياغة الجمل من جديد. ويختم هجومه بقوله: «لم ننكر عليه إلا النيشان والدرجة.. إنما أصبح مطلوبة أن نذعن، ثم نضرب لسيادته سلاما، ثم نهتف له.. الخ».

أما ماكتبه ثروت أباظة (الاهرام -١٢/٤/١٩٩٣) فهو أعنف هجوم على د. نصر، وأقل مايوصف به أنه تحريض، ليس فقط على طرد نصر من الجامعة كما يقولها بصراحة، بل على قتله أيضا!

يحفل المقال ببدائع اللغة الأباظية، من أول هجومه على نص «قلبر لمئ عقن..» إلى «أقسم فهر حانث إن الشهوعيين إلى فناء، فما هم اليوم عندنا فى مصر إلا بقية من حشرجة الموت..» الخ. ويصيح أباظة بأعلى صوته «أن بقاء هذا الآثم المجنون فى الجامعة إهدار للدين والمعتقل التلاميذ من الذين يتلقون الكفر على يديه». ذلك أن هذا الأستاذ «كافر لاشك» كما يقولها أباظة بكل البساطة، مقدما دعوة للمتطرفين للثأر لدين الله.

ومازال د. عبد الصبور شاهين يواصل معركته ضد د. نصر شخصا وفكرا، وفى أعقاب القائه خطبة الجمعة (٧/٤/١٩٩٣) فى مسجد عمر بن العاص، تعهد شاهين بعدم ترقية د. نصر إلا إذا تقدم بانتاج جديد، وقال «بالشكل ده عمره ما حيترقى.. ليه؟ لأن الكلام اللى جه لايمكن ينجح بيه فى أى وقت.. يعمل إنتاج غير كده خالص عشان ينجح» ولم ينس د. شاهين الإشادة بنفسه قائلا «ماحنا اساتذة كبار قوى.. يعنى مافيش مننا كتير فى العالم العربى والإسلامى يعنى» وبالطبع فليس فى هذا شئ من الغرور، كما اختتم د. شاهين كلمته!

فضيحة الجلسة التاريخية

فى مساء نفس اليوم الذى ألقيت فيه هذه الخطبة، كان اتيلية القاهرة يحتفى بكتاب «نقد الخطاب الدينى» للدكتور نصر أبو زيد وكانت مناسبة عبر فيها الحاضرون عن قلقهم البالغ لموقف الجامعة. ووصف د. فؤاد زكريا تقرير شاهين السلبى بأنه « ذو مستوى علمى هابط، يحتوى على عبارات انفعالية وأحكام عامة ضعيفة». وأضاف د. زكريا بأنه لم يندهش لانفعال صاحب التقرير، وذلك أن د. نصر ينتقد بشدة شيوخ شركات توظيف الأموال، الذين ساهموا فى أكبر عملية نصب فى التاريخ باسم الدين، وكاتب التقرير السلبى أحدهم، وكانت النزاهة تقتضيه أن ينحى نفسه من الحكم على انتاج الباحث.. وقال د. زكريا «لقد تمنيت أن أشاهد تسجيلا لجلسة مجلس الجامعة، وهو يتخذ قرار رفض الترقية، ذلك أنها جلسة تاريخية بأسوأ معانى الكلمة».

ووجه د. مصطفى مندور تحية إلى د. نصر «هذا الرجل الشجاع الذى يكتب هذه الأبحاث، فى زمن يخشى فيه الكثيرون الاقتراب من تلك المناطق.. وأنا أؤكد أن الابتزاز غير بعيد إطلاقا عن كل اللجان العلمية فى الجامعة».

ونبهت د. هدى زكريا أستاذة علم الاجتماع السياسى بجامعة الزقازيق إلى ضرورة البحث عن رؤية سوسيولوجية لهذه المعركة، لنتفادى حصرها فى إطار الصراع الفردى، ونتلمس حدود «تلك الدائرة الجهنمية غير الملموسة، التى تنكشف عن أسلاك كهرباء عارية، بمجرد أن تمتد يد نحوها».

وأكد د. جابر عصفور على ضرورة الوقوف بحزم لوقف هذه المهزلة وقال «كفانا تنازلا.. إذا كنا على الحق، فلماذا نقبل الدنية فى علمنا؟». أن هذا الحادث ينطوى على ضياع العلم والجامعة تماما. وعندما تبنى رئيس جامعة القاهرة تقريرا غير علمى، نقل نفسه من مقعد كان يجلس عليه لطفى السيد، إلى كرسى يجلس عليه إمام متدروش فى مسجد السيدة نفيسة».

د. نصر، الذى يرفض الحديث عن ملابسات القضية، ذكر فقط أنه كان يشعر بتربص د. شاهين من قبل التقدم للأستاذية.

أضاف د. نصر: عندما قرأت تقرير شاهين للمرة الأولى، مت من الضحك، ودخلت على الطلبة متقمصا شخصية كاتب التقرير، قرأت عليهم بصوت فخم عبارة من التقرير «فهو بحق جدلية تضرب فى جدلية، لتخرج بجدلية، تلد جدلية، تحمل فى أحشائها جنينا جدليا، متجادلا بذاته مع ذاته..»

يضيف د. نصر بأسى حقيقى: لقد انفجر المدرج فى التصفيق عندما انتهيت من إلقاء العبارة!

فانظروا إلى أية درجة تم العبث بعقول الشباب!

د. عبد الصبور شاهين:
لن يترقى د. نصر إذا لم يقدم انتاجا جديدا..



إسلام لاكهانة

إعلام الورى. بالعلة الصحيحة لما جرى

خليل عبد الكريم

عندما تقرأ فى كتب التراث فى سيرة أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها وأرضاها، تصيبك الدهشة مما قالته مثلا تعقيبا على آية من القرآن، أو تأكيدها أن أكثر من آية كانت تتلى على عهد النبى صلى الله عليه وآله وسلم، بصورة مختلفة أوبزيادة بعض الكلمات فيها، أو إجابتها عندما تسأل: هذا عمل الكُتّاب أخطأوا فى الكتاب (= الكتابة)، أو تعليقها على ماكان يحدث أمامها سواء فى حجراتها أو حجرات باقى زوجات الرسول عليه السلام.

وإذا طالعت مؤلفات «علوم القرآن» تصادفك أمور تحيرك وقد أورد منها- على سبيل المثال الذى يحتمله الحيز المتاح- **أبو بكر عبد الله أبوداوود سليمان بن الأشعث السجستانى العديد** منها فى كتابه **«المصاحف»** مثل:

إختلاف مصاحف أعلام الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ك **على بن أبى طالب، وأبى بن كعب وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس..»** الخ، لا فى ترتيب السور ولكن فى ألفاظ عدد من الآيات سواء بالنقص أو بالزيادة، دعك من إختلاف القراءات أو الأحرف.

ولو أننى ذكرت شطرا مما جاء على لسان **الصدّيقة**- طيب الله ثراها ناقلا إياه من أمهات موسوعات السنة «الصحاح»، أو من أشهردواوين السيرة المشرفة (التى تلقتها الأمة بالقبول والتجلة)، أو أوردت بعضا مما إنضوى عليه كتاب **«المصاحف»** للسجستانى الذى من رواته (القاضى الإمام فخر القضاه **أبو الفضل الأرموى) و(الشيخ الأمام العدل أبو الفضل بن عبد السلام بن سلطان)** وهما من هما فى التبحر فى العلم والإشتهار بالتقوى، لو أننى فعلت ذلك لصودر هذا العدد من مجلة اليسار ولقدمت مع رئيس التحرير للمحاكمة بتهم عديدة أخفها الكفر والإلحاد والمروق من الملة والعياذ بالله تعالى.

فاذا وصلت إلى المحدثين الذين سطروا سيرة أم المؤمنين **عائشة** حتى الذين بدأوا حياتهم الفكرية بقدر معقول من الليبرالية مثل الأستاذ العقاد لألقيت سردا مختلفا.

أما المعاصرون الذين يؤلفون فى «علوم القرآن» فهم لايحجمون عن الاستشهاد بما تضمنه **«المصاحف»** للسجستانى فحسب بل يهاجمونه ويطعنون عليه حتى فى عقيدته بأسلوب يتسم بالمغالطة والمكابرة واللعب بالألفاظ ولى أعناق الكلمات ولو كان السجستانى كذلك لما أقدم على رواية كتابة (الإمام **فخر القضاة**) و**(الأمام العدل)**!!!

كثيرا ماساءلت نفسى لماذا تمتاز كتب التراث المتقدمة بهذا الإمتياز الباهر بالأمانة العلمية على المؤلفات المتأخرة والمعاصرة؟ وماالذى جعلنا نتقدم الى الخلف؟

والجواب على ذلك يخلص - على مايحتمله طبيعة هذا المقال-: أنه بعد الطفرة الباهرة فى الحضارة والثقافة لدى المسلمين فى القرون الثلاثة الأولى من جراء إختلاطهم بغيرهم من الشعوب واطلاعهم على إبداعاتهم عن طريق الترجمة التى بدأت مبكرة- فى عهد الأمويين- وكان المسلمون آنذاك فى قمة مجدهم وانتصاراتهم وتوسعاتهم- لم يكن أمامهم من سبيل إلا الكتابة بحرية وعقلانية، ولكن للأسف فإن هذه الموجة الزاهرة إنحسرت، وكانت لذلك أسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية وعسكرية- لامحل لذكرها هنا- ثم تكرس الارتداد على يد **الاشعرى** (توفى فى الربع الأول من القرن الرابع الهجرى) ثم على يد **الغزالى** (القرن الخامس الهجرى)، فهيمن على **(الفضاء الدينى)** مانسميه بـ الدوجماطيقية أو الإنغلاقية التى وجدت فى الطغم الحاكمة آنذاك سندا ونصيرا، وتحددت (المواضيع الدينية) تحديدا صارما، بل، وخُطت لها لغة خاصة بها غدا من المحظور الخروج عنها. من ذلك التاريخ أصبح (الفضاء الدينى بكافة فروعه) محصورا داخل ذلك السياج الصارم، ومن وقتها لم يستطع أحد أن يقتحمه حتى أصحاب حركة التنوير الحديثة: **الطهطاوى الأفغانى، عبده** لم يجرأوا على ذلك وأن حاولوا الإلتفاف حوله وهو مايطلق عليه بعض الباحثين خطأ- (التلفيقية)، وعلى الرغم من أن الجيل الذى خلفهم: طه حسين، العقاد، هيكل، بدأ مستنيرا وعقلانيا، إلا أنه فى(الإسلاميات) لم يتمكن من الإستمرار فى استنارته وعقلانيته ودخل طائعا مختارا حظيرة الدوجماطيقية- وإن اختلفت درجاتهم فى ذلك.

خلاصة القول أن هذه **(الإنغلاقية)** الدينية ظلت منذ قرون ومازالت هى المسيطرة والمهيمنة والحاكمة على (الفضاء الدينى) وإذ أنها تعد من أهم أسباب ما تتردى فيه الشعوب العربية والإسلامية من تخلف وجمود وقهر، لإنها والتفكير الحر والعقلانية على طرفى نقيض، فقد حاول- فى مصر- فى العقد الأخير بالتجديد- نفرمن الباحثين- ولعلها لم تكن مصادفة أن تصدر مؤلفاتهم من دار نشر واحدة- إختراق سور (الدوجماطيقية) التى سجنت فى داخله العقل الإسلامى- وكان د. **نصر حامد أبو زيد** واحدا من ألمعهم، فقد كتب عن **الأمام الشافعى** ولكن لم يفعل كغيره- من المتأخرين والمحدثين - الذين يؤلفون عن العباقرة والأعلام وأئمة المذاهب فيجنحون إلى الأسلوب التمجيدى التعظيمى ولايذكرون سوى المناقب والفضائل والمزايا والشمائل والنماذج ومفاتيح الشخصيات.. الخ وهو النهج الذى لاترضى (الانغلاقية) عن سواه ولاترى له بديلا، وإنما حلل فقه الشافعى أو فكرة ومن السطور الأولى فى كتابه **(الأمام الشافعى وتأسيس الإيديولوجية الوسطية)** قال عنه: «يبدو وكأنه يؤسس بالعقل إلغاء العقل» وهذا فى نظر دهاقنة (الدوجماطيقية) كبيرة الكبائر. ولم يقف عند ذلك بل توغل داخل السياج وأقدم على **(نقد الخطاب الدينى)** بما فيه اليسار الإسلامى- وكاتب هذه السطور يختلف معه فى هذه النقطة- وأصحاب (الخطاب الدينى) هم الخلف النجيب لواضعى الخطوط العريضة لتلك (الإنغلاقية) فثارت ثائرتهم ولم يغفروا له ذلك فلما حانت لهم الفرصة التى تمثلت فى طلب ترقيته إلى أستاذ انتهزوها وحرموه من حقه.

هذه هى علة العلل فيما حدث.

ولذا فإن الذين يختزلون القضية فى كونها معركة شخصية بين مهاجم لشركات توظيف الأموال ومدافع عنها يسطحونها و ينزلون بمستواه من مفكر صاحب منهج متكامل حر إلى أحد الذين ناصبوا تلك الشركات العداوة، فضلا عن الهبوط بمستواها من قضية قومية- حرية البحث العلمى فى الجامعات العربية عامة والمصرية خاصة- الى قضية ذاتية تحركها دوافع شخصية، لو كان هذا التحليل صحيحا وهو بالقطع ليس كذلك!

فلماذا وافق على التقرير السالب أساتذة لايختلف إثنان على أنهم كبار، منهم الدكاترة **شوقى ضيف، أحمد هيكل، نبيلة هانم ابراهيم، محمود حجازى**، ولاصلة لهؤلاء بشركات توظيف الأموال؟ ولكن قد يكون أستاذ الجامعة عالما مرموقا فى تخصصه إنما لملابسات عديدة- قد يفطن لها القارئ اللبيب- لاطاقة لها بأقتحام سور (الدوجماطيقية) ولاحتى بالإصطدام بـ (سدنتها) وما أدراك ماهؤلاء والجهات المتنفذة التى تقف وراءهم والتى تملك سيف المعز وذهبه!!

ولكن الدكتور نصر فعل ذلك بجسارة فاستحق الحرمان فى نظرهم من درجة علمية هو جدير بها بكل المقاييس.

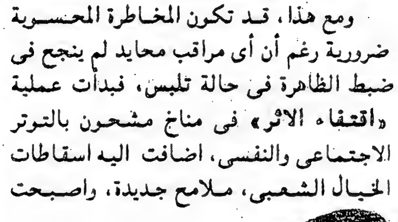
فى ظاهرة إغماء الطالبات:
القبض على الضحية وهروب الجناة
عريضة اتهام لمناهج التعليم

وخطاب الشعوذة واجواء التوتر
وخطر الحرملك والبطالة

مدحت الزاهد

يقر ويعترف كاتب هذه السطور أن الاقتراب من ظاهرة إغماء الطالبات أشبه مايكون بالاقتراب من حقل الغام، ينطوى السير فيه على محاذير ومخاطر، ويحتاج التعامل معه الى خبراء مفرقعات!

ومع هذا، قد تكون المخاطرة المحسوبة ضرورية رغم أن أى مراقب محايد لم ينجح فى ضبط الظاهرة فى حالة تلبس، فبدأت عملية «اقتفاء الاثر» فى مناخ مشحون بالتوتر الاجتماعى والنفسى، اضافت اليه اسقاطات الخيال الشعبى، ملامح جديدة، واصبحت شهادة الشهود، حتى بعد الادلاء بالقسم، مزيجا من مكونات الخيال ومصادر القلق ووقائع ماجرى بالفعل فى مدارس البنات.





حقل الالغام

ومحاذير السير فى حقل الالغام لاتنطوى على هذا المحظور وحده، ففى مثل هذا الجو يبرز خطر تقديم الضحية الى المحاكمة وهروب الجناة.

والجناة، الذين رشحهم الخيال الشعبى، كفاعلين اصليين، لم يضبطهم احد فى مسرح الاحداث.

لم يضبط أحد اسرائيل تطلق فى الجو قنابل ريح تصيب الفتيات بالعقم، ولم يتابع أحد حركة الريح، ليشرح لماذا حطت بغازاتها فى محافظة البحيرة بالذات، وانطلقت منها الى الشرقية، ثم باقى المحافظات.

ولم يشاهد احد اسرائيليين ممن زاروا أبو حصيرة بمحافظة البحيرة، بؤرة اندلاع الظاهرة، وهم يطلقون الغاز عن قرب فى اتجاه قرية بويط.. مستهدفين بعض مدارس البنات.

ولم يتقدم للشهادة، اى مواطن، رأى **عناصر الجماعة الاسلامية وهى تتسلل تحت جنح الظلام لتنشر على حوائط فصول البنات بودرة تصيبهن بالدوار** امتدادا لموقف الجماعة من سفور المرأة مع العلم أن معظم بنات المدارس وعلى الاخص، فى القرى، لم تعدن سافرات!.

ولم يضبط أحد هيئة أركان الحكومة، وهى تعقد اجتماعا سريا مغلقا لاعتماد **خطة الهاء الناس عن فضيحة لوسى ارتين، بفضيحة أخرى.. هى فضيحة إغماء الطالبات!.**

باختصار كان الخيال الشعبى قد اطلق مصادر القلق وينابيع الخوف، وجسد فيهم شخوص «الجناة».

أما الحكومة فلم تسلم بعريضة الاتهام، فقد قدمت للمحاكمة تحليلا نفسيا، مجردا من أى مضمون اجتماعى.

ولم يقنع تفسير الحكومة معظم الناس، فالحالة النفسية تبدو فى أذهان الناس نوعا من الجنون، والتفسير النفسى بدا وكأنه محاولة حكومية للتأثير على هيئة المحكمة. ولم تجهد نفسها فى شرح الاسباب الاجتماعية للهستيريا الجماعية التى امتدت الى كل محافظات مصر، مثلما تسرى النار فى الهشيم..

وفضلا عن ذلك، فإن التفسير النفسى، بدا ايضا عمليا كنوع من المساعدة على **هروب الجناة**، فلم يبق على مسرح الحدث سوى الضحية وحدها، وظهر مصطلح **«دلع البنات»** وأصبح مرادفا للتحليل النفسى المجرد.. وظهرت بوادر تشير الى أن الضحية قد تكون المتهم، وقد تدخل قفص الاتهام.

ينابيع الخوف

وعلى الرغم من كل اهمية دراسة مكونات الخيال الشعبى التى عكست مصادر خوف المجتمع وينابيع قلقه، والتعامل - بكل جدية - مع التفسيرات التى قدمها لحالة قلق اجتماعى عام تنتمى بصلة وثيقة الى نفس مخزون القلق الذى خرجت منه ظاهرة أغماء الطالبات.. فإن التسليم بما قدمه الخيال الشعبى من تفسيرات للظاهرة ينطوى على خطر إضفاء قوة خرافية على خصوم هذا الخيال. تضع المجتمع فى وضع لا إرادى، تحت طائلة قوة خرافية ما، نجحت فى التسلل الى مدارس وفصول البنات، مثلما نجحت فى التسلل الى أجهزة الخصوبة للفتيات..

أسئلة حائرة!

كما أن الاجتهادات الأخرى التى لاتستند الى دليل، مثل تسرب غاز من خط أنابيب الغاز الطبيعى أو من المحطة الغازية ومحطة الكهرباء تطرح اسئلة بأكثر مما تقدم اجابات..

فإن كانت الرائحة التى ذكرت بعض الطالبات انها سبقت حالات الاغماء قد تسربت من خط الغاز الطبيعى فإن السؤال يثار.. ولماذا تم التسرب الى مدارس البنات بالذات؟

ولماذا إختار مدرسة **بويط** الاعدادية التجارية، مع أن المدرسة الابتدائية تجاورها على نفس الخط، على بعد امتار؟

ولماذا ايضا طار الغاز بعيدا عن ٦ مدرسات وعاملة تعمل فى المدرسة؟

وأن كان الغاز قد تسرب من المحطة الغازية (محطة الكهرباء) فلماذا ظهر التسرب فى **بويط**، مع أن المحطة تجاور المحمودية التى انتقلت اليها حالات الاغماء بعد ذلك بأيام؟

ولماذا اختار الغاز المتسرب مجال التعليم بالذات؟ وعلى الاخص مدارس البنات؟ واختار فيها مدارس دون مدارس وطالبات... دون طالبات؟

سحابة فى السماء..

والاسئلة التى تطرحها مختلف التفسيرات الأخرى كثيرة، ويكشف بعضها عن المستوى الثقافى والتعليمى، **فرأفت الشرنوبى** الطالب بتجارة المحمودية فسر الظاهرة بتبنى رواية يتداولها الاهالى تؤكد أن هناك سحابه معلقة فى السماء فوق شبراخيت ، بدأت من الرحمانية، وكلما حطت فى قرية، انتشرت فيها العدوى..

وفيما ذكر الاهالى بقرية فيشه أن شخصا غريبا كان قد تجول فى فصول مدرسة التجارة بزعم السؤال عن شقيقتة الغائبة، والتى لم يكن لها وجود بين اسماء طالبات المدرسة، هو الذى نثر البودرة، فتوالت بعد خروجه حالات الاغماء.. فإن طالبات من مختلف فصول المدرسة انكرن هذه الواقعة، من الاصل، وقلن انها محض خيال..

وعطا أحمد قبلاوى ، العامل بمدرسة **بويط** أكد، فى نفى مسألة البودرة، أن حالات الاغماء بدأت فى فناء المدرسة، عندما سقطت الطالبة **فرحانه حسين** طالبة السنة الثالثة، فى حصة الالعاب.

الظاهرة انتشرت من البؤرة فى المحيط وطارت من «بويط» الى كل محافظات مصر

* *

تكررت الحالة: مدارس البنات.. التعليم الفنى.. الفترة المسائية.. بنات القرى

الحقيقة الغائبة

وكل تلك الصعوبات تشير الى طبيعة حقل الالغام الذى يسير فيه الباحث عن الحقيقة فى ظاهرة اجتماعية واسعة الانتشار، لم يضبطها أحد فى حالة «تلبس» ، بل سار وراءها «يقتفى الأثر» بعد أن اطلق الخيال الشعبى جماحه، حتى اننا عندما سألت **حامد عودة** المدرس بتجارة دمنهور بنات، والذى عاصر حالات الاغماء فى بدايتها عن الفارق بين مارآه وماسمعه من روايات تتداولها الالسن اجاب بأنه لم يبق من الحقيقة سوى بعض الظلال..

وليس من سبيل لتجاوز ذلك كله، ومحاولة الاقتراب من تفسير علمى للظاهرة سوى بدراسة الحالة من عدد من الزوايا.. **التوقيت.. بؤرة الحدث.. مجالات الانتشار.. نوع الجنس.. المرحلة السنية والتعليمية.. الفئة الاجتماعية.. خط الانتشار..**

ومثل هذا المنهج ضرورى فى ملاحقة الحدث وتوابعه، حتى لوثبت أنه كان هناك، فى نقطة البداية، فاعل اصلىّ، واتفاق جنائى، مع سبق الاصرار والترصد! إلا أن المسألة الأكثر جوهرية فى تلك الظاهرة، ليس نقطة انطلاقها فى بؤرة معينة، بل انتشارها على هذا النحو، فى كل محافظات مصر مثلما تسرى النار فى الهشيم..

إثارة

وحالات الاغماء بدأت فى نهاية شهر مارس، وامتدت فى شهر ابريل، وحتى ساعة كتابة هذه السطور.. عندما سقطت طالبة الفترة المسائية **فرحانة حسين** من عزبة الشراقوة فى فناء مدرسة **بويط** ثم امتدت الى مدارس **فيشه وشهبور وسماريس** على خط واحد شمالا حتى وصلت مدينة

المحمودية بعدها باربعة أيام وجنوبا، حتى وصلت مدينة دمنهور بعدها بست أيام، وفى اليوم السابع حدثت حالات اغماء جماعى للطالبات فى محطة قطار دمنهور، وكان السبب كما تقول اميرة عاشور الطالبة بمدرسة التجارة أن شائعة انتشرت حول وفاة طالبتين.. وامتدت الظاهرة الى باقى المحافظات وكانت مانشيتات الاثارة قد لعبت دورها قبلها

(الاغماء المفاجئ يدخل مرحلة الخطر)

(مصرع طالبة بالشرقية وارتفاع اعداد الحالات الى ٥٠٠٠)

(العدوى تهاجم محافظات الصعيد وحالة الرعب تسود البلاد)

انتشار

ومن نقطة البداية الى مجالات الانتشار نلاحظ عدة تكرا...

فالظاهرة تنشر أكثر فى مدارس التعليم الفنى للبنات، تليها مدارس المرحلة الاعدادية. وفى فصول الفترة المسائية، **والحالات تبدأ على الأغلب بطالبات الشهادات** (الدبلوم والاعدادية)، وهى أكثر انتشارا بين الطالبات اللاتى يذهبن الى مدرسة القرية من العزبة، او مدرسة المدينة من القرى.. **والاعراض دوخة وصداع.. وحالات الافاقة.. تتم سريعا احيانا بقطع قطن مبللة بالماء، كما ذكر أطباء مستشفى الحميات بدمنهور،** أو بانذار بفتح غرفة العلميات كما ذكر مدير مستشفى كفر صقر بالشرقية.

ومن الأمور الملفتة للنظر ايضا أن الظاهرة كانت أكثر انتشارا فى مدارس التعليم الفنى، وخذ على سبيل المثال بوبط وفيشه والمحمودية وتجارة دمنهور بالبحيرة ، وأحمد عرابى ببورسعيد، والفنية والصناعية بنات بالشرقية، والفنية بطامية بالفيوم والعجوزة

توابع حالات الاغماء مثل توابع زلزال الاثنين الاسود

❊ ❊ ❊

طالب دبلوم يفسر حالات الاغماء بسحابة معلقة فى السماء فوق «شبراخيت»

❊ ❊ ❊

اشباح اسرائيل والارهاب والفقر والبطالة تطارد الاناث والذكور

❊ ❊ ❊

الظاهرة كشفت مصادر القلق وينابيع الخوف فى المجتمع العربى





الثانوية التجارية بالجيزة..

ويؤكد معظم المدرسين على قسوة المناهج فى التعليم الفنى، ويفسرون بها جانبا من ظاهرة الاغماء.

اشباح البطالة والحرملك

تتفق اميرة فوزى (تجارة دمنهور) وفخرى مفتاح دبلوم تجارة (الشوكة) ونوال سعد ابراهيم وعايدة سعيد (مدرسة بريط) ومروة فؤاد (الثانوية التجريبية بنات) بأن مناهج الدراسة لم تكتمل، وانهن يشعرن بقلق بالغ مع اقتراب موعد الامتحانات، وتقول هيمات غازى مجد (بريط) أن حالة الاغماء قد بدأت فى فصلها ٤/٣ فى حصة العلوم، التى انقطع مدرسها منذ شهور..

وتؤكد بنات الدبلوم انهن خائفات من الامتحان... ومن العودة للحرملك مع تضاؤل فرص العمل..

وتلاحظ زينب الجيلى المدرسة بتجارة دمنهور أن البنات أكثر تعاطفا وقابلية للايحاء.. وتضرب على ذلك مثلا ببدء حالات الاغماء فى الامتحانات بالطالبات وتداعى الظاهرة بينهن، فى حين يغلب على سلوك الاولاد الرغبة فى تقديم المساعدة..

ويشير المدرسون الى أن بنات التعليم الفنى ينتمين الى مستويات ثقافية واجتماعية ادنى، والى اسر تتحمل اعباء اقتصادية لمواصلة مشوار التعليم..

كما أن ملاحظة أخرى مشتركة وهى أن المدرس الخصوصى أو مجموعة التقوية، بدأت تلعب دورا موازيا لدور المدرسة، فمعظم الطالبات يخرجن من منازلهن، فى السادسة صباحا، على موعد مع «المجموعة» قبل بدء اليوم الدراسى، وتعود فى السادسة مساء.. بعد استكمال الدروس.

ومن الملفت للنظر أن معظم المقابلات التى اجريتها مع الطالبات تمت فى شقق اجرها المدرسون، بها كراس وسبورة وطباشير، لاعطاء الدروس للمجموعات، لكل مدرس حجرة، تخرج منها مجموعة لتدخل مجموعة فى الميعاد)

وكما هو واضح، فإن الظاهرة، بدأت قرب نهاية عام دراسى طويل تخلله انقطاع أثر زلزال ١٢ أكتوبر، الذى أصاب أكثر ما أصاب المدارس، وادى لتعطيل الدراسة، فى مناخ مشحون بعوامل القلق بعد امتداد عمليات الارهاب الى مناطق التجمعات..

وقد يكون السؤال مشروعا عن غيبة الظاهرة عن طالبات الثانوية العامة الاكثر قلقا فى هذا الوقت من العام، ولكن هؤلاء الطالبات وبشهادة المدرسين، انقطعن عن الدراسة، وتوقفن عن الذهاب للمدارس..

توابع الاغماء

وإذا كانت شهادة الاطباء قد أكدت أن الظاهرة لم يصاحبها مرض عضوى، وشهادة معامل تحليل الماء والهواء اكدت خلوها من مصادر التلوث، فليس من الانصاف اعتبار الظاهرة مجرد «دلع بنات» أو مسا من الشيطان تلبس البنات عندما أقتربت ايام الامتحان..

فالظاهرة فى امتدادها وفى الشائعات التى طاردتها والجو الذى احاط بها، لم تقتصر على البنات، فالجو العام للقلق امتد الى الاناث والذكور.. الصغار والكبار، وتوابع حالات الاغماء الذى ضرب مصر مساء الاربعاء ٣١ مارس، ليست أقل من توابع الزلزال الذى ضربها يوم الاثنين الاسود ١٢ أكتوبر..

فقد كشفت هذه التوابع عن مخزون هائل للقلق وينابيع كثيرة للخوف، ولضعف مناعة المجتمع أمام منطق الشائعات والخرافات، وتراجع خطاب العلم والتنوير لصالح خطاب «الشعوذة» وفقدان اليقين..

كما كشفت التوابع أيضا صحافة الاثارة التى خلطت الخبر بالشائعات والتحقيق الصحفى بدور الحاكى أو جهاز التسجيل.. فى نموذج مكرر لحادث فتاة العتبة الذى قدم للرأى العام كحادث اغتصاب تم فى ميدان عام أمام جموع المصريين جهارا نهارا، دون أن يملك احد حق الاعتراض..

وكشفت التوابع أن التعليم فى حاجة الى إصلاح عميق لايجعل من المدرسة سجنا ومن ادمغة الطلاب تربة للتلقين بعد أن تحول المعلم الى ملقن، تنافسه مجموعات التقوية، لتتحول المدرسة من ميدان للتربية والتعليم، الى جهاز التلقين والاهم من ذلك أن التوابع قد كشفت أن اسرائيل والارهاب يحتلان مكان الصدارة فى مخاوف الناس.. وان الفقر والبطالة اشباح تطارد الناس فى المدارس، مثلما تطاردهم فى كل مكان ومن الضرورى التقاط هذه الرسالة.. وعدم تقييد الحادث ضد مجهول، أو القبض على الضحية، وتوفير الفرصة لهروب الجناة.

السياسة الزراعية
وقراءة فى بيان الحكومة

محمد عراقى

حتي لايكون هناك اعتساف أو تجاوز للحقيقة.وحتى نعطى ما لقيصر لقيصر نرى أنه يتوجب علينا ألا نقرأ الجانب الزراعى فى بيان الحكومة معزولا عن السياسة الزراعية وماحوته من توجهات ارتضاها صندوق النقد ونفذها المسئولون بالأمانة المطلوبة وفى التوقيت المطلوب.ولن نحتكم إلا إلى أرقام الحكومة الواردة فى البيان حتى لا نجعل من الإحصاءات مسألة كلامية أومثارا للجدل والتشكيك،وإذا كانت الأعمال بخواتيمها فمن الضرورى أن نضع المآل الذى صارت إليه تلك السياسة -بعد رصد وتتبع مسارها من بدء خطة (التحرير) وإذا كان المستقبل وليد الحاضر فإنه يكون من السهل عندئذ التنبؤ بمحطة الوصول الزراعية وهل هى إلى أرض السمن والعسل أم إلى الضياع والهاوية؟.

استهانة ومغالطة

لم ترد الأرقام التى قام بها البيان والمتعلقة بتطور الإنتاج المحصولى وفقا لقاعدة ثابتة فى اختيار سنة الأساس السابقة على عام المقارنة مباشرة أو سنة بدء الخطة الخمسية-وإنما كانت عاما لا إلى هذا ولا إلى ذاك،والأكثر من هذا أنها اختلفت من محصول لآخر فبينما تمت المقارنة فى القمح والذرة بسنة ١٩٨٩ تمت المقارنة فى القطن بعام ١٩٩٠ .وأنسحبت عملية الانتقاء كذلك على وحدات المنتج ووحدات المساحة ففى القمح والذرة والأرز جاءت أرقام الناتج الإجمالى ولم تذكر المساحة.

	عام ١٩٨٩	عام ١٩٩٠
قمح من	٣.٢ مليون طن	إلى ٤.٦ مليون طن
ذرة من	٤.٥ مليون طن	إلى ٥.١ مليون طن
أرز من	٢.٦ مليون طن	إلى ٣.٤ مليون طن

وتركت إنتاجية الفدان مجهلة مع أنها المعيار الوحيد لقياس معدلات التنمية الرأسية .لأنه فى هذه الفترة كما كانت هناك زيادة فى إجمالى الناتج كانت هناك زيادة موازية فى إجمالى المساحة الزراعية بالحبوب وكان إهمال ذكر حركة المساحة فى هذه الفترة-فترة المقارنة- عملا حكوميا إراديا لأنه لو عرف إجمالى الناتج وإجمالى المساحة وقسم الأول على الثانى لجاء الناتج على غير الوجه الذى ذكره البيان وربما بالسالب ويتضح أنه لم تكن هناك تنمية رأسية (ولايحزنون). وكما اختلفت وحدات المقارنة فى القطن فجاءت بالقنطار فدان اختلفت سنة الأساس فجاءت سنة ١٩٩٠ بدلا من سنة ١٩٨٩ المأخوذ فى الحبوب هكذا.

قطن بالفدان سنة ١٩٩٠ من ٥.١ قنطار إلى ٦.٦ قنطار سنة ١٩٩٢.

هذه الأرقام الانتقائية التى اختيرت لتعطى دلالات معينة فيها قدر كبير من حسن ظن الحكومة بغفلة الناس وتصورها بأكمله من الممكن أن تصوغ مفاهيمهم واستنتاجاتهم على الهيئة التى تريدها لا علي الصورة التى تقتضيها أمانة المعرفة.

ولذات السبب- الاعتماد على غفلة الناس-أهملت عمدا ذكر محاصيل أخرى لها من الأهمية والصلة بالأمن الغذائى ماكان يوجب إدراجها فى قائمة المقارنات لا لشيء سوى أن خطها البيانى جاء نازلا وبالتالى فنتيجتها السالبة لاتجلب التصفيق وإنما توجب المساءلة وفى ذكر مالم يذكر نورد أرقام الحكومة التى جاءت فى غير المكان وغير المناسبة،وهى تثبت أن عمل الحكومة فى الزراعة لم يكن خيرا كله وسنختار سنة الأساس التى اختارها البيان مادامت وحدة القاعدة فى الأشياء أساس لسلامة الحكم عليها.

	سنة ٨٩/ ٩٠ بالألف طن	سنة٩١/ ٩٢
فول بلدى	٥٨٣	٤٣٩
عدس	١٤	١٢
فول سودانى	٢٩	٢٧
فول صويا	١٢٩	١٢٠

	سنة ٨٨/ ٨٩	سنة ٩١/ ٩٢
قطن	٥٤٢٢ بالألف قنطار	٥٢٣٠

ومافعلته الحكومة فى بيانها بالمحاصيل فعلت مثله فى الأراضى فذكرت أن الأراضى المستصلحة فى الخطة الخمسية الثانية ٨٥٠ ألف فدان ولم تذكر الأراضى المستقطعة بالبناء والتجريف من الأراضى القديمة ذات الإنتاجية فوق الجدية والبنية الأساسية المكتملة ولم تذكر حقيقة المحصلة الإجمالية للناتج القومى وهل الفرق بين هذا الناتج الذى أضفناه بالاستزراع وذلك الذى خسرناه بالاستقطاع سالب أم موجب علما بأن دور الأراضى المستصلحة مازال حتى الآن شديد الهامشية فمن ١٩٣٧٠ مليون جنيه هى جملة إنتاجنا الزراعى سنة ١٩٩٠/١٩٩١ كان إنتاج الأرض القديمة ١٨٤٨٩ مليون جنيه بنسبة ٩٥.٥٪ بينما بلغ مثيله فى الأراضى الجديدة ٨٨١ مليون جنيه بنسبة ٤.٥٪ وتتراجع هذه النسبة أكثر فى مجال إنتاج الحبوب إذ بلغ إنتاج الأرض القديمة ١٢٤٢٠ مليون جنيه بنسبة ٩٨٪ من إجمالى الناتج وتراجع إنتاج الأرض الجديدة إلى ٢٥٩ مليون جنيه مجرد ٢٪ من المكون الكلى.

بين الجحيم والجليد

عن تكاليف وعائد الإنتاج الزراعى يؤكد البيان ص٤١ ومابعدها- على أن رفع أسعار المستلزمات سياسة حكومية تصاعدية ولها تسمية تحاول تبليعها للزراع تحت مقولة (تصحيح الأسعار) يقول البيان «ولذلك كان من الطبيعى أن تجمع كل الآراء على أن تصحيح الأسعار لأهم السلع والخدمات يعتبر عنصرا جوهريا فى برنامج الإصلاح الهيكلى» ويدعى البيان «أن هذا البرنامج قد ساعد فى تحقيق تقدم ملموس فى تصحيح العلاقة المختلة بين تكاليف الإنتاج وأسعار المنتج» فهل تم حقيقة تصحيح هذه العلاقة فى مجال الزراعة أم أن أسعار منتجات الزراعة تتجمد بينما التكاليف تشتعل؟

وفى هذا أيضا لن تتجاوز حركة الأسعار المعلنة حكوميا سواء فى ذلك ما يدفعه الفلاح فى مجال التكلفة أو مايقبضه ثمنا لمحاصيله المنتجة وهذه هى أهم مستلزمات الإنتاج من أسمدة وبذور ومبيدات وخدمة بين سنوات ٩١/٩٢ الزراعة ونسبة الزيادة ٪.

	سنة ٩١	سنة ٩٢	نسبة الزيادة٪
شيكارة سماد يوريا من	٢٠ جنيها	٢٥جنيها	٢٥٪
شيكارة سوبر أحادى	٧	١٠	٤٣٪
صفيحة وقود آلات	٤	٦	٥٠٪
علبة زيت موتور	١٦	٣٢	١٠٠٪
إعارة موتور يوم	١٥	٢٧	٨٠٪
ساعة رى	٢	٣.٥	٧٥٪
قطن الأردب	١٢	٥٠	٣١٦٪
دراس الساعة	١٢	١٧	٤٢٪
مبيدبرومينال	٨	٣٢	٤٠٠٪

ويأخذ معدل الزيادة فى كل مفردة من التكاليف واعتبار ماتمثله فى إجمالى التكاليف الكلية يكون متوسط الزيادة فى تكاليف الفدان ٥٠٪-ولم يدخل العنصر البشرى فى هذه الحسبة-هذا ماتقوله أرقام الحكومة فى حركة مستلزمات الانتاج من واقع أسعارها المعلنة فماذا تقول أرقامها فى حركة أسعار المحاصيل المسوقة اختياريا وماهو معدل الزيادة بين عامى المقارنة؟

	سنة ٩١ الزراعية	سنة ٩٢	نسبة الزيادة ٪
قمح الأردب بـ	٧٥جنيها	٧٥ جنيها	صفر ٪
ذرة الأردب	٥٥	٥٥	صفر ٪
أرز الطن	٤٠٠	٤٠٠	صفر ٪

أما القطن فمازالت الحكومة تحصل على أتاوة من الفلاحين فيه وتأخذه من ٦٦٪ من سعره العالمي وبعد كل هذه الزيادة فى تكاليف إنتاج المحاصيل وكل هذا الجمود فى أسعار بيعها يصبح الكلام عن تحسين أحوال الفلاحين وزيادة مداخليهم اجتراء على الحقيقة ومغالطةلايقدر عليها إلا بيان الحكومة!!!

الشريك المرفوع

لقد فهمت السياسة الزراعية المصرية التي وضعتها الحكومة وأقرها عليها صندوق النقد الدولى-تحرير الزراعة على أنه التخلص من جميع الاختصاصات المتعلقة بتوجيه الزراعة وتوسعت فى الفهم فجعلت هذا التحرير ينسحب على جميع حقوق الملكية العامة ثم تواضعت أكثر فتجاوزت حتى عن سلطات الشريك المرفوع. ومن الآن فصاعدا ومن واقع البيان سوف يقتصر عمل هذا الجهاز العملاق الذى هو وزارة الزراعة على مجرد المشورة بالكلمة الطيبة. والموعظة الحسنة. أما جميع مايتعلق بتوفير وتقنين وتوزيع مستلزمات الإنتاج ودعم السلف ومواد الخدمة والحركة التعاونية وتسويق المحاصيل فقد تخلت عنه طواعية واختيارا وتركت الزراعة هكذا تتحرك عشوائيا بعد أن غاب عنها التوجيه المركزى وبالتبعية الهدف القومى والاجتماعى.

وإذا كانت جميع دول العالم بما فيها تلك الآخذة بنظام الاقتصاد الحر تتدخل فى توجيه الاقتصاد الزراعى -بالقرار أوبالحافز-بل وتدعمه ماديا بدرجة بالغة الضخامة يتم هذا فى دول العالم الأول والثانى والثالث، فى دول السوق الأوربية واليابان وأمريكا مثل ما في سنغافورة وتايلاند والمغرب- ألغى الحسن الثانى ملك المغرب ديون الفلاحين المستحقة عليهم فى عام ١٩٩٢-إلا أن حكومة مصر ومن واقع البيان قررت أن تكون ملكية أكثر من الملك فقطعت كل صلة لها بتوجيه أو دعم الزراعة

الأوكازيون الكبير والتقسيط المريح

وكما لوكانت تحوز منكرا سارعت الحكومة بالتخلص من جميع مايتبعها زراعيا سواء فى ذلك الأراضى أو محطات الميكنة أو الغربلة وإعداد التقاوى وكذلك كل مايخصها فى تنمية الثروة الحيوانية والداجنة جميع عنابر التسمين ومصانع العلف ٨٤ مشروعا بالتمام تدخل فى نطاقها أسماء لها شهرتها ووضعها المتميز غرب النوبارية-شمال التحرير-منطقة البستان-وادى الملاك-إدفينا-الجميزة- وحتى الآن بيع ١٦ مشروعا بـ ٤٠٠ مليون جنيه فقط ومازالت تجد فى بيع الباقى ،فى أكبر أوكازيون يحتوى جميع الميزات من مرونة السعر إلى تيسير الدفع إلى عدم الوقوف طويلا عند شخصية المشترى فلم يتحدد بدقة من هم المسموح لهم بشراء أو المساهمة فى شراء هذه المشاريع هل هم المصريون فقط أم المصريون والعرب؟أم أن دائرة المستثمرين ستتسع لتشمل الأجانب؟وأي أجانب؟ وهل هناك مايمنع من دخول الأجانب غير المرغوب فيهم بذواتهم أو من خلال اخرين؟المؤكد الوحيد أن الأوكازيون سيظل منصوبا ولن ينفض السوق حتى تأتي الحكومة على كل مالديها من تبعيات زراعية يمكن تقويمها بمقابل نقدى وبذلك ينتهى دور الوزارة فى توجيه الإنتاج من خلال ماتقدمه من نماذج رائدة لمايتم فى مزارعها فلن تكون لها مزارع وتخرج هذه المشاريع العملاقة الـ٨٤ من دائرة إنتاج كل مايتصل بخبزنا اليومى. فالمستثمرون لايحبون زراعة الحبوب ولم تعد هناك جهة يمكن أن تلزمهم بذلك .

تسويق الكوارث

وضمن سلسلة الإلغاءات التى أقدمت عليها السياسة الزراعية الجديدة(**تحرير الزراعة**) وقدمها البيان على سبيل التباهى والفخر وكأنه إنجاز كبير تطلب منا أن نحمدها عليه جاء **وقف العمل بنظام الدورة الزراعية وإلغاء كل مايتعلق بالتركيب المحصولى** وترك الناس كل على هواه يزرع من شاء ما شاء وبدءا من هذا العام وأخذا بهذه الرخصة-إلغاء الدورة- بدأت فوضى الزراعة وتداخلت المحاصيل وتنوعت فى مساحات شديدة الضآلة ولم تعد هناك أية إمكانية لتقديم خدمة آلية متطورة بعد أن فقدت شرطها الأساسى وهو المساحات الواسعة الناتجة عن وجود زراعات موحدة متجانسة فى النوع والعمر فى الجوار الواحد ،فلم تعد هناك أية إمكانية لاستخدام أجهزة التسوية بالليزر وكومبينات الحصاد وكل مايحتاج إلي مساحات واسعة للانتقال والحركة - كما إن إلغاء الدورة وترك الزراعة حسب الهوى سوف يفتح الباب واسعا أمام الهجرة الواسعة من محاصيل الأمن الغذائى-الحبوب الزيتية والسكرية-إلى محاصيل أخرى هامشية من هذا المنظور ولكنها ذات ربحية أعلى ولأن هذه الهجرة عشوائيةغير محسوبة فهى غالبا ماتؤدى إلي كوارث سعرية للمنتجين تختل العلاقة بين العرض والطلب فى الداخل-لصالح الطلب- ويتعثر التصدير فيعجز المنتجون عن تصريف مالديهم فيبيعونه بأسعار غير اقتصادية تقل كثيرا عن حسابات التكلفة ويتجاوز الأمر حدود الخسارة العادية إلى نزول الكارثة والغرق فى دوامة المديونية وهذا الوضع قائم الآن في البطاطس ٣كيلو بجنيه والبصل ٤ كيلو بجنيه والبرتقال ٥٠ قرشا للكيلو من الأصناف الراقية على عكس محاصيل الحبوب التى تمت الهجرة منها والتى جاوز فيها سعر الدقيق جنيها للكيلو وهنا ينسحق المستهلكون تحت وطأة سلعة غير مرنة في الاستهلاك-دقيق الخبز-والغريب أن الذى مازال ممنوعا بقانون رغم إلغاء الدورة هو زراعة الأرز فى منطقة التصريح الخامس مع أن الزراع لايأخذون مياها زائدة عن المقننات التى تحددها وتصرفها وزارة الرى وأن وزارة الرى تفقد مليارات الأمتار المكعبة من المياه بأسباب عدم ترشيد أساليب الرى واختلال معامل الإنحدار فى الترع وورد النيل والحشائش المائية والموالق ولكنه منطق الذى يفرط فى الحصان ويحرس اللجام.

التعاون الزراعى فى الإنعاش

التعاون أحد أشكال الملكية الثلاثة-عامة خاصة تعاونية- لم يذكر فى بيان الحكومة إلا في عبارات إنشائية فيها من سد الخانة وعدم ذكر أي توجه موضوعى مايؤكد مضمون سياسة التحرير التى أعطت كل السلطة للقطاع الخاص ومنحته من التسهيلات مالم يحصل عليه التعاون فلم تعد تعاونيات الزراعة تلعب دورا ذا بال في عمليات التمويل أو الخدمة أو توفير المستلزمات وقانونها القائم فقد صلاحيته وتجاوزته المرحلة وقانونها الجديد لايراد له أن يصدر وسياسة تحرير الزراعة وبيان الحكومة هما الامتداد الطبيعى لما بدأه السادات سنة ٧٦ فقد كان له فضل البدء فى الحفر تحت جدار الحركة التعاونية كما كان لحكومة بيان ٩٢/١٢/٢٨ فضل الاستمرار فى خنقها وماجاء به البيان يوضح إصرار الحكومة على غيبوبة التعاون وبقائه أسير غرفة الانعاش

الفقراء يمتنعون

أكد بيان الحكومة أن إلغاء دعم الانتاج الزراعى والحيوانى وعلى عكس ماهو متبع فى دول العالم-هو طلاق بائن بينونة كبرى لارجعة فيه رغم أن أوربا-دول السوق-قدمت دعما لإنتاجها الزراعى سنة ١٩٩١ مقداره ١٤١٫٨ مليار دولار وقدمت اليابان ٦٢٫٢ مليار دولار والولايات المتحدة ٨٠٫٨ مليار دولار لنفس الفترة وبإلغاء دعم الأعلاف والقروض قضت الحكومة على اخر المشاريع الحيوانية الناجحة مشروع البتلو وبعد ثبات السعر عند ٧ جنيهات لكليو اللحم البتلو لمدة ٣ سنوات ألغى الدعم وانفتحت أبواب التصدير ودخلت مفاهيم تحرير الزراعة التى أكد عليها البيان فى التطبيق فشاط اللحم ووصل سعر كيلو الكندوز ١٢ جنيها للقطع غير الممتازة و١٤ جنيها للأخرى وأصبح المكتوب على محلات الجزارة **الفقراء يمتنعون**.

المستهدفات والآليات

وإذا كان بيان الحكومة قد حدد فى مستهدفات العام الزراعى الجديد زيادات فى محاصيل السمسم والشعير والذرة بنوعيها الشامية والرفيعة وعباد الشمس وفول الصويا والقطن وبذرته فمن حقنا أن نحتفظ على هذه الوعود لأن الحكومة لم تعد تملك أدوات التنفيذ بعد أن تخلت عن كل ما يتعلق بالتوجيه والتمويل المدعوم والتسويق وتوفير المستلزمات وجميع الوسائل المؤدية لإحداث تنمية حقيقية ومن المستحيل العقلى تحقيق المستهدفات فى ظل غياب الآليات وإذا كان هذا هو الحال الذى أوصلتنا إليه السياسة الزراعية التى أكد عليها البيان ولم نكد ننتهي من سنة أولى تحرير فليس من الصعب التنبؤ ،بما يمكن أن يكون عليه مستقبل الزراعة المصرية إذا أصرت الحكومة المصرية على الثبات على المبدأ وتمسكت بسياسة تحرير الزراعة بذات الصورة التى هى عليه الآن.

«عجين الفلاحة»

عرض خاص تقدمة الحكومة مجانا للمستثمرين

احمد الحصرى

مازالت الحكومة المصرية تواصل مهمة سياسية«**عجين الفلاحة** »والمعروفة حركيا باسم تشجيع الاستثمارات الاجنبية.. حتى ان رئيس الجمهورية فى جولته الاوربية والامريكية قد حرص على اصطحاب أكبر عدد ممكن من خبرا،«العجين» اصحاب الألقاب العلمية والوزارية تقدمهم **سعيد الطويل** ونخبه من اهل بيت رجال الاعمال.. وبعد انتهاء العرض الممتع للخبراء والوزراء ورجال الاعمال امام وزير التجارة الامريكية وعد سيادته بدراسة امكانيات فتح السوق الامريكية للمنتجات المصرية بحصه محدودة.. ويبدو ان الخبراء قد افرطوا وخرجوا عن نص السيناريو مما جعل وزير التجارة يتحدث امامهم عن مبادئ علم الاقتصاد الامريكى القائمه على مبدأ تحرير التجارة والاقتصاد فى البلدان غير الامريكية فقط.. وان برنامج كلينتون وكلامه عن دور جديد للدولة فى الاقتصاد الحر يخص فقط اصحاب الدم الازرق غير المتوافر فى اسواق العالم الثالث خاصة ارض الكنانة.. ومع اعجاب الوزير الامريكى بالاكروبات الذى قدمه الجانب المصرى قرر ان يتولى بنفسه مهمة تشجيع الشركات الامريكية لكن سيادته أضاف«الصغيرة فقط».. اما الشركات الكبيرة فلا بد ان يشاهدا اصحابها«الشو» الجديد علهم يقتنعون بالاستثمار فى مصر.. وتجاهل الوزير الامريكى او تناسى ان خبراء«العجين» قد انخلع«وسطهم» من الرقص اليومى طوال السنوات الماضيةامام الخواجه **كلورايد وفيليبس وفايزر وجايجى وموبيل وفورد وشل**.. وعرفوا النوم فى شوارع الخواجه مانهاتن ومورجان وروكفلر.. وتجرعوا حتى الثماله من المشروب الرسمى لدورة برشلونة انتاج الخاجة «كوكا» ومع ذلك فقد ذهب كل الخواجات الى اسواق الاستثمار الاوربى والامريكى والياباني.. ودائما كان ينتهى«الشو» المصرى برسالة رقيقة للدكتور **عاطف صدقى** من ثلاث كلمات«فوت علينا بكره»(راجع العدد الماضى من اليسار).

بصله الخواجه وخروف الحكومه

ولأن حكومة د. **عاطف صدقى** وماسبقها من حكومات«الباب المفتوح» قد اعتنقت مبدأ ان «بصله المحب خروف» فلم تشغل بالها طوال سنوات الانفتاح التسع عشرة بقراءه تقارير الامم المتحدة التى اكدت إنخفاض نصيب مصر من الاستثمارات العالمية من ١ر١٪ فى الفترة ٨٠- ٨٤ الى٨ر٠٪ عام٨٩.....

ونترك الكلام لخبراء الاقتصاد الذين لايعرفون«العجين» فنجد ان مصر قد خرج منها ٧جنيهات مقابل كل جنيه دخلها على يد اصحاب الدولارات والفرنكات والريالات.. وهو مايفوق استنزاف دول امريكا اللاتينية التى اشتهرت تاريخيا بأعلى معدل لاستنزاف الموارد القومية على يد رأس المال الاجنبى حيث كان المعدل٦: ١ فقط..

وفى دراسة اخرى للدكتور **حسام مندور** على عينه من ٥٤مشروعا صناعيا تمثل حصرا شبه كامل للمشروعات المشتركة على الشركات متعدية الجنسيات ثبت ان هيكل التمويل لها كان يعتمد على البنوك المحلية فى تمويل استثماراتها.. وان بين ٣٠- ٤٥٪ من القروض بالعمله المحليه لتلك العينه من الشركات تأتى من مصادر محليه..

حكومه حاتم الطائى

وأمام كرم حكومات الباب المفتوح إشترطت الحكومات الغربية على مصر الاتفاق مع شركات المقاولات الأجنبية لتنفيذالمشروعات المحلية على اساطيلهم، وتشغيل ابناء اليانكى والفرنجة العاطلين فى بلادهم، وهو مادى لتسرب موارد قومية جديدة فى صورة اتعاب ومرتبات ونفقات ودراسات جدوى وغيرها من البنود التى تجيدها شركات الخواجه.. ووصلت نسبه العماله الاجنبية فى مصر الى(٨٠٪) من حجم الاجانب فى تعداد ١٩٨٦.. وبينت الأرقام ان اجور العماله الاجنبية كانت اضعاف ماتحصل عليه العماله المصرية عن نفس الاعمال. وقد ذكر **د. السيد عبد المولى** فى احد دراساته ان العامل المصرى- يحصل على٥ر١٨٪ فقط من اجر الاجنبى الذى يقوم بنفس عمله.. وقالت رساله ماجستير ان متوسط نصيب اجر العامل الاجنبى يرتفع الى سبعة اضعاف فى المشروعات الصناعية... والأهم كما يقول **د. ابراهيم العيسوى** فى كتابه عن الانفتاح ان مساهمه رأس المال الاجنبى فى تشغيل العماله لم تتجاوز٣٥ر٠٪ من اجمالى العمالة المصرية.

اما تقارير الجهاز المركزى للمحاسبات فانها تقول.. فى الثمانينات بلغ عدد المشروعات التى ساهم فيها القطاع العام مع الاستثمار الاجنبى١٨١ مشروعا مشتركا.. ظلت٦١ شركه منهم من البداية وحتى اوائل التسعينات تحقق خسائر متتاليه بلغت عام٩١ وحده ٣٠٠ مليون جنيه.. تحمل القطاع العام منها الثلثين وفقا لقواعد الخساره فى النظام الدولى الجديد.. اما الشركات الرابحة فلم يتجاوز الرقم٥ر١ مليون جنيه عن رأس مال مدفوع ٤٢ مليون جنيه فى احدى السنوات، بينما تقول الارقام ان بنك الخواجه **مانهاتن** قد حول عن طريق مشاركته للبنك الاصلى فى نفس العام مبلغ ١١ مليون دولار عن رأس مال لايتجاوز ٣ مليون.....

صنع عند الخواجة

منذ بداية عهد الانفتاح والخصخصه وشعار الحكومات الانفتاحية«صنع فى مصر» يتحول تدريجيا الى «يباع فقط فى مصر» ذلك ان تفضيلات الخواجه الاجنبى لم يلائمها الاستثمار الصناعى.. وبعد ١٩ عاما من

الانفتاح يستطيع أى مواطن الذهاب لمحلات القطاع العام (هانو- شيكوريل- عمر افندى وغيرها) على الاخص شركه بيع المصنوعات المصرية ليجدان السلع المباعه كلها من انتاج الخواجه خارج مصر..

ومنذ بدء الانفتاح والخواجه يفضل الاستثمار الخدمى والبنكى والسياحى وهى نفس مجالات تفضيلات اصحاب«الدشداشه» فى بلدان النفط.. فى السبعينات احتل قطاعا الاستثمار والبنوك ٦٣٪ من رؤوس اموال مشروعات الانفتاح وكانت الصناعة فى المركز الثالث بنسبة١٨٪ فقط والعهده فى الأرقام على الجهاز المركزى للتعبئة العامه والاحصاء.

وفى نهاية الثمانينات واوائل التسعينات اضطر الجهاز المركزى للمحاسبات للشكوى من سلوك البنوك المشتركة والاجنبية والخاصة حيث تم توجيه معظم ارصدتها الى مجالات ليست لها اولوية في التنمية الأقتصادية.. ويؤكد الجهازان تلك البنوك قد وظفت ٦ر٦٣٪ من أرصدتها فى قطاعى التجاره والخدمات ولم يوجه للقطاعات السلعية سوى٥ر٢٤٪ فقط كما وجهت هذه البنوك نسبه كبيره من مواردها من النقد الاجنبى للايداع فى الخارج بنسبه ٣ر٧٠٪ من ارصده الودائع فى البنوك التجارية و٨ر٨٩٪ من ارصدة الودائع فى بنوك الاستثمار..

ولم تلتفت حكومات الباب المفتوح مره واحده على سبيل المجامله للاقتصاديين المصريين الذين حذروا فى مؤتمرات رسميه تتم تحت اشراف البنك المركزى من نتائج هذه السياسة التي عملت بهمة على تصفية ماتبقى من الهيكل الانتاجى المصرى خاصة شركات القطاع العام الصناعى وقد شاهدنا المسلسل قبل خطه الالف يوم فى بروفة محدوده قام بها الخواجه كلورايد فى شركة البطاريات. وجارى حاليا تصوير المشاهد الاخيرة لبيع ماتبقى عن طريقة الشركات القابضة

بروفه الماضى

وهى حاله تعود معها ذكريات الماضى عند ما قام مندوب الاحتلال البريطانى برفع تقرير إلى حكومته فى لندن بنتائج سياسته ويقول بالنص «ومن يقارن الحاله الراهنه بالحاله التى كانت عليها مصر منذ ١٥ عاما يرى فرقا ضخما.. فالشوارع التى كانت مكتظة بدكاكين ارباب الحرف والصناعات من غزالين وخياطين وصباغين وصانعى احذية قد اصبحت مزدحمة بالمقاهى والسيارات... والدكاكين اصبحت مليئة بالبضائع الاوربية- اما الصانع المصرى فقد تضاءل شأنه وتحطمت كفاءته على مر الزمن وفسد لديه الذوق الفنى الذى طالما اخرج فى العصر القديم المعجزات من مفاخر الصناعة.. انتهى كلام المندوب البريطانى- وكأن كلماته مكتوبه اليوم وليست في اواخر القرن الماضى...

عجانين وخبراء...

فى هيئة الاستثمار رفض المسئول عن التعامل مع الصحافة مدنابأى معلومات تفصيلية عن اتجاهات الاستثمارات ومجالات التفضيل.. وقدم فقط بيانا مكتوبا بخط اليد كتبه احد«العجانين» من الصف الثانى.. والغريب ان المسئول الكبير عند سؤاله عن البيانات المطلوبة قال باندهاش«وبراءة الاطفال فى عينيه» انها مشكله مصر.. لاتوجد احصائيات. واجهته بأننى حصلت منذ سنوات على تقارير مطبوعه وتفصيلية ومن داخل الهيئة.. اجاب نعم لكننا اوقفنا هذا النظام الآن.. والسبب.. يقول دون رمشة واحده من عينيه«إنها الصحافة» التي تقلب الحقائق وتأخذ الارقام السلبية فقط وتقوم بنشرها.. اترك«عجانين» الهيئة واذهب للبحث فى كتابات الراحل **فؤاد مرسى**... ونجد هذه الارقام المثيرة لترتيب مجالات استثمار المال الاجنبى. المركز الاول للسياحة بنسبة ٢٢٪ ثم الاسكان بنسبة١٣٪ وبعدها شركات الاستثمار١١٪ والبنوك٨٪ والخدمات٨٪ والزراعه ٦٪ ثم الغزل والنسيج ٦٪ والصناعات الهندسية ٥٪ ومواد البناء ٥٪ والصناعات الكيماوية ٥٪ والمعدنية ٢٪ والغذائيات ٢٪ والنقل والمواصلات ٢٪ والصحه والمستشفيات ٢٪ والصناعة الدوائية ١٪ ومجالات اخرى ٢٪

وتلاحظ الباحثة «محيازيتون» فى دراسه اخرى لسلوك الشركات متعدية الجنسية فى مجال السياحة، هو سيطرتها شبه الكامله على قطاع الخدمات الفندقية، فقد استحوذت على نسبة ١٠٠٪ من فنادق ٥نجوم و٦٣٪ من فنادق ٤ نجوم و٤٦٪ من فنادق ٣ نجوم.. الطريف ان الحكومه قد اصطدمت بالخواجه **شيراتون وهلتان** فى الأسابيع الاخيرة لاعتراضهما على عمليات البيع التى تقوم بها الحكومه..

شباشب كيماويه

ولأن الأرقام«حماله اوجه» وتستخدمها الحكومه على كل الوجوه فقد قام احد الباحثين بمعهد التخطيط واسمه **ماجد خشبة** بتحليل ارقام الحكومه عن الاستثمار الاجنبى فى الصناعة فى رساله ماجستير.. وجد الباحث ان مشروعات الصناعه الكيماوية يتكون ٥٠٪ منها من مشروعات منتجات بلاستيكيه(شباشب- اقلام جافه- احذيه -شنط) بالاضافه لمشروعات مستحضرات التجميل.. وفى الصناعات الغذائية تأتى مشروعات المياه الغازيه والعصائر فى المقدمة بنسبه ٢ر٥٢٪ من اجمالى الاستثمارات. اما مشروعات الصناعات المعدنية فيمثل نشاط تقطيع وتركيب الالومنيوم النشاط الرئيسى فيها بنسبه ٩ر ٣٧٪.. حتى الصناعات الهندسية نجد انها قد اتجهت الى انشطه التجميع وكان اغلب نشاطها تجميع اللوحات الكهربائية واجهزة التكييف وآلات التصوير والساعات والمصاعد.. وبمراجعه كل المشروعات اثبتت الدراسه انها تخلو من ايه صناعه الكترونيه عدا شركة لانتاج شاشات التليفزيون تعمل بحوالى ٢٠٪ من طاقتها .

بترول وخواجات

الملفت للنظر فى ارقام حكومات الباب المفتوح انها دائما لاتدرج حجم الاستثمارات الاجنبية فى قطاع البترول.. وحتى الآن لايعرف احد على وجه الدقة نسبه الاستثمارات فى قطاع البترول إلى إجمالى الاستثمارات فى كل القطاعات الأخرى.. والحكومه هنا على حق.. فكشف الارقام يعنى الفضيحة ويظهر محترفى لعبه«عجين الفلاحة» بالملابس الداخلية ولأن حكومتنا الرشيدة تتمتع بقدر عال من ضعف الذاكرة.. فقد نسى وزير الاقتصاد امام مؤتمر المغتربين او رجال الاعمال المصريين فى الخارج ماقاله رئيسه **عاطف صدقى** فى يناير الماضى اثناء القاء بيان الحكومه.. تحدث الوزير بفخر عن حجم الاستثمارات الخارجية المقدرة ب٣٤ مليار فى السنوات العشر الماضية.. وقال رئيسه امام مجلس الشعب فى بيانه ان الاستثمارات البترولية تبلغ ٢٠ مليار فى العشر سنوات الماضية.. وامامنا تفسيران.. اما إن الاستثمارات البترولية ال٢٠ جزء من الاجمالى ٣٤.. او انها مضافه فيصبح الرقم كله ٥٤ مليار.. فى الحاله الاولى تكون النسبه للبترول ٦٠٪ تقريبا من اجمالى الاستثمارات.. وفى الحاله الثانية تكون النسبة ٣٧٪.. وفى الحالتين كان الافضل صحيا للحكومة وخبراء العجين اعتزال الرقص امام الخواجات.

آليات السوق



سياسات لمنع أكل الأطفال

د. سمير حنا

لم أصدق حرفا واحدا مما قاله الرجل، ورغم وجود علاقات وخطوط متوازية بين ماذكره وبين ما عشناه فى السنوات الأخيرة،فإننى مقتنع بأنه قد ألف هذه الحكاية من أولها إلى آخرها.

وعلى كل فقد تكون هذه الحكاية حقيقية،وقد يكون لها مغزى، ولماذا نضيع الوقت، سأقص عليكم هذه القصة التي يزعم صديقى أنها حدثت فى إحدى بلاد عالمنا، عالم الجنوب،العالم الفقير وسأحاول أن ألخص ماحكاه خلال أمسية طويلة فى مشاهد ثلاثة قصيرة.

المشهد الأول:

ليل هادىء مضىء ببدر مكتمل ونجوم ترصع سماءا صافية. على الأرض أمتدت مائدة العشاء، مليئة بأنواع اللحوم والخضروات والنشويات والفواكه. يفوح مع البخار المتصاعد أريج التوابل المثيرة للشهية.

على رأس المائدة جلس الملك وحوله زوجاته وأبناؤه وبناته..

أجسام سوداء مستديرة لامعة يظهر بياض الأسنان والعيون الواسعة فى ظلام الليل وتبرز نهود الزوجات والبنات الكروية العارية. وتزين صدور الأبناء عقود الخرز وأنياب الحيوانات.

يأكل الجميع فى سعادة وحبور. فجأة لاحظ الملك وجوما على إبنه الأكبر الذى يجلس إلى يمينه ويكتشف أنه لايقرب أطباق اللحم.

الملك : مالك؟

الإبن: ماليش.

قطع الملك « هبرة » من اللحم بيده ودفع بها إلى الإبن .ردها الإبن برفق. تعجب الملك وقطع قطعة أخرى من طبق آخر. رفض الإبن أيضا. عندما الح الملك قال الإبن بصوت فشل فى أن يتحكم فى نبراته:«ماباكلشى بنى آدمين».

الملك :«مابتكلشى إيه؟».

الإبن:« مابكلشى بنى آدمين».

توقف الجميع عن الأكل. سكتت الحوارات الجانبية الضاحكة السعيدة.أسدل الستار على الأسنان البيضاء الباسمة والجميلة.ولم تبق إلا العيون الواسعة المترقبة فى الجو المتوتر.

نظر الملك فيما حوله بحرص، وتوجه بنظرة تأنيب إلى الزوجات والأبناء، فعادوا جميعا إلى الأكل، وإن كان الإيقاع قد هبط وأصوات الضحك والحوار قد اختفت.

ودار الحوار التالى:

الملك : «ليه يابنى»

الإبن: ..سكوت

الملك : هو ياإبنى لو كانت الآلهة مش عايزانا نأكل بنى آدمين هل كانت خلقتهم بهذه اللذة وبهذه الطراوة؟».

الإبن: «مابكلشى بنى آدمين»

الملك: « وهما دول بنى آدمين؟دول أطفال أبناء ناس غلابة شرفاء مكافحين. بيبيعوهم أهلهم عشان يبتدوا بثمنهم مشروع استثمارى: كشك خرز وحلى، مطعم صغير، حانة بوظة...أى رزق شريف.نحن نمر بظروف اقتصادية صعبة ، وكل بلاد العالم فها مصاعب اقتصادية..

الإبن: « يمكن مساعدتهم بطرق أخرى».

الملك: « أحلام صبيانية. عايزنا نمنع الناس إنها تبيع وتشترى زى ماتحب؟ده اللى تعلمته برة؟ **ماسمعتش عن آليات السوق؟ ماسمعتش عن هوبز وآدم سميث؟.**

الإبن: ..سكوت

الملك: « ماسمعتش عن البنك الدولى وصندوق النقد؟

الإبن: ...سكوت

الملك : نسيت جذورنا وتقاليدنا؟ **واحت فين أخلاقيات القرية؟**

الإبن: ..سكوت

الملك: «بلاش صندوق النقد..ماسمعتش عن يلتسن؟ ماسمعتش عن فؤاد سلطان؟ماسمعتش عن سعيد النجار وحازم بيلاوى؟.»

الإبن بإنفعال شديد ودموع منهمرة يهمهم ببعض الوقائع والأسماء:

سد عالى- حديد وصلب- الومنيوم- سماد- ناصر- عزيز صديقى- سبوتنك- تنمية- نمو ١٠٪ فى الصين..

الملك وقد إنفعل جدا واحمر وجهه(هكذا زعم صديقى..وأنا لا أعرف كيف يحمر وجه رجل أسود) وارتفع صوته: «إخرس ياكلب- ملحد- شيوعى - كافر- شمولى- إخرس..إخرس ..إخرس».

وهكذا انتهى المشهد الأول.

المشهد الثانى:

الملك يجلس على العرش وحوله الشيوخ والوزراء ورجال الأعمال بشنطهم السامسونايت ونظارات البيرسول.

كبير السحرة: «بلغنا ياجلالة الملك ماحدث..كارثة بكافة المقاييس.. إن الآلهة غاضبة أشد الغضب ولدى علامات عديدة منها تدل على أن ماصنعه إبنكم يستوجب بتره من المجتمع».

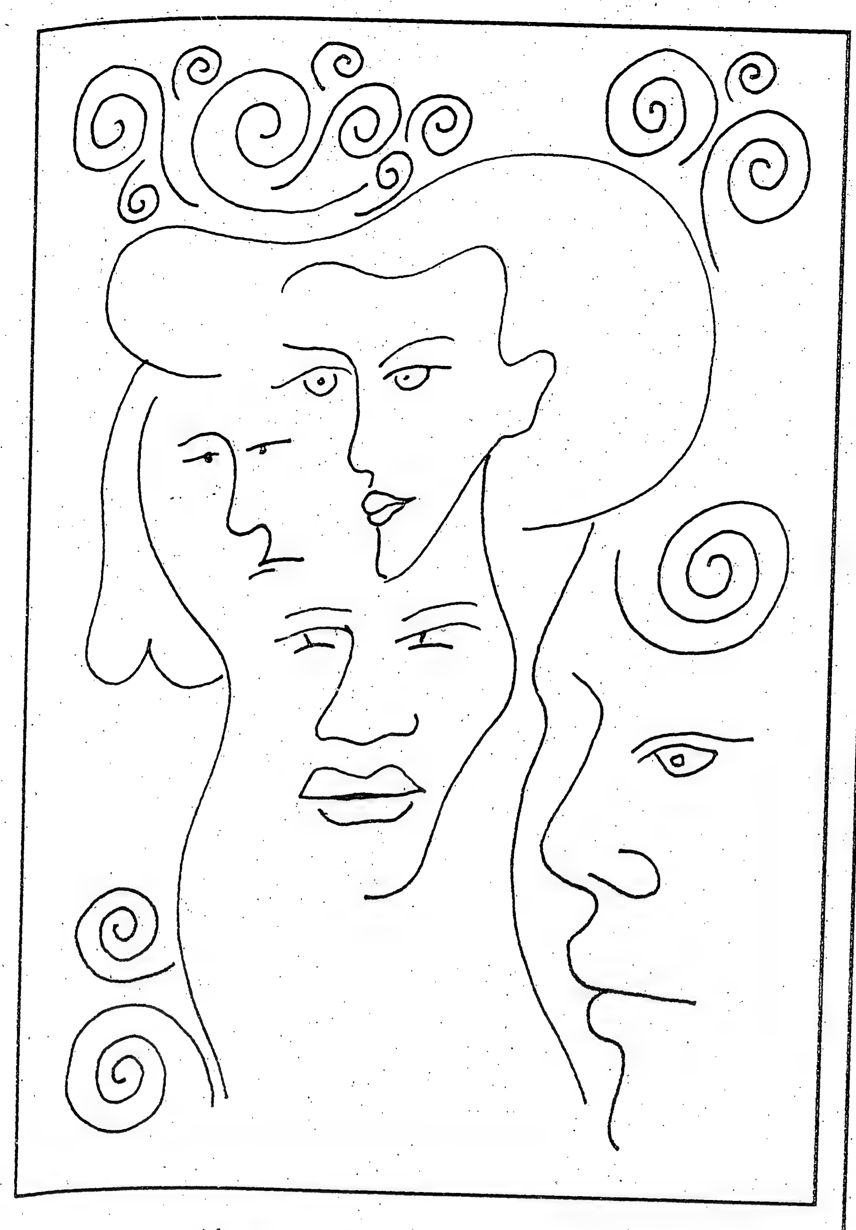
وزير الإقتصاد: «إن أى دراسة علمية جادة متأنية لهذا الموقف توضح مدى الكارثة. ماذا يريد الإبن العزيز.هل نأكل البقر؟ إننا نعيش على تصدير لحوم البقر والماشية، إن أى خطر على التجارة فى لحوم الأطفال سيثير غضب الهيئات الدولية».

ثم تحدث الوزير طويلا عن إتفاقية الجات والنظام العالمى الجديد.

وتحدث طويلا عن أهمية التصدير وقال «إن كل مانستورده من خرز وسكاكين وحراب يسدد ثمنه مما نصدره من لحوم البقر».

تحدث رجل أعمال فقال:« إن الدولة الحديثة تعتمد فى حياتها على الإستيراد والتصدير..وإن سياسة منع أكل الأطفال قد جربت من قبل فى عصور شمولية وانتهت إلى كوارث»..أوضح وهو يبتسم أن استيراد السكاكين يعود على الجالسين جميعا بالرفاهية والسعادة» ولاأريد أن أذكركم بالهدايا التى ترسلها لنا الشركات المنتجة فى الغرب.»

وتحدث وزير الإسكان فقال: إن هذه «التقليعة» الجديدة سوف تتسبب لو تركت فى كوارث كبيرة.. إن ترك هؤلاء الأطفال حتى يبلغوا سن الكبر سيؤدى إلى



أولا- إنهم سيتزوجون ويتناسلون..

ثانيا- سوف نضطر إلى ترك أطفالهم أيضا ليتزوجوا ويتناسلوا وتتفاقم المشكلة تفاقما لوغاريتميا. وسيطالب الجميع بخدمات وأعمال..بما لاطاقة لنا به.

ثالثا- النهاية واحدة.. سيموتون جميعا..

عاد كبير السحرة إلى الكلام وقال:« إن كل طفل يكبر من هؤلاء الأطفال سيتسبب في غضب الآلهة غضبا شديدا».

بفتور غير مقتنع حاول الملك أن يدافع عن إبنه، ولم يقتنع أحد ..وأصدر المجتمعون الحكم.

وانتهى المشهد الثانى

المشهد الثالث:

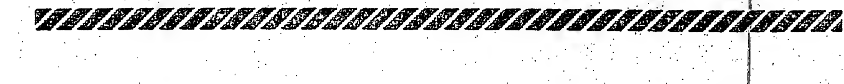
نفس المنظر الأول: الزوجات والأبناء والبنات والإبتسامات والأسنان اللامعة البيضاء، والنهود المستديرة وعقود الخرز والمأكولات الشهية:

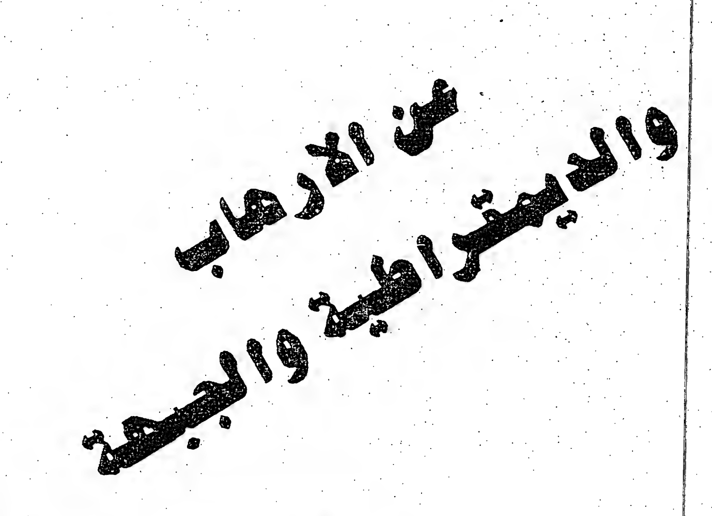
على يمين الملك جلس إبن آخر يلبس نظارة بيرسول..يقطع الملك« هبرة» من اللحم..أكلها الإبن بشراهة.

غاب الإبن الأول عن مكانه..ولكنه على أى حال- كان موجودا على المائدة..فى أطباق اللحوم.

ألم أقل لكم إنها قصة غير معقولة؟

ولكن..ألا تذكركم هذه القصة «ببناء جديد» نسمعه هذه الأيام؟.





ابراهيم بدراوى

مع تصاعد الارهاب المتستر بالدين، ودخوله إلى مرحلة جديدة نوعياً فى الفترة، الأخيرة، بممارساته ضد المجتمع ككل. طرحت بشكل واسع من كافة أطراف الحياة السياسية والتوجهات الفكرية والإنتماءات الاجتماعية- طرحت- قضية الارهاب وكيفية مواجهته.

ولاشك أنها قضية تكتسب أهميتها من إدراك دوائر متزايدة الاتساع للخطر البالغ على مستقبل الوطن، وللخطأ المدمر الذى تسببه أساليب تعامل الحكم مع القضايا الكبرى، وهو ما أفضى إلى ما نواجهه الآن.

ولايمكن الحديث عن القضايا الثلاث، سوى من منظور القناعة بأن بلادنا تمر الآن بأزمة مجتمعية شاملة، تتطلب إدراكا واعيا ومفعما بروح المسئولية لدى التصدى لقضايا تحدد مصير الوطن لفترة طويلة قادمة.

كما يتعين منذ البداية. أن نصحح نظرتنا لمسألة الارهاب لتشمل جانبى الظاهرة. فلطالما تم الاهمال العمدى أو العفوى للجانب الاكثر أهمية فى الظاهرة وهو الارهاب الفكرى، الذى يفضى بالطبيعة الى الشكل المادى للارهاب. وبدون هذه النظرة، فلا يمكن نجاح أية محاولة لمواجهة الارهاب المشتعل الآن وايقافه.

لقد بدأت مقدمات معاودة انبعاث ظاهرة الارهاب المتستر بالدين مع انقلاب مايو ١٩٧١، وذلك باطلاق العنان للتيار الإرهابى ليقوم بدوره التاريخى فى ممارسة ارهاب جسدى وفكرى كابح لقوى التصدى للتوجهات الاقتصادية الاجتماعية والسياسية الجديدة للحكم. ومع سياسة الانفتاح الاقتصادى فى عام ١٩٧٤ والتأثيرات السلبية للطفرة النفطية تصاعدت عملية إطلاق العنان لهذا التيار، وتعزز الاقتناع بوحدة الهدف بين الحكم وبينة، فى ضرورة تحطيم المقاومة وتحقيق الرده الكامله على السياسات السابقة.

ولم يستطع الحكم فى غمرة حماسة لاستراتيجيته الكبرى وتوجهاته الجديدة، -لم يستطع أن يفهم- أنه لايمكن التحكم فى نوع ثمار عملية أطلاق الإرهاب ونتائجها المدمرة، ونسى أن القوى التى أطلق لها العنان لهم اهدافها الخاصة، وأن الاداة يمكن أن تدمر حاملها.

وسرعان ما أثمرت سياسة الحكم، عملية الكلية الفنية العسكرية، إلا أن الحكم عاد إلى ما استخدم هذه الاداة الفتاكة فى أعقاب اندلاع الانتفاضة الشعبية فى ١٨، ١٩ يناير ١٩٧٧ ضد الجماهير والقوى الوطنية الديمقراطية بهدف تكفيرها وتلويثها عبر أوسع عملية ارهاب فكرى وقمع روحى فى المجتمع. ولعبت صحف الاخوان المسلمين وكوادرهم فى الاعلام الرسمى الدور المنوط بهم فى مواجهة الانتفاضة الشعبية ولم يستمر الوضع طويلا، إذ عقب ذلك تمت عملية اغتيال الشيخ الذهبى، ثم اغتيال السادات نفسه.

لقد كان نسيان التاريخ أحد المعالم البارزة فى سياسات الحكم عموما وفى هذه المسألة على وجة الخصوص. لقد نسى أن نفس الاداه قد تم استخدامها من القصر الملكى ومن حكومات أحزاب الاقلية قبل عام ١٩٥٢ وأعطت نفس الثمار.

وهكذا كانت الجماعات السياسية الارهابية جزء لايتجزأ وأداة رئيسية فى صياغة مقدمات الأزمة الشاملة التى يعيشها مجتمعنا، كما أنها جزء هام من الأزمة الراهنة، أى أنها جزء من الاسباب والنتائج ولعب عنصر وحدة الهدف القريب بين الحكم وبينهم العنصر الحاسم والفلاب.

وازاء اختلاف القوى والشخصيات القومية الوطنية والديمقراطية فى موقفها من التيار السياسى الارهابى المتستر بالدين، فأنه ينبغى طرح عدد من النقاط الاساسية التى تساعد على تحديد الموقف إزاءه.

الموقع الطبقى للتيار السياسى المتستر بالدين:

بداية فأن نقطة الضعف الأساسية فى تناول ظاهرة التيار السياسى المتستر بالدين هى عدم الاستناد الى التحليل الطبقى له. ولقد لعب هذا التيار عن عمد وبالذات "الاخوان المسلمون أبرز فصائله"- لعب- الدور الرئيسى فى انتاج هذا التشوش، بعدم افصاحهم عن برنامج سياسى واجتماعى واضح، اكتفاء بطرح شعارات عامة، ومبهمة، وبالهجوم على مظاهر الفساد، دون تقديم حلول بديلة واضحة. ومخاطبة المشاعر الدينية للجماهير الغارقة فى مشاكلها اليومية.

وفى غمرة الأزمة تم نسيان بدهية أن كل حزب سياسى هو تعبير عن مصالح طبقة محددة. ومن ثم نسيان الدور المدمر للاخوان المسلمين منذ نشأتهم فى تزييف وعى العمال والجماهير الكادحة إزاء الاستغلال الرأسمالى، كما تم نسيان مواقفهم ضد الاصلاح الزراعى بعد يوليو ١٩٥٢ وضد كافة الاجراءات التقدمية خلال الخمسينات والستينات. وتغافلنا عن علاقتهم بشركات توظيف الأموال "نموذجهم الاقتصادى"، وعن مصالحهم الاقتصادية الواسعة داخل البلاد وخارجها" بنك التقوى" وغيره من المشروعات المالية فى الخارج.

ويؤكد الواقع أن هذا التيار السياسى يعبر الآن عن مصالح اكثر قطاعات الرأسمالية الكبيرة والطفيلية التابعة تخلفا. ويعمل على توفير اكمل شروط للاستغلال الرأسمالى تحت أقسى ارهاب وقمع فكرى وجسدى فى المجتمع باسم الدين.

وفى نفس الوقت فإن النظرة الصحيحة للأحزاب والتيارات السياسية لتحديد طبيعتها لاتكون بالرؤية العابرة لمجمل بنيتها التنظيمية، ولكن بطبيعة القياده التى تنتج وتحدد أنتاج القرار السياسى والخطوط الفكرية.

التمايزبين فصائل هذا التيار:

لعل أهم النقاط التى طفت فى السنوات الأخيرة، هى محاولة البحث عن التمايزات داخل هذا التيار. والتفرقة بين معتدلين ومتطرفين ارهابين، وتصوير الإخوان المسلمين بأنهم الفصيل الذى استفاد من دروس نكباته فى الماضى.

وقد لعبت الدولة وكافة القوى السياسية بما فيها اجزاء من اليسار دورا كبيرا فى الترويج لهذا التصور. دون تمييزبين الشكل والجوهر، أو بين أسلوب الممارسة وبين الهدف النهائى.

وبالرغم من امكانية وجود وحدة أو حتى شكل من توزيع الأدوار بين فصائل هذا التيار. الا أن جوهر المسألة هو الهدف الذى تسعى كافة فصائل وعناصر هذا التيار للوصول إليه، وهو اقامة "الدولة الدينية" التى يحكمها بشر يعتبرون أنفسهم ظل الله على الأرض، ولايمكن محاسبتهم أو معارضتهم. ويكفينا فى ذلك نماذج ايران والسودان وأفغانستان، وماجرى لشعوب هذه البلدان تحت نظم الحكم القمعية الدموية الدكتاتورية المتخلفة والمعادية للحضارة وللعقل وللعصر فى آن واحد.

إن مسألة الموقف من الدولة الدينية هى المعيار الذى يجب استخدامه للحكم على أى فصيل أو فرد فى هذا التيار أيا كان انتماؤه الظاهر. ولا يمكن قبول رياء الاخوان المسلمين فى ادعائهم الاعتراف بالديمقراطية. فالدولة الدينية لاتسمح بتداول السلطة أو محاسبة الحاكم الذى يعتبر نفسه ظل الله على الأرض"مذهب الحاكمية". ويكفينا فى ذلك موقف جبهة الانقاذ الجزائرية التى تم تقديمها كحزب اسلامى مستنير وديمقراطى، اذا أعلن قادتها فور اطمئنانهم على الحصول على الاغلبية فى انتخابات عام١٩٩٢ بان الديمقراطية بدعه نصرانية ضد الاسلام، رغم حصولهم على الأغلبية بواسطة آلياتها.

الارهاب المادى والارهاب الفكرى:

ينصب الحديث عن الإهاب على مانلمسه فى الآونة الأخيرة من أعمال ارهاب مادى. واتخاذ الظاهرة ابعادها الجديدة ضد المجتمع ككل.

بيد أنه قد تم تجاهل طويل- ولايزال- للارهاب الأساسى المفضى الى انتاج واعادة انتاج الارهاب المادى فالأرهاب الفكرى هو الجذر الاساسى للارهاب المادى.

وعلى مدى اكثر من عشرين عاما مورس الارهاب الفكرى وشاع بشكل شديد الخطورة. واستخدم فيه الاعلام والتعليم والنشر والمساجد. وشارك فيه علاوة على فصائل هذا التيار المعروفة عناصر كثيرة وهامة من المؤسسة الدينية الرسمية ووزارة الأوقاف. واستهدف ترويع وإرهاب المعارضة ورجال الفكر والثقافة وأساتذة الجامعات والصحفيين وجرى بواسطته الاعتداء على حرية البحث العلمى والابداع الأدبى والفنى ومصادرة الكتب.

إن سيادة هذا المناخ من الارهاب الفكرى فى المجتمع هو الذى ينتج ويعيد انتاج الارهاب المادى وامداد هذا التيار بالمئات من الشباب كل يوم.

خلط الأوراق بين الدين والفكر الدينى:

ويعمد هذا التيار بكل مكوناته عبر إستغلال العاطفة الدينية لدى الناس، ليسبغ على خطابه الفكرى والسياسى صفة الدين.

وساعده على ذلك الدعم المباشرله من أجهزة الدولة، وهو الأمر الذى أدى اكبر خدمة لهذا التيار واستفحال خطره. وتمكن من نشر وتقديم خطابه على أوسع نطاق باعتباره الدين، بدءا من بث الفتنة الطائفية حتى الخطاب المعادى للديمقراطية والتقدم والعقلانية والعدالة الاجتماعية.

موقف ضد الاستعمار الغربى ام مراوغة سياسة؟

لن أطيل فى العودة إلى تاريخ هذا التيار وموقفه من الغرب لكن الثابت تاريخيا هو قيام صلات عميقة للمرشد العام"حسن البناء" بالبريطانيين وبالإدارة الأجنبية الاستعمارية لشركة قناة السويس منذ البدايات الأولى للجماعة. وتلقيه للعون المالى والسياسى منهما.

مأمون الهضيبى

تعبير عن الرأسمالية الكبيرة والطفيلية.



ويكفى فى هذا الصدد أن أذكر بعدائهم لكافة عناصر ومكونات المشروع الوطنى المصرى فى الخمسينات والستينات بجوانبه الايجابية والسلبية على السواد. وارتمائهم فى أحضان"السعودية" رغم صلاتها المعروفة بالولايات المتحدة، الامريكية والغرب عموما. وعلاقاتهم المتشابكة برأس المال العالمى فى المرحلة الاخيرة"بنك التقوى فى البهاما" وكذا تهريب مدخرات المصريين الى البنوك الأوربية والأمريكية عبر"شركات توظيف الأموال"... الخ، وارسال الوف الشباب للتدريب بواسطة المخابرات المركزية الأمريكية فى افغانستان، والصلات التى اعلن عنها موخرا فى الصحف الأمريكية والمصرية بين فصائل هذا التيار الإرهابى وبين المخابرات المركزية الأمريكية، ورعاية الولايات المتحدة الأمريكية الامنية والسياسية والاعلامية والمالية لمفتى الجماعة الاسلامية عمر عبد الرحمن.

واذكر أيضا بمواقف نظم حكم"الدولة الدينية" في بعض البلدان الأخرى.

هذه النظم التى تلقى كل دعم وتأييد من التيار السياسى المتستر بالدين، والتى يعتبرها نماذج يحتذى بها. فى مقدمتها افتضاح صلات النظام الايرانى باسرائيل والمخابرات الامريكية فى فضيحة ايران كونترا، إرتباط بارونات المجاهدين الافغان- "أكبر منتجى الافيون والهيروين فى الشرق" ارتباطهم- بالولايات المتحدة الأمريكية التى اوصلتهم للحكم فى افغانستان. نهب نظام البشير الترابى فى السودان للقطاع العام، وتخريب الاقتصاد السودانى ووصول البلاد للمجاعة واحتمالات تقسيمها. وقيام كل هذه النظم بضرب وتصفية كل القوى المعادية للاستعمار والمناضلة من أجل التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى والاستناره، وهو مايفضى لاستمرار التخلف والتبعية فى هذه البلدان.

وبالرغم من كل ذلك. فكيف نفسر صراخهم ضد الغرب إبان حرب الخليج؟ وكيف نفسر تباكى أحد وجوه هذا التيار"عادل حسين" على القطاع العام المصرى؟

هنا بالتحديد تتبدى وتتضح المراوغة السياسية والرياء وفقدان المصداقية لدى هذا التيار فى مصر.ذلك أن جذور الموقف الموضوعى ضد التبعية للغرب تكمن فى مشروع متكامل ينهض فى الاساس على التنمية المستقلة وعلى بناء اقتصاد وطنى قوى وراسخ اعتمادا على الذات، وعلى منظومة كاملة مترابطة من السياسات

حسن البنا:
صلات عميقة بالبريطانيين

الاجتماعية والثقافية والفكرية والعلمية والعلاقات الدولية المفضية موضوعيا للتقدم الاجتماعى والديمقراطية والاستقلال الوطنى ولم نر أى أثر فى موقف هذا التيار من هذا المشروع الوطنى وفي القلب منه التنمية المستقلة. بالعكس رأينا فقط شركات توظيف الأموال، وتجارة العملة وتهريبها... الخ ورأينا القمع الفكرى والجسدى والعداء لحرية الابداع وللديمقراطية وللاستنارة والعقل، وكلها تفضى لاستمرار التخلف والتبعية، ورأينا أيضا وجهة نظرهم فى الغرب باعتباره فقط منتجاً للخلاعة والكفر. ورأينا أيضا تأييدهم لنظم"الدولة الدينية" فى ايران والسودان،وأفغانستان، التى لاتحمل أية ملامح لنظام مستقل موضوعيا عن الغرب قادرعلى بناء مشروع نهضوى وحضارى يرسى هذا الاستقلال.

ويذكرنا التاريخ والحاضر الملموس أيضا أن هذا التيار يجيد ركوب أية موجه بصرف النظر عن قناعاته الفكرية والسياسية، خصوصا فى المنعطفات الحادة، لاجهاض التحرك الجماهيرى من ناحية ولاقتناص ثمرة التحركات الجماهيرية من ناحية أخرى، ويتبع فى ذلك كافة السبل والمواقف والسلوك حسب مقتضي الظروف، فالغاية تبررالوسيلة.

حينما تتبدى مقدمات حركة جماهيرية معادية للغرب إبان حرب الخليج، ينحون جانبا علاقاتهم التاريخية مع السعودية ودول الخليج لركوب الموجة، ثم يعودون أدراجهم بعد ذلك إلى أحضان الخليج. وحينما تبدأ ارهاصات حركة جماهيرية لحماية القطاع العام يحاولون ركوبها رغم عداءهم لهذا الشكل من الاقتصاد. والامثلة وافرة فى هذا الصدد.

وماذا بعد:

لعل الأمر قد أصبح واضحا لحد ما. إذ تبين أن هذا التيار السياسى المتستر بالدين يمثل أشد قطاعات البرجوازية الكبيرة والطفيلية التابعة تخلفا. كما يتضح عداؤه الشديد لأى مشروع وطنى وللديمقراطية والعقل والعلم والاستنارة. ويتضح تجانس فصائله على الأقل فى هدف اقامة"الدولة الدينية" عبر وسائل الارهاب الفكرى والمادى على السواء. وأنه تيار مراوغ ومرائى يخلط الأوراق الغاية لديه تبرر الوسيلة. كما أنه- وهو الاهم- جزء من نسيج الأزمة المجتمعية الشاملة فى مقدماتها نتائجها.

فى ضوء هذه الحقائق يبدو غريبا موقف بعض القوى والشخصيات الوطنية التى ترى وجوداً حقيقيا واسعاً لهذا التيار ومن ثم ترى فى نفس الوقت وعلى هذا الاساس ضرورة التعاون والتعامل والتحالف والحوار معه.

بيدان السياسة الصحيحة لاتنهض على مثل هذا السبب، فالوجود القوى قد يكون سببا أساسيا فى موقف مخالف. فى مناهضة حقيقية وجادة وواضحة لأى تيار سياسي يمثل خطراً جسيما على المجتمع. وأرى أن هذا التيار لايساعد على الخروج من الأزمة، وانما يعمل عن عمد على تعميقها ودفع الوطن الى هاوية سحيقة لايمكن التنبؤ بكيفية الخروج منها ولعل الأوضاع الراهنة- شديدة الخطر- وتفاقم ظاهرة الارهاب بوجهيه يطرح تساؤلات عن كيفية الخروج مما نحن فيه. وتمثل قضية الديمقراطية والجبهة جوانب هامة فى هذا السياق. وهو ما سأحاول تناوله فى العدد القادم.

تيارات

●● إن الولايات المتحدة الأمريكية لاتتصرف كشريك كامل فى عملية السلام، بل كشريك لاسرائيل.

صائب عريقات

عضو الوفد الفلسطينى للمفاوضات

●● الحزب الطائفى الوحيد فى السودان، هو حزب الجبهة الاسلامية.. ولامجال لحوار بينى وبين النظام الحالى، إلا إذا تراجع وارتضى بالنظام الديمقراطى

الصادق المهدى

رئيس الوزراء السودانى السابق

●● إن العنف كان وبالا على الحركة الاسلامية، وأدى الى تعديلات فى القوانين لمواجهة الأرهاب قيدت من حركتها.. وحتى الفقهاء الذين أجازوا الخروج على الحاكم أجازوه فقط عند وجود قوة قادرة على خلعه دون سفك دماء.. ودون فتنه.

مأمون الهضيبى

المتحدث الرسمى باسم الاخوان المسلمين

●● قبل سنوات قام فى الولايات المتحدة، موسم السلام، خصوصا السلام مع إسرائيل، واصبح العربى واحدا من اثنين: واحد مسالم ترضى عنه واشنطن، وآخر مقاتل تتهمه واشنطن بالارهاب، مع أن نضاله لم يتجاوز الخطب الرنانه. وعندما بدا لواشنطن أننا تعلمنا الدرس فتحت موسم آخر لايزال مستمرا هو موسم الديمقراطية، فالعالم لايتقدم ولايُجر العربى جرا فى اتجاه التقدم إلا إذا مارس الديمقراطية الأمريكية المواصفات.

جهاد الخازن

الحياة اللندنية

●● .. والقضية ليست أيضا دور يناطح دور العلمانيين الكفرة، لأن العلمانيين ليسوا بالضرورة كفره، هم مصريون وطنيون، قد يرون مع عظيم ايمانهم بالدين ضرورة الفصل بين الدين والدولة.

مكرم محمد أحمد

المصور

مكرم محمد أحمد — الصادق المهدى





مصطفى أمين — كامل زهيرى

●● ماهى حكاية لوسى أرتين؟.. ولماذا كانت هذه الضجة كلها إذا كانت المسألة قد انتهت بالافراج عنها؟ وهل مازال قرار النائب العام بكتمان التحقيق ساريا بعد الافراج عن المتهمين؟. وهل سنعرف نتيجة التحقيق أم أن الحظر سوف يستمر إلى ماشاء الله؟ هل هناك جريمة.. أم لاتوجد جريمة؟.. إن من حق الشعب أن يعرف كل الحقائق.

مصطفى أمين

الاخبار

●● قرر جمال حمدان أن يصبح أغنى الاغنياء بالاستغناء عن كل شئ وقرر ألا يطلب مالا أو منصبا أو زوجا أو وساما، لأنه قرر أن يهب عمره كل للعلم، وكان هذا الاستغناء المطلق سر قوته المطلقة.

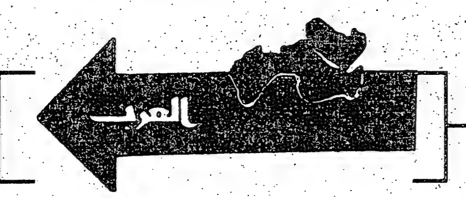
كامل زهيرى

الجمهورية

●● سواء كان هناك تورط من الخارج أم لا فى موضوع العمليات الإرهابية التى تشهدها مصر، فإن مشكلة مصر، هى مشكلتها، ويجب أن تعالج فيها، ومن المهم عدم التلهى بالبحث عمن يقف وراء الأحداث ونسيان واقع أنها موجودة ومطلوب معالجتها.

متحدث باسم الخارجية الأمريكية

الحياة- ٤ أبريل ١٩٩٣



تعاون أمريكي- عربي- اسرائيلي

عنوانه: مكافحة الارهاب

ونتيجته: خدمة الارهاب

الحكومة الاسرائيلية ساهمت فى اقامة وتقوية الجماعات الاسلامية المتطرفة فى فلسطين، ففتحت لها قنوات المال. واعطتها حرية الحركة. وصفقت لها وهى تحارب منظمة التحرير الفلسطينية وتحرض الناس على قيادتها. ولم يزعجها إن هذه الجماعات مثلا تريد اقامة دولة اسلامية واحدة فى المنطقة، لايكون فيها اثر لدولة اسرائيل. الحكومة الاسرائيلية اعتقدت انها ، بالمراقبة القريبة وبدس العملاء والجواسيس الى صفوف هذه الجماعات، تستطيع السيطرة عليها. وقد اكتشفت بطلان هذه النظرية فى وقت متأخر. فغيرت التكتيك لكنها لم تغير شيئا جذريا. وما زالت تقوم بانتهاج سياسة مؤداها خدمة تلك الجماعات واهدافها.

نظير مجلي

رسالة حيفا

يكثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن استراتيجية تعاون أمريكي- عربي- مصري- فلسطيني لمكافحة الجماعات الاسلامية المتطرفة والأعمال الارهابية التى تقوم بها بعضها ويكثير من اليقين وبتأكيد أكثر من مصدر واحد، يحكى أن هذا الموضوع احتل حيزا كبيرا فى المحادثات التى جرت فى الشهر الماضى فى واشنطن والقاهرة والاسماعيلية ما بين الرؤساء كلينتون ومبارك ورابين وعرفات. ويؤكد ذلك الاعلام الغربى والعربى والاسرائيلى. وكذلك إعلام تلك الجماعات الاسلامية المتطرفة ، فى شتى أنحاء الوطن العربى.

نحن من جهتنا لانريد أن نجزم بوجود مثل هذا التعاون الاستراتيجى، أو حتى جزء منه. وما نبغيه هنا، هو محاولة استشفاف حقيقة الموقف الاسرائيلى من هذه الجماعات. وهو ليس مجرد موقف فى الواقع انما سياسة وممارسة وتعامل واحتكاك. ومن الجدير بكل من يهمه هذا الأمر أن يلقى نظرة على هذه العلاقة وتطورها، قبل أن يغوص عميقا فى موضوع التعاون أو عدم التعاون. فان السياسة الاسرائيلية انتبهت لوجود هذه الجماعات وتطورها قبل آية سلطة فى الشرق الأوسط. وكعادتها تعاملت معه بكل جدية فوضعت خطة استراتيجية تناسب اهدافها نحوه. واقامت أجهزتها الخاصة لمراقبته واختراقه ومتابعة برامجه خطوة خطوة وتحليل تصرفاته ورصد علاقاته ومصادر تمويله وغير ذلك من الاجراءات. ومن دون شك، التقت أساليب السلطة الاسرائيلية فى التعامل مع هذه الجماعات مع اساليب سلطات أخرى فى العالم العربى حينا، واختلفت عنها حينا أخر. وهى جديرة بالمعرفة والدراسة.

الوقائع

الجماعات الاسلامية المتطرفة التى تقع تحت طائلة السلطة الاسرائيلية مؤلفة من عدة تنظيمات ويمكن تقسيمها الى قسمين:

الأول: مجموعة تنظيمات تقوم فى المناطق المحتلة منذ العام ١٩٦٧ (الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس الشرقية). وابرزها وأكبرها «حماس» (حركة المقاومة الفلسطينية)، يليها تنظيم الجهاد الإسلامى وعدد من التنظيمات الصغيرة.

محاكمة مجموعة من الاصوليين في القاهرة



الثاني:

الحركة الاسلامية في اسرائيل، وهي التي نشأت في اوائل الثمانينات وتعمل في صفوف الجماهير العربية الفلسطينية التي بقيت في وطنها عام ١٩٤٨.

كما في سائر دول الشرق الأوسط وغيره، بدأت الجماعات الاسلامية نشاطها في مطلع الثمانينات واواخر السبعينيات، في اعقاب انتصار الثورة الاسلامية الايرانية بزعامة الخميني. واذا كان دافع نشوء هذه الحركة في مصر والاردن والجزائر والسودان وغيرها الواقع الاجتماعي الاقتصادي المتدهور وسياسة الظلم والكبت الحكومية، فان سببا أساسيا آخر اضيف الى هذا الواقع الاليم في المناطق الفلسطينية المحتلة، الا وهو الاحباط من الوضع السياسي. ففي تلك الفترة توالت الضربات الموجهة الى الشعب الفلسطيني والعالم العربي:

- اليمين المتطرف بزعامة مناحم بيجن، صعد الى الحكم ، لأول مرة في تاريخ اسرائيل ، في العام ١٩٧٧.
- غزوة الليطاني، التي قام بها الجيش الاسرائيلي واحتل خلالها جنوب لبنان حتى نهر الليطاني، دون أن يعترض أي جيش عربي، في العام ١٩٧٨.
- زيارة الرئيس المصري، انور السادات ،الى اسرائيل واتفاقيات كامب ديفيد ، العام ١٩٧٩.
- ضرب القرن الذري العراقي، بقصف صاروخي اسرائيلي، في العام ١٩٨١.
- حرب لبنان، التي جرى خلالها ولأول مرة في تاريخ الصراع العربي- الاسرائيلي- دخول عاصمة عربية، ايضا دون أن يعترض ذلك الاحتلال ، أي جيش أو قوة عربية.
- انسحاب المقاومين الفلسطينيين من مختلف فصائل منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت والتشتت في مختلف انحاء العالم.

فالى جانب الاحتلال نفسه وممارساته القاسية (نهب الاراضي، اقامة مستوطنات، قمع واعتقال وتعذيب..الخ) ادت تلك الاحداث الى زيادة الاحباط واليأس من

القيادات وفقدان الأمل بتحقيق حل مشرف للقضية الفلسطينية (علما بأن الاذاعات العربية كانت وعدت الفلسطينيين بتحقيق انتصار ساحق على العدو ، وليس حلا مشرفا).

فى ظل هكذا ظروف وهكذا نفسية راح رسل الثورة الايرانية يتصيدون المؤيدين كما يصطاد الصيادون اسماكهم بالشباك، بالجملة فقد بدأوا يحتلون المساجد مسجدا مسجدا. ويقيمون الروابط الخيرية. سيطروا على كليات الشريعة الاسلامية (الخليل وغزة). اخترقوا الجامعات الاخرى. النقابات، اقاموا الشركات والمدارس. العيادات الطبية. وتدحرجت فى ايديهم الدولارات بالملايين فى كل سنة، فى البداية من السعودية ثم من ايران ومن مصادر مختلفة من أوروبا والولايات المتحدة (فى آخر احصاء نشر عن هذا الدعم خلال ٩٢ بين أن حماس قبضت ١٠ ملايين دولار والجهاد ٣٠ مليونا من ايران).

هذه الصورة ، قد تبدو مألوفة لدى القارئ المصرى وهكذا تقريبا عملت الجماعات الاسلامية فى مصر والجزائر والسودان وغيرها. وقد كتب كثيرا عن ذلك.

ولكن فى الحقيقة هناك اختلاف جوهرى بين هذه البلدان وبين اسرائيل. ففى حين تبدو تلك البلدان ملعبا محليا بالنسبة للجماعات الاسلامية الناشئة، تسرح وتمرح فيه بحرية.. وبحدود مفتوحة على رحبها.. ووسط تقاليد اجتماعية متلائمة، فأن الجماعات الاسلامية التى عملت تحت انف السلطة الاسرائيلية، كانت وكأنها تلعب على طبق مكشوف. فالحدود الاسرائيلية مغلقة بالاسلاك الشائكة المكهربة. والسلطة الاسرائيلية تسيطر على كل حركة نقدية فى البنوك وعلى الحدود. ولا يمكن لشخص أو مجموعة اشخاص أن يدخل تلك الكميات من المال وفيما بعد الاسلحة، بدون معرفتها. ولا يمكن لهذه الجماعات كثيرة العدد أن تتحرك بدون المعرفة الدقيقة للسلطة الاسرائيلية.

وليس هذا فحسب . ففى مرحلة معينة شجعت اسرائيل قيام الجماعات الاسلامية، كما فعل السادات وأكثر، خصوصا عندما بدأت هذه الجماعات تؤلب الجمهور على منظمة التحرير الفلسطينية وتحرضه على قادتها، وخصوصا على ياسر عرفات وتتهمهم بالكفر وبالشيوعية أو بالعمالة «للشيوعية الحمراء فى موسكو».

وكان هناك اتفاق غير مكتوب بين أجهزة الأمن الاسرائيلية والجماعات الاسلامية يحدد اصول اللعب: الجماعات تعمل ضد منظمة التحرير والقيادات العربية.. ولا تتعرض ابدا للسلطة الاسرائيلية. واجهزة الأمن تمنح الحرية لهذه الجماعات فى العمل وصرف النقود.

وقد حفظ الطرفان الاتفاق بكل أمانة.

الجماعات الاسلامية فى الضفة الغربية وقطاع غزة ركزت نشاطها اولا فى تقوية تنظيمها وتوسيعه وزيادة نفوذها وسيطرتها من جهة، وبالمستوى نفسه قاومت م.ت.ف. وشوهت سمعة قادتها من جهة ثانية . وعندما اندلعت الانتفاضة كان للجماعات الاسلامية دور سلبى جدا منها. وفى البداية رفضوا المشاركة فى نضالاتها بعاتا. وحاولوا منع النساء من المشاركة ، مع أن دورهن كان حيويا وجبارا. ثم بدأوا يخربون على الانتفاضة ونشاطاتها. ففى حين بدت الانتفاضة اروع تعبير عن الوحدة الوطنية التى طالما تاق لها العرب فى كل ارجاء الوطن العربى- ظهرت الجماعات الاسلامية الفلسطينية تشق الوحدة .فاذا دعت القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة للاضراب فى يوم ما تدعو الجماعات الاسلامية الى اضراب آخر فى يوم آخر لنفس المناسبة. حتى الاضراب الذى يعلن فى الذكرى الشهرية للانتفاضة (التاسع من كل شهر) اختلفت عليه الجماعات الاسلامية وحددت «أضرابها» الشهرى ليوم ٨ من كل شهر. وكان المواطنون يرفضون الانصياع لطلب الجماعات الاسلامية. فراحت تفرض الأضراب بالقوة، عن طريق ارهاب اصحاب المحلات وانزال فرقها الضاربة الى الشوارع تشتبك مع القوات الضاربة التابعة للانتفاضة. وكان جنود الاحتلال الاسرائيلى يتفرجون مبتهجين- فهناك من يقوم بوظيفتهم على أكمل وجه. وتطورت هذه المهمة لدرجة وقوع اشتباكات عنيفة كبرى، وصلت الى درجة القتل فى قطاع غزه.

وكانت قيادة الانتفاضة، بالاتفاق مع القيادة الفلسطينية الشرعية فى تونس، تبادر كل مرة الى حقن الدماء، وتصفية الأجواء. وتتنازل فى الكثير من الأمور حتى تضمن الحد الأدنى من الوحدة ومن التفرغ لمقاومة الاحتلال وعدم صرف الجهود على الخلافات الداخلية. فاتفقت مع الجماعات الاسلامية على تقاسم الأيام النضالية. وصار الطرفان يلتزمان بتعليمات كل طرف. واصبحت هذه الجماعات مطروحة فى الشارع كجسم مستقل وكبير فى مواجهة جسم آخر يضم كل الفصائل الفلسطينية بل أن بعض هذه الفصائل، مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية- القيادة العامة وغيرهما، راحت تغازل الجماعات الاسلامية وتنسق معها فى مواجهة القيادة الموحدة.

الى هذا الحد، كان كل شئ تمام التمام بالنسبة لأجهزة الأمن الاسرائيلى الصاحية والمتيقظة.

أما الحركة الاسلامية داخل اسرائيل فقد اختارت لنفسها من البداية وحتى اليوم نهجا أساسيا واحدا، هو اضافة الى اقامة المساجد والروابط الخيرية والعيادات الطبية، شن حرب على القوة السياسية الاساسية التى تقود نضال الجماهير الفلسطينية (عرب ٤٨) منذ قيام دولة اسرائيل، الا وهى الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة. فالحركة الاسلامية هنا مستعدة للتفاهم والتعاون مع الحزب الديمقراطى العربى (برياسة عضو الكنيست عبد الوهاب دراوشة، الذى انتخب بداية فى قائمة حزب العمل) ومع الحركة التقدمية للسلام برياسة عضو الكنيست السابق ، محمد ميعارى ومع حركة ابناء البلد (حركة صغيرة ومحدودة لكنها تزاود على القوميين فى القومية وعلى الشيوعيين فى الماركسية اللينينية) ومع حزب العمل الاسرائيلى (الحاكم حاليا) ومع حزب شاس اليهود المتدينين الشرقيين. ومع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة (التى يقوده كتلتها البرلمانية الشاعر الفلسطينى والمناضل المعروف توفيق زياد) ، فهى العدو ، بالنسبة لهذه الجماعات. لا تخلو نشرة لهم من التحريض عليها. ولا تمر خطبة جمعة دون مهاجمتها. وفى السنوات الأخيرة، تسمح لنفسها هى أيضا مثل رفيقاتها فى الضفة والقطاع، بأن تهاجم م.ت.ف.

للدلالة على نشاط هذه الجماعات، نقدم مثلا طازجا وقع فى ٣٠ آذار/ مارس الماضى، الذكرى السنوية ليوم الأرض. ففى هذه اليوم، تتحد الجماهير العربية الفلسطينية بكل احزابها وفئاتها، لاحياء ذكرى الشهداء الستة من ابنائها الذين سقطوا برصاص رجال

الشرطة الاسرائيلية فى ٣٠ /١٩٧٦/٣ خلال مظاهرات احتجاج ضد مصادرة الحكومة لأراضيهم فقد حاولت هذه الجماعات جعل النساء يسرن فى المظاهرة المركزية ليوم الأرض فى مدينة «شفاعمرو» باللباس الاسود وبكتلة منفردة. ولما فشلت دعوتها (لم تحضر ولا أمرأة واحدة باللباس الأسود. بل بالعكس حضرن بملابس عادية وملونة وسرن جنبا الى جنب مع الرجال وهتفن وحملن الشعارات)، جن جنونهم. ولما قام توفيق زياد وحيا، من على منصة المهرجان المركزى، جماهير النساء على اصرارهن على حقهن فى المشاركة فى المظاهرة بالشكل الذى اخترنه وليس الذى فرض عليهن، هاجمه أحد ابرز القادة الثلاثة للجماعات الاسلامية المدعو «الشيخ كمال الخطيب» وحاول وثلة من رفاقه الاعتداء عليه جسديا. فانفجر المهرجان وفشل وتفرقت الجموع بخيبة أمل.

عندما تغيرت قوانين اللعب

اذن، فقد ظلت أجهزة الأمن الاسرائيلية تنظر بعين الرضا على نشاطات الجماعات الاسلامية، طالما هى لا تمس باسرائيل وسلطتها. وكان هذا الأمر غريبا. اذ أن الجماعات الاسلامية وضعت فى برنامجها السياسى موقفا واضحا ضد وجود اسرائيل. وهى التى تدعو الى دولة اسلامية فى فلسطين الكاملة.

وهنا لابد من وقفة قصيرة. فالجماعات الاسلامية. التى اعتمدت على يأس الجماهير من امكانية حل مشرف للقضية الفلسطينية يقوم على اساس اقامة دولة فلسطينية صغيرة الى جانب دولة اسرائيل فى حدود ١٩٦٧، وضعت لنفسها هدفا يبدو بكل وضوح وهميا وفى أحسن الاحوال يبدو بعيد المنال. وهذا بحد ذاته قمة فى اليأس والتيئيس.

وقد ادركت الأجهزة الاسرائيلية هذه الحقيقة. فقررت الاستفادة منها الى أقصى الحدود. فتركت لها الحبل على غاربه.

وفى الوقت نفسه، ومن منطلق الحذر من خطورة تنظيم الجماعات الاسلامية، اهتمت بمتابعة نشاطها من الداخل ومراقبتها حتى لا تتجاوز الحدود. وزرعت بداخلها العملاء. **واتضح لها خلال بضع سنوات، أن الطريق مابين الدعاية الشفهية المعادية لاسرائيل ومابين تنفيذ أعمال عدائية هو قصير جدا.** وخلال السنة الاخيرة نشرت وسائل الاعلام الاسرائيلية العديد من المقالات التى تهاجم المسؤولين عن دعم نشوء وتطور الجماعات الاسلامية من بين زعماء اجهزة الأمن واصحاب القرار السياسى. واعتبروا تصرفهم مقامرة بأمن اسرائيل. وتحول الأمر الى موضوع نقاش جماهيرى. وخرج عدد من اولئك المسؤولين يدافعون عن انفسهم. ويؤكدون أن **خطتهم نجحت** و«الدليل أن م.ت.ف. **أصبحت أضعف**» و«أن **عدد المواطنين العرب الذين قتلوا بأيد عربية، فى الصراعات الداخلية فى تزايد مستمر**». وعرضوا قائمة من الوقائع التى تم فيها القاء القبض على «تنظيمات ارهابية قبل أن تتمكن من تنفيذ أية اعمال ضد اسرائيل».

ولكن، كما يقول المثل «**لم تأت الفعمة على قد يد الحرامى**». فالامور تدهورت بسرعة. وبدأت خطب تكفير اليهود واقامة الدولة الاسلامية على كامل فلسطين.. تترك اثرها فى الممارسة. فالشارع يضغط: انتم تقولون أن «الاسلام هو الحل». فماذا يفعل اصحاب هذا الشعار من أجل الحل؟



لاشئ. بينما الفصائل الأخرى كلها تقاوم. والاحتلال يشدد قبضته الحديدية ويقمع . والذين سمعوا الخطب الرنانة وتعبأوا بالحماس الملتهب والتحريض الأعمى، خرجوا الى الشارع للعمل.. وصارت قوانين اللعبة تتغير.

اجهزة الأمن الاسرائيلية لم تعد مسيطرة على نشاط الجماعات الاسلامية بالكامل. وحتى لما اعتقلت المئات من نشطائهم والعشرات من زعمائهم وابعدت اربعمائة من البارزين منهم، ظلت ممارساتهم ملموسة في الشارع الفلسطيني ونفذوا عمليات جزئية داخل اسرائيل.

وزعماء الجماعات الاسلامية انفسهم، لم يعودوا يسيطرون على نشطائهم. وفي شهر كانون الاول/ ديسمبر انعكس هذا الانفلات بشكل صارخ . فقد قام عدد من نشطاء «حماس» بخطف جندي اسرائيلي الى اريحا. وهددوا بقتله في الساعة التاسعة مساء اذا لم تطلق اسرائيل سراح الشيخ احمد ياسين زعيم «حماس» في الضفة والقطاع وخلال ٢٤ ساعة، اصدر زعماء «حماس» في المناطق المحتلة وفي الاردن، ومن فيهم الشيخ احمد ياسين بنفسه، تعليمات مباشرة الى المجموعة ، عبر الأذاعة وعبر التلفزيون، أن لا تقتلوا الجندي. ولكن المجموعة لم تنصع لتعليمات القيادة. وقتلت الجندي الاسرائيلي المخطوف بعد ساعتين من انتهاء موعد الانذار.

في الحالتين، عجز أجهزة الأمن الاسرائيلية وعجز قيادة الجماعات الاسلامية، يصح القول أن «المسخ قام على خالقه». فقد خرجت الأمور من أيديهم. ومن الأمثلة الصارخة على ذلك ما فعله أحد العملاء الذين زرعتهم المخابرات الاسرائيلية داخل حركة «حماس». فقد انكشف امره داخل الحركة. فأعلن التوبة. ولكي يثبت صدقه، وعد بأن يقتل ضابط المخابرات الاسرائيلي الذي يشغله . وبالفعل، حدد موعدا للقائه في شقة سكنية في القدس واطلق عليه الرصاص وأرداه قتيلا وهرب. ولا يزال طليقا حتى اليوم.

ولا تقتصر اعمال القتل التي تنفذها الجماعات الاسلامية الفلسطينية على الجنود الاسرائيليين أو المواطنين العرب من الخصوم أنما تصيب أيضا أناسا من المواطنين اليهود معروفين بايمانهم بالسلام وبالتعايش السلمي مع الفلسطينيين وبنشاطهم الانساني الذي يتحدون به السلطة الاحتلالية واليمين المتطرف في مجتمعهم فقد قتلت امرأة يهودية تعمل على نقل عمال فلسطين من دير البلح الى عملهم في اسرائيل. وقتل عدد من اصحاب العمل (مزارع، بناء حدادة) الذين يشغلون لديهم عمالا فلسطينيين بأيدي عمالهم وهكذا..

وتجدر الملاحظة هنا، بأن قوى فلسطينية أخرى معارضة أخذت تتبع هي أيضا هذا الاسلوب من القتل. وفي يوم ١٨ نيسان/ ابريل قتل محام اسرائيلي في غزة خلال جلسة مع مبادرين فلسطينيين جرى فيها البحث بتمويل عدد من مشاريع التطوير الاقتصادية والفلسطينية .. وقد عمل المحامي من طرف منظمات أوروبية تقدم التمويل لهذه المشاريع. وقبل أن يقتل جاء شابان وابلغاه انهما ارسلا لقتله فتدخل رجال الاعمال الفلسطينيون. وراحوا يرجونهما أن لايفعلا. ويقولون لهما أن المحامي معروف بعمله لخدمة الفلسطينيين. ولكن.. لم ينفع الرجاء. وقد اخذت منظمة تابعة للجبهة الشعبية مسؤولية الحادث على نفسها.

اللعب بالنار

من الواضح تماما أن السلطات الاسرائيلية، رغم الازعاج الذي تسببه لها هذه العمليات، فانها تستغلها أكبر استغلال ضد الشعب الفلسطيني كله وضد العرب والاسلام. فهي، رغم انها تمارس ابشع انواع القمع والقتل ضد الفلسطينيين، تظهر في العالم **ضحية «للارهاب الاسلامي»** . رئيس الحكومة رابين سمح لنفسه أن يصف الفلسطينيين بالنازية التي أرادت إبادة اليهود. وصار يبرر كل ممارساته القمعية على أنها رد على الارهاب. وأخذ يعزو عرقلته لمفاوضات السلام الى النشاط الارهابي. وخلال اللقاءات التي اقامها في واشنطن وبون وباريس والاسماعيلية، راح يقنع محادثيه بأن المشكلة الاساسية والعقبة الكأداء هي الارهاب وليس غيرها.

ويلفت النظر أن كل الانظمة التي تتحدث اليوم عن الارهاب وتدعو للتعاون ضد الارهاب المعزو الى الجماعات الاسلامية، كان لها دور أساسي في نشوء هذه الجماعات وفتح الطريق امامها للنمو وتمويلها وتقويتها فالولايات المتحدة الأمريكية تحتضن المكاتب المركزية لهذه الجماعات، وليس فقط الشيخ عمر عبد الرحمن. وتعتبر واشنطن وبنوكها أحدى القنوات الاساسية لتمرير الأموال الى هذه الجماعات في الشرق الأوسط. **والسعودية ، كانت الممول الأكبر لهذه الجماعات، بما فيها تلك العاملة في اسرائيل نفسها ومصر ، رعت في مرحلة معينة هذه الجماعات رعاية الأب واسرائيل فتحت لها الطرقات وشهرها..**

كلها شاركت في العرس، وكلها تندب حظها مع ذلك العريس الشرس.

والأنكى من ذلك، أن هذه التيارات السياسية التي يجرى الحديث عن تعاونها في مكافحة الارهاب، تعمل بالطريقة الخاطئة نفسها : فهي لاتكافح الارهاب من جذوره ولا تكافح أسبابه، انما تكتفي بمحاربة النتيجة. **تحارب بالقمع وبتضييق الحريات وبالقتل وبالتعذيب. ولكنها لاتعمل شيئا لاقناع الناس بوجود بديل أفضل.**

ففي اسرائيل ابعدت الحكومة اربعمائة فلسطيني الى لبنان. واعتقلت ١١٠٠ آخرين. واغلقت المناطق المحتلة. واقتحمت بيوتها بيتا بيتا . ضربت وعذبت كل مشبوه . وهدمت بيوتا. قتلت شبانا واطفالا ونساء. ضربت بيد من حديد. فماذا كانت النتيجة؟

عمل هذه الجماعات ظل مستمرا وبعمليات أقسى.

بدلا من أن توجد عملا للناس العاطلين عن العمل (٤٠٪ من قوة العمل في المناطق المحتلة)، حرمت ١٣٠ الف عامل اضافي من العمل.

بدلا من أن تؤدي الى عزل الجماعات الاسلامية المتطرفة بين المواطنين، الذين بغالبيتهم الساحقة جدا يتنصلون من اعمالها ويرفضونها ولايشاركون فيها، تنفذ عقوبات جماعية ضد المواطنين، فتجعلهم في سلة واحدة، بل في خندق واحد.

بدلا من أن تبث الآمال بين المواطنين حول احتمالات السلام وتقنعهم بأن اسرائيل تريد فعلا السلام مع الشعب الفلسطيني وبأن مفاوضات السلام في واشنطن ستنجح حتما، تراها تبدد هذه الآمال وتبث اليأس وتماطل **وتضعف الوفد الفلسطيني في نظر الشعب الفلسطيني وتحاول أن تفرض عليه شروطا مذلة وتشدد القمع والقتل وكل ما من شأنه أن يعمق الكراهية ويزيد الاحقاد.**

وهذا، لا يؤدي الا لنتيجة واحدة: **خدمة تلك الجماعات وارهابها.**

نحو الشمس

فالح العطاونة

سلام رابين.. الروماني!

«... لاشئ يحدث في الاراضي الفلسطينية المحتلة»!

لاشئ بالنسبة للعالم العربي- الرسمي- سوى مسافة أخرى في الشوط الاسرائيلي، على الطريق الذي يزاوله خبراء الحرب الاسرائيليون منذ سنوات، ضد النساء والاولاد والاطفال الرضع الفلسطينيين. مسافة تمشيها اسرائيل بأريحية كاملة، دون أن تجد في عالمنا الواسع من يعتب عليها، ولو «بأضعف الايمان»!

لاشئ.. مسافة أخرى على الشوط الذي ظل لها، على البشر والشجر وفضاء السقوف الواطئة للفلسطينيين العزل الذين يواصلون «المشاغبة» بلا تضامن.. ذلك أن العصر المواتي يغدق على حرب اسرائيل ضد الانتفاضة مشروعية لم تكن اسرائيل حلمت بها منذ الاسرائيليين الأوائل، الذين وافاهم الموت قبل أن يشهدوا هذا العصر «المبارك»- عصر بديع اعفى اسرائيل وزعماءها من بيانات الشجب والاستنكار التي ظلت تقصفهم بالبلاغة الى ما قبل «تحرير الكويت»!

لاشئ يحدث في الاراضي الفلسطينية المحتلة!!

لاشئ أن استثنائيا في «القدر الخاص» للشعب الفلسطيني.. لاشئ يستحق الانتباه.. فالعالم العربي- الرسمي ينشغل، الآن ، بالقضايا الكبيرة من طراز زيارة «بابا بوش» الى الكويت المحررة أو.. فضيحة «لوسي ارتين» . عالم عربي واسع، ينقل من اقصاه الى اقصاه ،بالزعماء وجيوش المسؤولين المتأنقين و.. التعاسة- عالم يستطيع أن يتمغط مسافة أخرى تحت قدمي «اسرائيل الكبرى»، يفرش جسده الى أخر مدى من صبر العرب البؤساء والمهزومين، للحصول على «سلام اسرائيلي»، يريح الاعصاب، مرة واحدة والى الابد، من شعب مشاغب لم يتورع من قذف اطفاله في مواجهة دولة صغيرة تطمع في «الامن» والسلام وخدمة اعدقائها الالداء الذين انكفأوا على وجوههم.. بلا حضاره، ولاتقدم ولا «سوق شرق أوسطية»...!!

لاشئ يحدث في الاراضي الفلسطينية المحتلة!!

لاشئ ..«اسحق رابين» رئيس وزراء اسرائيل واكثر ملوكها ولعا بالسلام يعمل ويفكر ويخترع ، ويؤكد للعالم العربي الذي ينشد السلام، أن سلام اسرائيل يستلزم شجاعة خاصة، وفكاكا لارجعة فيه من الحياء العربي.. ويحتاج، لاجل ذلك، الى تلاميذ غير كسالى ويحسنون التعلم من تجربة الرئيس السادات- المدرسة: رئيس شجاع تجرأ على عقدة العرب واعلن حالة فك ارتباط بشعب مشاغب لايعجبه العجب ولا الصيام في رجب!

لاشئ في الاراضي المحتلة يستحق الانتباه، قال اسحق رابين أن سياسته تقضي العمل في المجال الامني وكأن عملية السلام غير موجوده.. والعمل لاجل السلام وكأن الاجراءات الامنية غير موجودة! وما على العالم، بما في ذلك العالم العربي الا أن يبتلع المفارقة الاسرائيلية.. ذلك أن العصر الذهبي الذي نعيشه على البلاط الأمريكي، يعج بالمفارقات البائسة التي لاتنتهي عند حد.

لاشئ. فقط ، مسافة أخرى في الشوط الاسرائيلي.. ترسم حدود السلام وتحول شعبا بأكمله الى الاعتقال الاداري- حطابين وسقاة ماء وباحثين عن خبز أولادهم.. حتى جذور البلوط، يستخرجونها من تراب الارض ويبيعونها لدباغة الجلود!

لاشئ يحدث في الاراضي المحتلة!

فقط، عدد آخر من القتلى والمعتقلين وركام البيوت.. وساحة اوسع للحصار تصرفها اسرائيل سلفة على السلام الشامل الذي سيحل عما قريب- سلام روماني بطبيعة اسرائيلية منقحة: «أنا مسرور لاني سيدك و.. عليك أن تكون مسرورا لانك عبدي!..

لاشئ في الاراضي المحتلة يستحق الانتباه! على الفلسطينيين احتمال ماشاءت اسرائيل من اجراءات أمنية.. وماشاء العرب من ضغوط للقبول بالسلام و.. من امتثال لدعوة رابين: «العمل لاجل السلام» وكأن الاجراءات الامنية الاسرائيلية، ضد الفلسطينيين غير موجودة!

لاشئ.. مسافة أخرى على الشوط الذي ظل لاسرائيل على شعب يواصل صبره بأعلى الوجع و.. أعلى البطولة.. ومسافة أخرى من الزحف على البطون، يواصلها العالم العربي الرسمي، الى أن يتحقق سلام رابين.. الروماني.

وعليكم السلام.. الروماني، ورحمة الله وبركاته.

واشنطن تستخدم لغة الحرب الباردة
منظمة التحرير
والمقاطعة العربية فى مقدمة الأهداف



رسالة القدس

يؤكد المسلك العملى للأدارة الأمريكية الحالية برئاسة **كلينتون** والادارة السابقة برئاسة **بوش**، بأنها لاتزال تمارس سياسة المواجهة والحرب الباردة، لاسيما ضد تلك الدول والحركات التى كانت محسوبة فى السابق على المعسكر الاخر فى فترة الحرب الباردة، بالرغم من انهيار هذا المعسكر، وبالرغم من الاحاديث المنمقة والجميلة والحالمة عن النظام الدولى الجديد.

ولعل شهادة وزير الخارجية الأمريكي **وارن كريستوفر** أمام لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس النواب الأمريكى، تعبر أصدق تعبير عن استخدام لغة الحرب الباردة ولاسيما تجاه منظمة التحرير الفلسطينية وبصورة أكثر تطرفا من تلك اللغة التى استخدمت فى عهد الادارة السابقة.

وفى هذه الشهادة حدد **كريستوفر** أيضا أن من الاهداف المباشرة للسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط انهاء المقاطعة العربية المفروضة على اسرائيل، وذلك بالرغم من رعاية الولايات المتحدة للمفاوضات العربية-الاسرائيلية التى تستهدف الوصول الى سلام متوازن ينهى الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية من ناحية وينهى جميع مظاهر المواجهة بما فيها المقاطعة العربية من الناحية الثانية.

وتظهر لغة الحرب الباردة فى شهادة **كريستوفر** من خلال تركيزه على النتائج وتجاهله للاسباب التى أدت اليها، وتجاهله أيضا للحديث عن الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية كسبب رئيس للمقاطعة العربية والتركيز على المقاطعة وكأنها عملية فى فراغ.

والسؤال المطروح هنا كيف يمكن للمقاطعة العربية المفروضة على اسرائيل أن تزول، ما دامت حالة الحرب بين العرب واسرائيل والتى أدت لفرض هذه المقاطعة، لاتزال قائمة؟! وكيف يمكن لهذه المقاطعة، من وجهة نظر **كريستوفر** أن تزول مادامت اسرائيل تواصل احتلالها للاراضى العربية وتتنكر لقرارات الشرعية الدولية ولاسيما القرارين ٢٤٢ و٣٣٨ بالنسبة للقضية الفلسطينية والقرار ٤٢٥ بالنسبة للبنان؟!

ويبدو أن الجواب يتمثل فى محاولات الادارة الأمريكية تحديد نتائج العملية التفاوضية سلفا وتجريد الجانب العربى من ورقة ضغط تفاوضية قبل بدء المفاوضات. ولهذا فقد قال **كريستوفر** أن ابقاء المقاطعة العربية، خصوصا ضد الشركات الأمريكية أمر غير مرغوب فيه ولايمكن تبريره.

أما بالنسبة لمنظمة التحرير فقد جاءت أقوال **كريستوفر** على الشكل التالى: «إن الحوار مع منظمة التحرير الفلسطينية انقطع لان المنظمة لم تتقيد بالالتزام الذى قدمته لنبذ اعمال الارهاب» واضاف «أنه ليس لدى الادارة الأمريكية أى نية لتغيير هذا الموقف، ولكن اذا فعلنا ذلك، واذا ظهرت النية للقيام بذلك، وهذا يدخل فى اطار الفرضيات، فان ذلك سيتم فى الاطار الراسع، بمعنى النظر ليس فقط الى الحادث الذى أدى الى تعليق الحوار بل الى الاطار الأوسع بالنسبة الى- ماوصفه- بالاعمال الارهابية التى تنسب الى منظمة التحرير الفلسطينية.

حيدر عبد الشافى
الوفد الفلسطينى المفاوض



وارن كريستوفر



وهذا يعنى أن المطلوب من وجـهـة نظر الادارة الأمريكية حاليا هو مراجعة مجمل نشاطات منظمة التحرير ودورها السياسى وفى قيادة النضال الوطنى الفلسطينى.

ويعتبر موقف الادارة الأمريكية الحالية أكثر تطرفا من مواقف الادارة الأمريكية السابقة التى أعلنت على لسان وزير خارجيتها **بيكر** فى أكثر من مناسبة بانها ليست على استعداد لاستئناف الحوار مع المنظمة فى الوقت الحاضر، ومثل هذه الاجابة وردت على لسان **بيكر** ردا على طلب للوفد الفلسطينى باستئناف الحوار مع المنظمة وتكرر استخدام هذه العبارة من جانب المسؤولين الأمريكيين فى أكثر من مناسبة.

ان هذا الموقف الأمريكى يقدم ترجمة عملية للسلام المنشود على الطريقة الأمريكية، فى منطقتنا، فهو سلام قائم على تصفية الحسابات مع حركات التحرر الوطنى ومع كل جهة أو طرف كان على علاقة مع المعسكر الاخر فى زمن الحرب الباردة.

ولهذا فعندما تتحدث واشنطن عن استعدادها للقيام بدور الشريك الكامل فى المفاوضات فيجب أن تؤخذ مجمل مواقفها بعين الاعتبار، وأن يجرى التعامل مع هذا «الشريك» كما هو بالفعل أى شريك للطرف الاخر وحليف استراتيجى له.

وعليه يكون رفض الادارة الأمريكية المتكرر رغم المحاولات العديدة وبوادر حسن النية المختلفة التى قدمتها منظمة التحرير للحوار معها، دليل على اصرار هذه الادارة على مواصلة سياسة المواجهة رغم موافقة منظمة التحرير على المفاوضات وفق صيغة مدريد.

ومن هنا يكون من الخطأ الافتراض بان مزيدا من بوادر حسن النية، ومزيدا من المرونة، أو التساهل فى المفاوضات مع اسرائيل سيدفع بالادارة الأمريكية التى التحدث مباشرة مع المنظمة والى اقناع اسرائيل بالتفاوض معها.

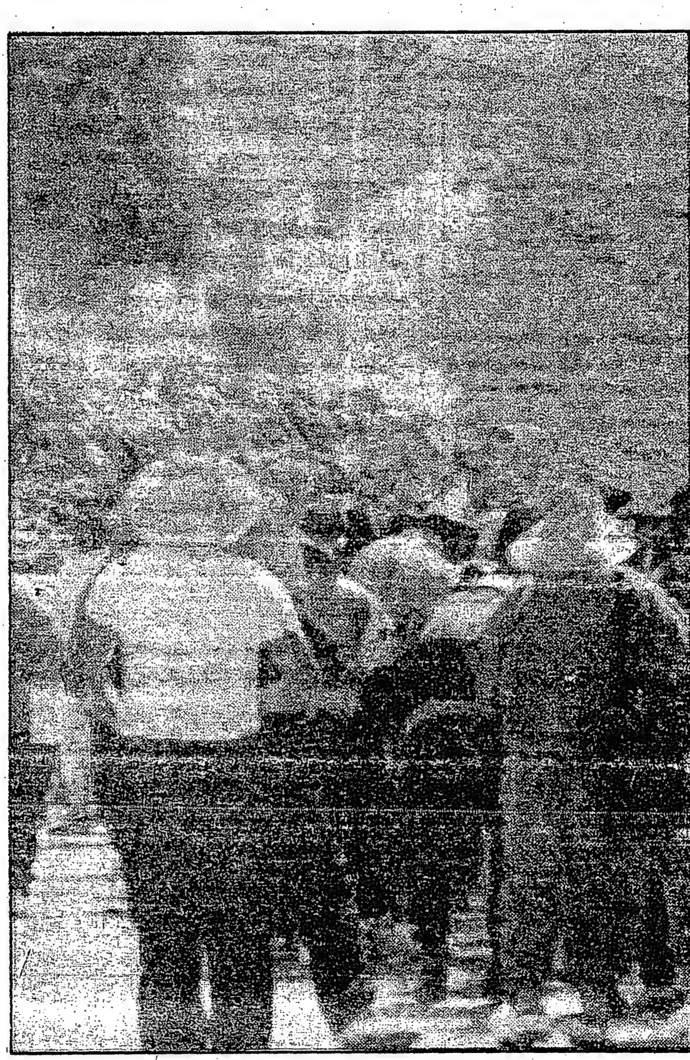
ونفس الشئ ينطبق على بعض الاطراف العربية التى قد تعتقد انها من خلال انهاء المقاطعة على اسرائيل تستطيع تحقيق بعض المكاسب المناسبة، فمثل هذا التنازل لن يؤدى الا الى اضعاف الجانب العربى وتجريده تدريجيا من أسلحته وأوراقه حتى يتسنى للولايات المتحدة أن تفرض عليه ماتريد.

بقيت الاشارة الى أن مطلب انهاء المقاطعة العربية كان قد طرح فى اواسط العام الماضى مقابل تجميد الاستيطان فى الاراضى العربية المحتلة.

وفى حينه جرى رفض هذا الطلب لان المقايضة المطلوبة وفق هذه المعادلة هى بين مسألتين احداهما تكتيكية، أى تجميد الاستيطان، والاخرى استراتيجية أى المقاطعة. وتعود واشنطن الان لطرح نفس المطلب ولكن بصورة أكثر حسما وأقل لياقة من الناحية الدبلوماسية على الاقل، فمطلب انهاء المقاطعة الحالى، هو مطلب غير قابل للنقاش وللتنفيذ الفورى ومقابل لاشئ! وهذا دليل اضافى على التصعيد فى لغة المواجهة الأمريكية.

ويبدو واضحا أن مقاطعة بعض العرب للمنظمة ولجوء البعض الاخر الى استخدام الضغوط ضدها، هو الذى يغذى موقف الادارة الأمريكية بهذا الشأن، كما أن غياب التضامن العربى وتفضيل المصالح الاقليمية على المصلحة القومية المشتركة هو أيضا يغذى التمادى فى مواقف الادارة الأمريكية ومطالبها التى تقترب أكثر فاكثر من لغة التهديد والاملاء.

ان مثل هذا الواقع يتطلب وقفة شاملة والنظر الى الامور نظرة جديدة تضع حدا لمنهج التأقلم مع ما يراد فرضه على منطقتنا وتقدم الاجوبة الصحيحة والموضوعية لوقف هذا التدهور فى الموقف العربى. واذا كانت عوامل الضعف التى تستفيد منها واشنطن باتت معروفة، فإن التخلص منها بات امرا ملحا على أن تكون الخطوة الأولى فى هذا الاتجاه ترميم التضامن العربى واعادته وتعزيزه على الصعيدين الشعبى والرسمى وهذه مهمة كبيرة ومعقدة ولكنها فى متناول اليد.



انفجار قذيفة اسرائيلية فى مسيرة المبعدين (مرج الزهور)

حاشية على «مذكرة النصيحة»

٩٠٠ رجل دين وأستاذ جامعي ومثقف يطالبون بالاصلاح السياسى وحماية حقوق الانسان

خليل عبد الكريم

-١-

منذ حركة « **الجهمان**» التى بدأت مع مطلع القرن الخامس الهجرى حتى **مذكرة النصيحة** محرم ١٤١٣هـ- والتى حررها ووقع عليها عشرات من رجال الدين والأساتذة والمثقفين ووجهوها إلى سماحة **الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز** ليرفعها بدوره إلى خادم الحرمين الشريفين **الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود** ،مرورا بـ **«الحركة النسائية الاحتجاجية»** التى نفذتها صفوة من النساء اللاتى يعملن فى التدريس بالجامعات وفى بعض المهن الراقية منذ عامين فى الرياض وتمثلت فى توليهن قيادة السيارات بأنفسهن،ومرورا أيضا بالتكتلات والتجمعات الشبابية التى يكونها خريجوا الجامعات والمعاهد العليا على هيئة نواد وجمعيات ثقافية وأدبية وفنية ورياضية



الملك فهد

ومرورا مرة ثالثة بالمعركة المحتدمة فى أغلب الصحف والمجلات الأسبوعية والشهرية والدوريات السعودية بين الأصالة والحداثة..فإن المراقب والمتتبع لهذه الظواهر لايسعه إلا أن يؤكد أن النار مضطرمة تحت الرماد، وأن المظهر الخارجى البراق الذى يزعم لناظره أن هناك استقرارا وأمانا ورخاءا ورفاهية لكل فرد، هذا المظهر خداع ولكن ليس للملمين ببواطن الأمور.

عندما فرغت من قراءة روايتى **عبد الرحمن منيف: «شرق المتوسط» و«الآن هنا- أو- شرق المتوسط مرة أخرى.»** تيقنت أن الرياح أصبحت تأتى بكثافة بمالاتشتهى السفن الحاكمة، مع أن الذين يجرؤون على تحريك الرياح يدفعون ثمنا رهيبا وباهظا وفظيعا لايدرك بشاعته وبربريته إلا من قرأ الروايتين.

* * *

اجتمع مايزيد على مائة رجل دين وأستاذ جامعة ومثقف وعقدوا العزم على تحريك قدر ولو يسير من الرياح إنما بطريقة قانونية وعبر القنوات المشروعة حتى لا ينالهم مالاحق أبطال روايتى **عبد الرحمن منيف** ويقضون مابقى من أيامهم فى **«سجن العبيد»** الذى يسخر من سجون القرون الوسطى ويثبت لها أن ما كان يحدث فى سراديبها لايعدو أن يكون «لعب عيال»،- فحرروا (مذكرة نصيحة) من نيف وأربعين صفحة فلوسكاب من الخط الدقيق . الذى أجهدنى فى القراءة- موجهة أساسا إلى جلالة الملك عبر **رئيس شئون التقديس فى المملكة الشيخ عبد العزيز بن باز**(صاحب الفتوى الشهيرة التى ملخصها أن من يعتقد أن الأرض كروية ويصرح بذلك يكون قد أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة وإذا لم يتب خلال ثلاثة أيام كوامل- أى بلياليهم- تطلق عليه زوجته ويحل دمه وعرضه وماله)، إنما المفاجأة التى لم يكن يتوقعها أحد والتى عقدت الألسنة من الدهشة وأصابت العقول بالحيرة هو أن عددا من أبرز رجال الدين الرسميين والمرتبطين بالدولة أيدوا (المذكرة) وزكوها ولم يكتفوا بذلك بل أفرغوا تأييدهم وتزكيتهم فى وثائق مكتوبة بخط أيديهم ووقعوا عليها وأرفقوها بالمذكرة تدعيما لها.

والذى لايصدقه القارىء أن بعضا من أولئك المؤيدين المزكين أعضاء فى أكبر هيئة دينية حكومية هناك هى (**الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد**).وأعلل هذا الموقف من هؤلاء المؤيدين والمزكين ؛ سواء فى الرئاسة العامة أم فى هيئات رسمية أقل منها درجة ؛ أنه امتداد للموقف المعارض الذى وقفه العديد من رجال الدين وخاصة الشباب منهم الذى أبدوه فى حرب الخليج الثانية من إستعانة الأسرة السعودية بـ(الكفار!!!) لحماية الأراضى المقدسة إلى إنشاء كنائس مسيحية ويهودية هناك لجنود التحالف(لإنه يناقض الأثر : لايجتمع دينان فى جزيرة العرب-أى لايجتمع مع الإسلام دين آخر فى الجزيرة العربية) - إلى ظهور المجندات الأمريكيات فى مدن المنطقة الشرقية وهن يلبسن الشورتات الساخنة ويشربن البيرة ويدخن السجائر المحشوة بالماريجوانا علانية.

هذا الموقف المعارض أدى إلى سجن بعضهم وتوقيف الآخر عن عمله فى المساجد؛ المهم أن مذكرة النصيحة هذه لم تكن نبتا شيطانيا بل هى **إفراز طبيعى لكل مايدور فى المملكة بداية بانفلات وسائط الإعلام(فى نظر السلفويين المتعنين) إلى إستئثار العائلة المالكة بالمقدرات السلطوية والمالية** مرورا **بالتفاوت الطبقى القادح أو الفاضح،ووجود فقر،وعوز نسبة ملموسة من السكان تعيش قريبا من خط الفقر والأخرى على الصدقات بأنواعها ومدن وقرى- دعك من النجوع فى البوادى- محرومة من أبسط المرافق.**

-٢-

مذكرة النصيحة انضوت على مطالب رائعة لايسعك مهما كان رأيك فى محرريها أو الموقعين عليها أو مزكيها إلا أن تقف بجانبهم وهم يرفعون صوتهم بها: فهم يطالبون بضرورة حماية حقوق الإنسان ومنع (**منسوبى الأجهزة الأمنية من التجسس والتصنت وتفتيش المنازل وفتح الرسائل والتعدى أحيانا بالضرب والعدوان وتعذيب المتهم**) وهذا مطلب ملح وعاجل وفى غاية الأهمية لأن جمعيات حقوق الإنسان العالمية أكدت

فى تقاريرها: إن حقوق الإنسان فى المملكة مهدورة ،وفى معرض القاهرة الدولى للكتاب (فبراير ٩٣) كان بعض تلك التقارير يباع بعكس سنوات سابقة كان للعرض فقط، والذى أتيحت له فرصة الإطلاع عليها أو على بعض منها لا أستبعد أن يشيب قبل الأوان.



مجندات أمريكيات فى السعودية

وطالبت المذكرة بمنع (**المخصصات المالية للأسر الفنية وصرف مبالغ من بيت مال المسلمين للاستهلاك الشخصى لغير المحتاجين) و(المحافظة على الثروة النفطية) وحظر تشييد المبانى الفارهة من بيت مال المسلمين) و(إقطاع الأراضى الشاسعة لفئات من أولى الجاه والسلطان للمتاجرة بها...الخ).**

وهى إشارات واضحة ولاتحتاج لكبير عناء لتعرف من المقصود بها. الأهم أن واضعى المذكرة حرصوا على أن يؤكدوا ويكرروا أن ثروات البلاد هى ملك لجميع المواطنين دون تفرقة وليست حكرا على أسرة معينة أو أفراد بذواتهم وهذا يستشف من استعمالهم لعبارة (بيت مال المسلمين) ذات الدلالة المعيارية والتاريخية.

وأهم -أومن أهم- مالفت نظرى فى مذكرة النصيحة وصف الطبقات المسحوقة فى المجتمع السعودى والتى ترسب فى القاع والتى تغطى عليها المظاهر الخادعة فى السطح والتى تضخمها وسائل الإعلام فى الداخل،تؤازرها الأقلام ،والتحقيقات المأجورة فى الخارج(فى الوطن العربى وفى غيره)،فهناك:

(مناطق فى المملكة تعيش دون حد الفقر،فمساكن أهلها ملاجىء من العشش والصفيح ولاتسأل عن معاشهم وتعليمهم وصحتهم) بل إن الفقر دفع بعض أفراد الأسرة إلى الانحراف!!!و(**هناك شبابا يعجزون عن الزواج بسبب قلة ذات اليد وهذا مايعرضهم للفتن أو يدفعهم إلى طرق أبواب المحسنين) كما (أثبتت الدراسات الاجتماعية أن أكبر أسباب انحراف الأحداث وتعاطى المخدرات هو عجز الأسرة عن الوفاء بحاجات الصغار الضرورية) وهناك(أسر كثيرة فى المدن والقرى لاتجد ما يسد حاجتها من المطعم والملبس والمسكن حتى بلغت حالتهم حدا قريبا من حال رعايا بلاد العالم الفقيرة،إذ تجمع لهم الملابس من المساجد ومن المحسنين)**، حتى دور العبادة فإن كثيرا من المساجد (بلا دورات مياه ولامساكن للأئمة والمؤذنين وتفتقر إلى المستوى المعمارى اللائق وإلى التأثيث وغالبيتها شيدها الأهالى وهم الذين يقومون على رعايتها).

وهى صورة ناطقة لاتحتاج لشرح أوتعليق وأجزم أن غالبية قراء اليسار سوف يدهشون عندما يعلمون أن هذه هى حال البنى التحتية فى المجتمع السعودى لأنهم مأخوذون بالصورة الزائفة التى تجند الأسرة الحاكمة كل إمكانياتها لتكريسها فى عيون ووجدان الناس سواء فى الداخل أو الخارج.

(وشهد شاهد من أهلها)

،فلو أن غير سعودى كتب هذه التقريرات لما صدقه أحد أو نسب إليه التشنيع أو الإفتراء أو الإساءة كما أنه لايوجد بين من وقع على المذكرة أو أيدها يسارى أو شيوعى ولاحتى اشتراكى حتى يقال إنهم كتبوا هذه التقريرات المذهلة إنطلاقا من أيديولوجيتهم المعروفة.

وفى مقابل هذه الصورة الكالحة الكئيبة للطبقات المطحونة فى ذلك المجتمع توجد قلة مترفة تعيش عيشة أسطورية ويقرأ الناس فى أركان الدنيا الأربعة وبجميع اللغات عن السفه والتبذير وعن الملايين التى يصرفها أبناء تلك القلة المترفة .بتعبير المذكرة (**العوائل الفنية**) على موائد القمار ونواد «**البلاى بوى**» فى أوروبا وأمريكا..الخ دعك من التبرعات السخية لبلدية نيويورك وغيرها.

ثم تناولت المذكرة جانبا خطيرا وهو الفساد الذى تزكم رائحته الأنوف المخشرمة والرشاوى والعمولات والاختلاسات والتربحات التى تتزيا بأزياء مختلفة:

(حصول البعض على مناقصات الدولة) و(الامتيازات التى تعطى لبعض الشركات والمؤسسات) (والهيمنة على وكالات الشركات الأجنبية) وقصر التراخيص فى بعض الأنشطة التجارية على ذوى النفوذ ومحاسيبهم..الخ.

ثم تحدثت عن الجيش وكان بديهيا أن يتطرق الحديث إلى ما أسمته المذكرة (**أزمة الخليج**) وتابعت: إن الميزانية البالغة الضخامة للقطاعات العسكرية لاتتناسب مع عدد أفراد القوات المسلحة ولا إمكاناتها ،وحتى بعد حرب الخليج الثانية (أو أزمة الخليج) فإن الحال لم يتغير قيد أنملة بل ظل كما هو.

ويضيق المجال المسموح به لهذا المقال عن سرد كل ماجاء بـ(مذكرة النصيحة)، ثم اقترح محرروها الإصلاحات التى يرون ضرورة تطبيقها وفورا فى كل القطاعات:

فى مجال حقوق الإنسان ،القضاء والمحاكم، فى المال والاقتصاد- فى المرافق الاجتماعية والإدارية وأخيرا فى الجيش،وهى اقتراحات جيدة وإن جنحت للمثالية فى بعض الأحيان.

***

ولكن الذى يعيب المذكرة أنها وهى تستعرض واقع الحال فى المجالات التى تناولتها اكتفت بالتوصيف دون التحليل أى رصدت النائج وهى مجسمة على الطبيعة دون ذكر الأسباب التى أدت إليها، فعلى سبيل المثال عندما وصفت حال البنى التحتية المزرية لم توضح لنا العلل الكامنة وراء انقسام المجتمع السعودى إلى قلة تعيش فى قصور تتوارى منها خجلا قصور ألف ليلة وليلة أو قصور هارون الرشيد فى بغداد وإلى أغلبية مطحونة تعيش فى الملاجىء والعشش ومدن الصفيح، كذلك وهى تكشف عن حجم الفساد الذى يهيمن على دواوين الحكومة والعمولات والاختلاسات والرشاوى فى المسيطرين على هذه الدواوين والمحيطين بهم لم تذكر الأسباب التى أدت إلى أن يكون الفساد هو السمة المميزة لهؤلاء، وأولئك كما لم تخبرنا لماذا توجد لدى الجيش السعودى معدات بمئات المليارات مع قلة عدد أفراده ولم استمر الوضع على حاله رغم الدروس التى أسفرت عنها أزمة الخليج.

لو أن واضعى المذكرة عمدوا إلى التحليل وكشف الأسباب والعلل الكامنة وراء الأوضاع

المتردية فى القطاعات التى ذكروها لأضفى ذلك على المذكرة مصداقية أكبر تدفع إلى مزيد من القناعة بالمطالب التى نادوا بها،ولكن يبدو أن قدراتهم أو ملكاتهم تعجز أو حتى تقصر عن التحليل ومن ثم اكتفوا بالتوصيف.

-٣-

المذكرة كما أوضحنا تحتوى على جانب مشرق ولكنها فى ذات الوقت تضم جانبا مظلما شديد الإظلام شوه صورتها بل أفقدها الكثير من قيمتها وكادت فى نظرى أن تتحول إلى وثيقة كهنوتية.

ذلك أن الإصلاحات التى نادى بها واضعوها اشترطوا أن تتم عبر رجال الدين أو بتمييزهم (قضاة الشرع) فهم (حرس على حسن تطبيقه ومنع الخروج منه ،وهم الذين يراجعون كل القوانين والأنظمة والأنشطة بلااستثناء فما وجدوه موافقا للشرع أقروه وماكان غير ذلك ألغوه وأبطلوه.

إذن هى حكومة العمائم البيض التى تحكم بالحق الإلهى المقدس والتى يحاول الإسلاميون فى مصر- خاصة من ينسبون إلى أنفسهم الإستنارة- يحاولون أن ينكروها ،ولكن الإخوة السعوديين كانوا أكثر منهم صراحة وجرأة فكشفوا عن هويتها وأوضحوا قسماتها وحجتهم فى ذلك هى ذات الآيات التى يرفعها التيار الإسلامى فى مصر بفرعيه المتشدد ومدعى الاعتدال والاستنارة،وهم جميعا (سعوديون ومصريون يبترون الآيات (الشعار) من سياقها ويتغاضون عن مناسبات ورودها وأسباب نزولها ودلالات ألفاظها وقت أن جاء بها الوحى ثم نطق بها الرسول عليه الصلاة والسلام واختلافها عنها الآن، يغضون الطرف عن ذلك كله ليصلوا إلى غرضهم تحت رايتها.

والسؤال الذى يرد إلى الذهن مباشرة من هو صاحب الحق فى أن يقرر أن هذا موافق للشرع أو مخالف له،وقد رأينا- وهذا على سبيل المثال- فى حرب الخليج ،كيف اختلف أصحاب الفضيلة فى داخل المملكة ذاتها فى المسائل المتعلقة بالاستعانة بجيوش الفرنجة (بعضهم مشى فى ركاب الدولة وأطلق عليهم الحلفاء وأحل الإستعانة بهم والفريق الآخر وصفهم بالكفار وأدان الإستعانة بهم)... الخ.

ولاندرى هل قرأ الإخوة قراءة تدبر وتمعن ماقاله الرسول عليه الصلاة والسلام ل(بريدة) عندما أرسله لمحاصرة أحد الحصون:

إذا أرادوك النزول على حكم الله فلاتفعل إنما أنزلهم على حكمك أنت لإنك لاتدرى حكم الله).

فإذا كان صحابيا بمعية الرسول لايعرف حكم الله فى مسألة واحدة محددة فكيف يدعى رجال الدين فى مصر والسعودية أو فى غيرهما أنهم يعرفون حكم الله فى الصغيرة والكبيرة فى الشاردة والواردة؟ أين رجل الدين الذي يحيط علما بكل الأمور والأنشطة:

فى السياسة الخارجية والداخلية- فى الاقتصاد- فى المالية العامة- فى الإسكان - فى الإعلام- فى الصحة،فى التربية والتعليم،فى البيئة-.الخ

وهل يترك رجال الدين علومهم ليتفرغوا لإتقان هذه العلوم؟ وماالحكم فى أمور استجدت تقدر بالألوف فى كافة المجالات لم تكن معروفة وقت نزول الوحى ولاتوجد لها أمور مماثلة آنذاك أو حتى قريبة الشبه حتى يمكن أن يقاس عليها؟

***

لقد استشعر واضعوا المذكرة استحالة تحقيق مطلبهم وهو هيمنة رجال الدين هيمنة كاملة على تشريعات الدولة لذلك أخذوا يتخبطون وأفلت الخيط من أيديهم فتارة يطلبون ضرورة وضع مذكرة فقهية لكل قانون(لائحة) وأخرى يرون ضرورة إنشاء محكمة شرعية عليا لمراجعة أى قانون يصدر،وعندما فطنوا إلى استحالة معرفة رجل الدين بكل العلوم والمعارف طلبوا تحويل الأقسام الأكاديمية والتعليمية للأنظمة فى الجامعات ومعاهد الإدارة إلى أقسام متخصصة بالفقه الشرعى أى لايدرس فى الكليات النظرية(خاصة) بالجامعات إلا دروس الفقه- وهو مطلب فوق أنه يثير الرثاء- فإنه يناقض نفسه إذ كيف يعرف الفقيه أن يقيم قانونا متعلقا بالاقتصاد مثلا وهو لم يدرس لأن قسم الاقتصاد فى الكلية يجب أن يلغى ليحتل الفقه مكانه!!!

***

وإذا كان هذا هو دور أصحاب العمائم البيضاء فى الدولة، بيدهم وحدهم الميزان ولهم دون غيرهم حق الحكم فيما يختلف أو يأتلف مع الشرع فما هو الفرق إذن بين هذا النظام وبين (نظرية ولاية الفقيه)= أصحاب العمائم السوداء فى المذهب الشيعى الأثنى عشرى؟

وإذا كان كبير رجال الدين فى السعودية ينكر حتى الآن كروية الأرض ويفتى بكفر من يعتقد ذلك ،والناس فى كافة أنحاء المعمورة رأوها بأعينهم وتأكدوا بحواسهم أنها كروية فكيف إذن تكون حالة فتاوى هؤلاء الجهابذة فى الاختراعات والاكتشافات المذهلة التى تدهشنا وتحير عقولنا كل يوم ويكفى أن نشير إلى ماتحققه الهندسة الوراثية على سبيل المثال؟

***

ويجنح واضعوا المذكرة إلى التمويه والمخرقة والشعبذة بادعاء أن مايقولون به هو تحكيم لشرع الله الذى اجتمعت الأمة على الانقياد له ولايسع أحد الخروج عليه.

وهكذا يتم توحيد أقوالهم بالشرع ومن يخرج عليها يكون خارجا على الشرع وهى ذات النغمة التى يعزفها التيار الإسلامى من الجزائر حتى أندونيسيا. ومذكرتهم لاتدور على العقيدة أو العبادة بل تتناول أمورا معاشية ومسائل حياتية وفيها ومن أجلها :

قال الرسول:**أنتم أعلم بشئون دنياكم.**

والاجتهاد فيه أمر بشرى والإختلاف حولها أو بشأنها لايعد خروجا على الشرع.

ولكن لأن دعوى سيطرة رجال الدين وأصحاب العمم على مرفق التشريع بأكلمه وفى كل قطاعاته- لما كانت هذه الدعوى هشة ومتهافتة فلاسبيل لمؤازرتها وتدعيمها إلا باللجوء إلى سلاح التكفير- المعهود- والخروج على الشرع وإجماع الأمة.

ألايكفى رجال الدين- أصحاب الفضيلة- مايتمتعون به من مكانة ومايحظون به من تقدير لقاء علمهم الدينى فلماذا يصرون على الخروج عن اختصاصهم الأصيل والدخول فى دائرة أودوائر هم غير مؤهلين لدخولها ،وإذا أصروا فإنهم بذلك يسيئون إلى الدين الذين هم سدنته وإلى أنفسهم وليتركوا (علماء الدنيا)وشأنهم حتى يعتدل الميزان،وتصح الأمور وتضع الشعوب العربية والإسلامية أقدامها على الطريق الصحيح.

***

خلاصة الأمر أن (مذكرة النصيحة ١٤١٣هـ)حملت جوانب مشرقة أحسن مايكون الإشراق وفى ذات الوقت ضمت جانبا مظلما أشد ماتكون الظلمة أوشك أن يفسدها ويفقدها كل قيمة وهو مطالبة محرريها بهيمنة أصحاب العمائم البيض على التشريعات أى بمعنى واضح وصريح لالبس فيه المطالبة بـ **(حكومة رجال الدين).**

وصدق الله العظيم (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا » الآية /١٠٢ من سورة التوبة.



اغتيال كريس هانى فى جنوب أفريقيا

محاولة اغتيال تحالف الحزب الشيوعى والمؤتمر الوطنى الأفريقى

حلمى شعراوى

يشكل تحالف الحزب الشيوعى فى جنوب أفريقيا مع المؤتمر الوطنى الأفريقى ظاهرة متميزة للقاء الشيوعيين والوطنيين فى الحركة الوطنية الديمقراطية فى العالم الثالث، حيث فشلت من قبل تجارب كبيرة مثلما حدث مع «الكومنتانج» فى الصين، أو لم تتحقق الا فى ظروف قيام الحكم الوطنى التقدمى بتنظيم الحلف أو التوحد فيه (كوبا كاسترو، مصر عبد الناصر)، وهى من ناحية أخرى نموذج متميز أيضا لوقارناه بوضع اليساريين اليهود فى فلسطين تجاه مشروع الدولة الديمقراطية.

وقد أدت ظروف كثيرة لنجاح التجربة حتى الآن فى جنوب أفريقيا وعلى مدى أكثر من اربعين عاما، وعاونت اختيارات الشيوعيين ومواقفهم الوطنية والاجتماعية المتسقة مع طموحات أكبر قاعدة جماهيرية على نجاح هذا التحالف. لقد عبر حزب المؤتمر الوطنى منذ ١٩١٢ عن عمق المعارضة الجماهيرية لسيطرة البيض والتمييز الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ضد السود وعزلهم تماما فى أنماط مختلفة من نظم الابارتيد خاصة منذ ١٩٤٨. وكان الحزب الشيوعى الذى نشأ أساسا بين البيض عام ١٩٢١ يحرك القوى التقدمية بينهم وخاصة من النقابيين والمثقفين ويبث فكرية الصراع الطبقى ضد مستغليهم البيض أنفسهم ويدفع بالمئات منهم إلى ساحة معارضة النظام العنصرى والاستغلالى والانتماء فى خط مشترك مع المؤتمر حول الدولة الديمقراطية. وفى نفس الوقت كان قادته من البيض حريصين منذ البداية على نقل جسم الحزب إلى الأفارقة السود ليشكلوا الاغلبية فيه وهو ماحدث منذ ١٩٢٨... وتبع ذلك مباشرة تغيير إيديولوجية الحزب تجاه الاستعمار الاستيطانى من كونه مسألة قومية (اجتماعية) الى اعتباره استعماراً امبرياليا.

تحالف عميق الجذور:

ليس مصادفة إذن أن يتعمق التحالف السياسى بما هو أكثر من الجبهة، وأن يتصور النظام العنصرى الذى تسلط تماما عام ١٩٤٨ أن عدوه الأول هو الحركة الشيوعية وأن يصدر لهذا الفرض قانونا خاصا بتجريم الشيوعية عام ١٩٥٠ مع اصداره قانون التخريب لمقاومة الحركة الوطنية.. ويحظر النظام وجود الحزب الشيوعى منذ عام ١٩٥٠ بينما فرض الحظر على المؤتمر الوطنى عام ١٩٦٠.

وقد أعاد الحزب الشيوعى تنظيم نفسه سريا عام ١٩٥٣ وأعلن «تحالف المؤتمر» فى ذلك العام أيضا وعاون الشيوعيون حزب المؤتمر الوطنى الافريقى فى تنظيم التحالف الشعبى الوطنى العريض الذى أعلن ميثاق الحرية عام ١٩٥٥ ليشكل وثيقة العمل الوطنى الرئيسية فى جنوب افريقيا يختلف ويتفق من حولها جميع الفرقاء. وعندما تصاعد نفوذ الحركة الوطنية والوطنية الديمقراطية فى ظل وجود دول التحرر الوطنى والدول الاشتراكية، شكل الحزب الشيوعى مع المؤتمر الوطنى الافريقى منظمة «رمح الامة» «أمخونتودى سيزوى» الشهيرة عام ١٩٦١ لتقود اعمال العنف ضد النظام العنصرى ثم الكفاح المسلح مع تصاعدة فى كافة المستعمرات فى ذلك الوقت ولاينكر أحد دور العناصر الشيوعية البيضاء فى اخفاء أو تهريب الوطنيين الأفارقة.

وحتي خروج مانديلا من السجن فى فبراير ١٩٩٠ فى ظل عرض لحل تفاوضى من أجل دولة ديمقراطية لمواجهة الأوضاع المتدهورة والعنف المتصاعد فى جنوب أفريقيا كان جوسولوفو زعيم الحزب الشيوعى (الأبيض) وكريس هانى أمينه العام (الأفريقى) من قادة استراتيجية الكفاح المسلح وتنظيم عمليات العنف تخطيطا وتنفيذا، سواء أثناء وجودهما فى زامبيا وموزمبيق أو بعد عودتهما للداخل حتى بدأت المفاوضات. وكانت حياة سلوفووكريس هانى تخصص لطلبها المكافأت المغرية من قبل النظام العنصرى حتى انفجرت إحدى قنابلة المدمرة فى مكتب «سلوفو» وزوجته الكاتبة المعروفة «روث فيرست» فى موزمبيق فأودت بحياة «فيرست» وانقذت الصدف حياة «سلوفو»

التوازن الدقيق

وقد شكل وجود كريس هانى وسط

التنظيم المسلح لتحالف الحزب الشيوعى والمؤتمر الوطنى الأفريقى ظاهرة فى حد ذاته، لم تؤثر فقط على بلورة مواقف حركة الشباب الذين يشكلون جسد «رمح الأمة» ولكنها أثرت على الاختيارات السياسية والاجتماعية للحزبين معا. وكريس هانى من كيب تاون بلد التفتح الفكرى والسياسى والتنوع العنصرى، وهو أقرب الى الحركة العمالية والنقابية بحكم نشأته العائلية وأصوله الفقيرة، وأتاح له وضعه التنظيمى وخطه الراديكالى شعبية بين حركة الشباب والحركات الديمقراطية القاعدية جعلت استقباله مع عودة الكوادر من الخارج وشعبيته أثناء حركته وسط التنظيمات الجماهيرية موضع حسد البعض فى حزب المؤتمر نفسه وموضع حقد النظام العنصرى وقادته، وقد أهلته شعبيته تلك لبضبط إيقاع التوجهات الراديكالية والوسطية على الساحة السياسية كلها فى فترة التفاوض الحساسة مع النظام العنصرى:

– فعلى المستوى الراديكالى: كانت المنظمات القاعدية لاهالى المدن السوداء والحركة الطلابية والنسائية –التى تتمتع **ويني ماندلا** بمكانة بينها– وشباب «**رمح الأمة**» طلاب استمرار العنف والكفاح المسلح يطالبون بنقل السلطة فى جنوب افريقيا مباشرة الى الأغلبية الديمقراطية، أى الاغلبية السوداء، **ويتهمون قادة المؤتمر «التاريخيين» بالمساومة فى عملية تفاوض فوقية تتجاهل تنظيم الجبهة الديمقراطية المتحدة السابق والذى شمل أكثر من سبعمائة تنظيم قاعدى.**

ويتهم هذا الجناح مانديلا نفسه بالمساومة فى المفاوضات، بل ولايعبرون عن ثقتهم فى الأمين العام الجديد لحزب المؤتمر «سيريل رامافوزا» رغم أنه من قادة اتحاد العمال (كوزاتو) إلا أنه تروج حوله إشاعات عن مصادقة أصحاب المصالح من الرأسماليين الأمبرياليين..الخ

ويكاد هذا الجناح أن يشكل حلفا مستقلا يلتقى فيه شباب رمح الأمة والحزب الشيوعى ببعض عناصر حزب الوحدة الأفريقية (پاك) الذى كان يرفض المفاوضات حتى وقت قريب، وبمجموعة «العمال الماركسيين» داخل المؤتمر الوطنى والمشكلة منذ عام ١٩٧٩، ومنشقى «حركة الوحدة الجديدة» التروتسكية.

ويرى هذا الجناح عدم التسليم بتوقف العنف قبل تسليم النظام العنصرى بحكم الأغلبية فى دولة ديمقراطية كما يرى الابقاء على الشعارات الاشتراكية للمؤتمر الوطنى وضرورة مشاركة المنظمات القاعدية فى المفاوضات وليس فقط المنظمات القيادية أو الحزبية الساسية كما فى صيغة «**كوديسا**» الحالية (**مؤتمر جنوب افريقيا ديمقراطية**) .

– وعلى المستوى المسمى «**بالمعتدل**» أو المساوم: **يتصدر مانديلا** على رأسه، ويرى معظم قادته مثل **سولوكوى وراما فوزا** أن لعبة التفاوض تفترض التدرج ومساومة الاطراف العنصرية ويهتم هذا الجناح بقبول تفاوض ثنائى مع النظام العنصرى على نحو ماكشفته وثيقة صادرة عن المؤتمر نفسه واجتماعات ثنائية تمت فعلا مع **الحزب** الوطنى (**ديكليرك**) فى ديسمبر ١٩٩٢

كريس هانى



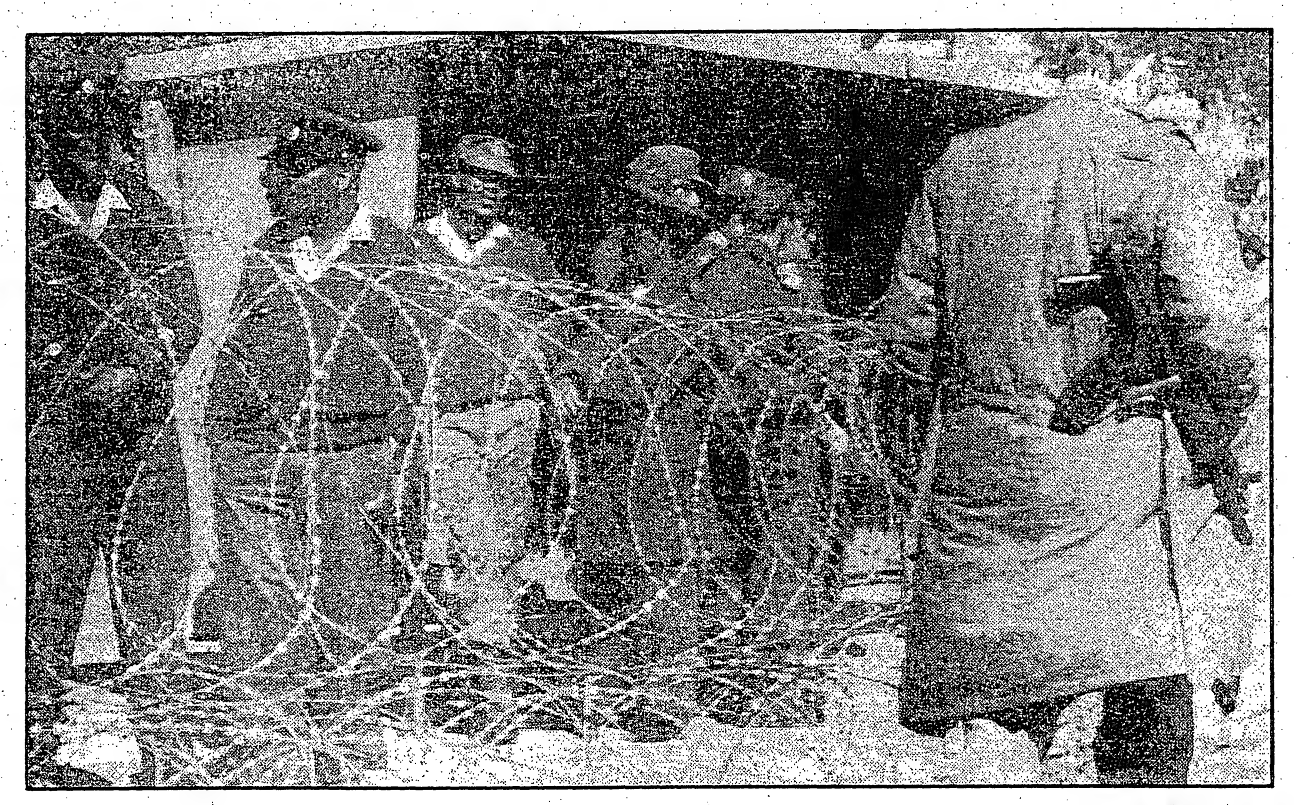
جوسلوفو زعيم الحزب الشيوعى

وتدور المناورة «الثنائية» للمعتدلين حول تشكيل حكومة مؤقتة عام ١٩٩٣ واجراء انتخابات جمعية تأسيسية آخر هذا العام، ثم تشكيل حكومة انتقالية ووضع دستور للبلاد عام ١٩٩٤ يضمن نظام تعدد الأحزاب والتمثيل النسبى (بالقائمة و٥٪ من الاصوات على الأقل) لضمان تمثيل كل القوى والفئات و«الألوان».

ورغم رفض الراديكاليين لمثل هذه الاتفاقات التى يعتبرونها «**أجندة خفية**» «**بين مانديلا وديكليرك** فان المعتدلين لايترقعون موافقة البيض عليها، حيث يصر الجناح اليمينى حول «ديكليرك» على ضمان **تمثيل خاص للبيض فى «مجلس شيوخ»** متوازن له حق نقض التشريعات، والتمثيل النسبى فى مجلس النواب (مجلس الاغلبية) بنسبة ١٠٪ من الأصوات كشرط دخول البرلمان، ووضع مواصفات لفترة انتقال تمتد من ١٠– ٢٠ سنة أى أنها فى مجملها صيغة شبيهة بما حدث فى حالة اتفاق «لانكستر هاوس» الخاص بروديسيا. (زيمبابوى الآن)..

وبينما يرى المعتدلون أن الظرف الدولى لايسمح باكثر من ذلك ، كما أن ظروف التدهور الاقتصادى أصبحت تطول جنوب أفريقيا ولابد من السعى لتحقيق «استقرار» سريع خاصة للاستثمارات الرأسمالية ورأس المال الأجنبى ويعلن مانديلا أكثر من مرة أن جنوب افريقيا لن تستطيع اتباع نهج الاشتراكية لتطمين أصحاب المصالح ،فإن الراديكاليين يرون أن مثل هذا الوضع لن يسمح بتغيير الاوضاع العنصرية إلا شكليا وان **زيمبابوى نفسها انتهت باستمرار سيطرة المصالح الأوربية وتكوين برجوازية افريقية كومبرادورية حليفة لهذه المصالح رغم الادعاء باستمرار «التوجه الاشتراكى» لحزب زانو.**

استطاعت معادلة ثنائية مانديلا– ديكليرك أن تضمن استمرار المفاوضات حتى الآن ويكاد الزعيمان الا يحققان سيطرة فعلية على المتطرفين فى معسكر كل منهما. ومع ذلك فبينما كانت شخصية مثل «**كريس هانى**» تقف كصمام الأمان بجانب وطنية مانديلا، وقوة ضبط للشباب وحركة الراديكاليين الضاغطة (وهى التى تفجرت فى الشوارع فعلا عند اغتياله فى ١١ ابريل ١٩٩٣) فان المتطرفين البيض لم يتوانوا فى



جانب من الأجراءات الأمنية التى اتخذت حول مقر المحكمة التى مثل أمامها المتهم بقتل كريس

تأكيد وجودهم وخطهم الرافض للتسليم للاغلبية الافريقية.

من قتل هانى؟ ولماذا؟

لقد بقى جناح قوى فى المؤسسة العسكرية البيضاء يستعرض وجوده فى الانتاج النووى ليقنع الغرب بقاعدته جنوب الاطلنطى ظهير بلدان الجنوب القلقة، وفى استمرار اضطراب الموقف بمعاونتهم فى انجولا **وموزمبيق**، كما بقى جناح الشرطة السرية والعسكرية يفتال الأفارقة فى أية مناسبة تظاهراً لاثارة الاضطراب أمام النظام، كما شكل البيض العنصريون أنفسهم تنظيم **«حركة المقاومة الأفريكانرية»** من المزارعين البيض أصحاب المصالح المضارة من أى اصلاح فى قانون ملكية الأراضى مقابل قانون الاستثمارات الصناعية. هذه الأجنحة العنصرية التى تساند فى النهاية **«دىكليرك»** كقوة ضغط على **مانديلا**، هى التى ساندت الاضطرابات العرقية بقيادة قبليين أفارقة (إنكاث) وهى التى ضمت جنرالات مذبحة سويتو القريبة وهى التى نظمت قيام رجل أبيض عنصرى يدعى **«يانوش فالوس»** **باغتيال كريس هانى.**

وليست المسألة هى مجرد قيام بعض المتطرفين البيض باغتيال زعيم أسود مثل **«كريس هانى»** ولم يكن «هانى» مجرد موازن جيد بين جناح التفاوض وجناح الرفض، أو أنه احتياطى جيد لقوة الرفض، **ولكنه كان رمزا وآلية نشطة: لتحالف خطير على المصالح الأمبريالية فى جنوب افريقيا هو تحالف الحزب الشيوعى والمؤتمر الوطنى الافريقى، فى وقت يبشر الجميع بانتهاء موجة الشيوعية وسقوط قواعدها ورموزها هنا وهناك.** إن جناح هانى فى الحزب الشيوعى بجنوب افريقيا هو الذى زحف «بالماركسية اللينية» واستهدف «الاشتراكية» فى العمل الديمقراطى فى آخر مؤتمر للحزب (ديسمبر ١٩٩١)، وهو الذى عبأ للحزب عضوية بعد عودة اعلانه حزبا شرعيا تزيد على ٢٥ ألف عضو فى أقل من عامين، وهو **الذى ضمن نجاح ٢٢ عضوا شيوعيا فى اللجنة التنفيذية الوطنية للمؤتمر الوطنى الافريقى والتى تضم ٥٠ عضوا وهو الذى يهدد كثيرا** من قيادات المؤتمر الوطنى الأفريقى فى نفوذهم وسط شباب ونساء الحزب رغم أنه لايتطلع الى قيادة حزب المؤتمر وإنما كان يعلن أنه بعد الانتخابات الديمقراطية وتشكيل حكومة الاغلبية فإن النضال لن ينتهى لأن **الحزب الشيوعى سيظل يناضل من أجل الاشتراكية والسلطة الكاملة للطبقة العاملة.** وكان نفوذه فى الحركة العمالية يهدد حزب المؤتمر نفسه ويثير اشاعات عن تكوين **«حزب للعمال»** بعد انفضاض صيغة المؤتمر الوطنى وتحالفه..

لذلك كان **«دىكليرك يصرح** -محرضا- إن وجود الحزب الشيوعى مع حزب المؤتمر لن يساعد الأخير على كسب الاستثمارات للبلاد لتساعده على تحقيق وعوده، **وكان مانديلا** يلمح الى أن الحزب الشيوعى سيتخذ طريقه الخاص «لأن حزب المؤتمر لن يتبع الاشتراكية. وفى صيف ١٩٩١ رفض مجلس الشيوخ الأمريكى اعتماد حوالى ١٥ مليون من الدولارات لمكاتب المؤتمر الوطنى الأفريقى ضمن معونات الهيئات العاملة بالدعاية فى الولايات المتحدة الأمريكية وذلك بسبب استمرار تحالف المؤتمر مع الحزب الشيوعى بجنوب أفريقيا، وحتى يفض هذا التحالف!

اعتقد أنه لكل ذلك اغتال يانوش فالوس.. المناضل كريس هانى..

عودة اليمين إلى الحكم:
مرحلة انتقالية.. أم بداية لحقبة جديدة؟..

دخلت فرنسا منذ نهاية مارس الماضى حلقة جديدة فى مسلسل تداول الحكم بين الاحزاب، حيث تسلم اليمين الوزارة فى ظل رئيس اشتراكى تنتهى فترة رئاسته بعد سنتين.

ويشير الواقع الى ان نهاية هذه الحلقة مفتوحة على جميع الاحتمالات انتظاراً لأمرين. أولهما ماستسفر عنه تجربة التعايش الحالية- وهي الثانية خلال ١٢ عاما- بين رئيس اشتراكى ووزارة يمينية، وكانت الاولى قد انتهت بعودة الاشتراكيين الى الحكم بعد عامين قضاهما اليمين فى الحكم(من ٨٦ الى ١٩٨٨).

والأمر الثانى هو ماستقدمه الوزارة اليمينية من حلول ملموسه للمشاكل الجماهيرية- وخاصة البطالة- التى كانت السبب الرئيسى فى هزيمة الاشتراكيين والتى يدرك قادة اليمين انها ستشكل تحدياً كبيراً لهم، الى جانب تحديات أخرى على رأسها الخلافات بين رموز الحكم اليمينى أنفسهم.

هذا الواقع انعكس على رد فعل قادة اليمين على انتصارهم فى الانتخابات التشريعية فى مارس الماضى حيث اتسم بالتواضع الشديد، وبالقلق من المستقبل.

لويس جرجس

بداية نؤكد أن نتيجة الانتخابات لم تكن مفاجأة لأحد لافى فرنسا ولا فى خارجها... الكل كان يدرك- لأسباب كثيرة- أن الحزب الاشتراكى الحاكم سيتحول الى صفوف المعارضة، وان المعارضة اليمينية ستقدم الى مقاعد الحكم.

مؤشرات هذه النتيجة كانت واضحة ويعترف بها قادة الحزب الاشتراكى أنفسهم، ففى يناير الماضى كان الوزراء الاشتراكيون يحزمون حقائبهم ويستعدون لمغادرة مراكزهم، ويتحدثون عن مشاريعهم لما بعد الانتخابات، وفى فبراير- وقبل الانتخابات- كان الرئيس ميتران يصرح بانه يستبعد امكانية تعيين شخص مناهض للوحدة الاوروبية على رأس الحكومة اليمينية بعد الانتخابات، ممايؤكد اعترافه بتولى اليمين الحكومة.

الجديد فى الأمر هو أن سقوط الحزب الاشتراكى كان مدويا وغير مسبوق فى تاريخ فرنسا، حيث حصل تحالف اليمين على ٤٨٦ مقعدا برلمانياً من أصل ٥٧٧ مقعداً بينما حصل الحزب الاشتراكى على ٦٧ مقعداً فقط، فى المقابل حافظ الحزب



ميتران

الشيوعى عل كتلته النيابية(٢٤ مقعداً)، وخرج اليمين المتطرف من البرلمان وفقد مقعده الوحيد الذى كان يحتله العنصرى جان مارى لوبان رئيس الجبهة الوطنية، كما خرج انصار البيئة والخضر أيضاً.

هذه التشكيلة البرلمانية- مع الوضع فى الاعتبار نسبة التصويت(٦٨٪) مقابل ٣٢٪ ممتنعين وهى نسبة ضئيلة للغاية فى بلد ديمقراطى مثل فرنسا- تضع أيدينا على أهم أسباب سقوط الحزب الاشتراكى، فهى لاتشير الى تفضيل الناخبين لليمين ورفضهم التام لليسار(نلاحظ احتفاظ الحزب الشيوعى بمقاعدة) بقدر ماتشير الى رغبة فى تلقين الحزب الاشتراكى وقادته درساً بسبب تخليهم عن مبادئهم وتحولهم الى قادة بورجوازيين يميلون الى تبنى الحلول اليمينية للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية، وبسبب فضائحهم، وتعاليهم بعد أن مكثوا فى الحكم اثنى عشر عاماً

الصخرة الاولى

تعتبر الازمة الاقتصادية عامة- ومشكلة

البطالة خاصة- الصخرة الاولى التى تحطمت عليها شعبية الحزب الاشتراكى فبعد حكم دام١٢ عاماً- بينها سنتان للحكم اليمينى- زاد جيش العاطلين بمقدار مليون شخص(من ٢مليون عام/٨١ الى ٣ملايين حالياً)، وقد شهدت فرنسا فى الشهور القليلة السابقة على الانتخابات مظاهرات واحتجاجات على تفاقم هذه المشكلة وعلى فقدان الآلاف لوظائفهم نتيجة الكساد الاقتصادى.

واذا كان الرئيس ميتران يبرر هذه الازمة بانعكاس الازمة الاقتصادية العالمية على فرنسا، فالواضح انه لم يتخذ من الخطوات ما من شأنه حماية الاقتصاد الفرنسى بل انه تراجع منذ منتصف الثمانينات عن اجراءات الاشتراكية التى بدأ بها حكمه فى ١٩٨١(التأميمات-وخطوات الاصلاح الاجتماعى مثل تخفيض ساعات العمل...) وتحول الى سياسات يمينية مثل السماح للاجانب بالمساهمة فى المشروعات الحكومية بنسبة ٤٩٪ وغيرها من الاجراءات التى أدت الى ازدياد العجز والتضخم وارتفاع معدل البطالة الامر الذى أدى الى فقدان الحزب الاشتراكى لشعبيته.

ونرى على خلفية الازمة الاقتصادية ذلك الاندفاع الفرنسى بقيادة ميتران نحو"البناء الاوروبى" والذى يهدف الى تغطية تحول الحكم الاشتراكي نحو الحلول اليمينية، وقد وافق على معاهدة ماستريخت للوحدة الاوروبية بدون تضمينها أى شق اجتماعى، بل الاسوأ انهم اتجهوا نحو ضبط اقتصادهم على المعايير الليبرالية التى تفرضها المعاهدة مثل رفع سعر الفائدة واستمرار البطالة.

الصخرة الثانية

وكانت الصخرة الثانية التى تعثر فيها الحزب الاشتراكى هى ترهل الحزب وقادته، والفضائح السياسية التى اثيرت حولهم- ومنها اقتراض بييربيريجوفوا رئيس الوزراء مليون فرنك بدون فوائد من أحد رجال الاعمال لتجهيز منزل اشتراه فى باريس- واعتمادهم على أهل الثقة فى المناصب بدلاً من أهل الخبرة... وكانت هذه النقطة هى السبب فى انفضاض المثقفين من حول الاشتراكيين، واتهامهم لهم بانهم تحولوا الى"برجوازية جديدة". ومن وجهة نظر هؤلاء المثقفين فان البرجوازية اليسارية هى أمر مرفوض أكثر من البرجوازية اليمينية، ولعل موقف المثقفين هنا يبرر انخفاض نسبة التصويت وارتفاع الممتنعين عن التصويت.

وقد أدرك الرئيس الفرنسى الاشتراكى هذه الحقائق وتأكد- قبل الأنتخابات -من استحالة اصلاح صورة حزبه أمام الرأى العام فحصر اهتمامه فى كيفية خوض تجربة التعايش مع الأغلبية اليمينية، وأكد انه لايوجد حالياً خلافات بارزة بينه وبين المعارضة خلافاً للوضع فى فترة التعايش الاولى(٨٦- ٨٨) حينما تولى جاك شيراك رئاسة الوزراء وسعت الأغلبية اليمينية الى اشراك فرنسا فى برنامج حرب النجوم الامريكى.

مواجهة الدرس

بعد الانتخابات قال لوران فابيوس أمين عام الحزب الاشتراكى إن الناخبين اصدروا حكما قاسياًوسمحوا لليمين بتحقيق هيمنته الشاملة على البرلمان، وأكد على ضرورة اعادة بناء الحزب عبر الوفاء للاشتراكية والانفتاح على القيم الديمقراطية الاجتماعية.

ميشيل روكار رئيس الوزراء السابق قال إن الذى مات ليس الحزب الاشتراكى ولكن الأسلوب السياسى الذى سار عليه فى الفترة الماضية، وانصاف الحلول فى مواجهة مشاكل خطيرة مثل البطالة.

وقال **إن الناخبين لم يعاقبوا الاشتراكيين لأنهم اشتراكيون بل لانهم تخلوا عن الاشتراكية**، وقال ان الناخبين الذين صوتوا لليمين يتوقعون تحسناً فى أوضاعهم المعيشية، ولكنهم سرعان مايكتشفون أن ازمتهم ستتعمق، وان ديمقراطيتهم ستتراجع.

تحديات فى طريق اليمين

هكذا جاءت نتيجة الانتخابات..وهكذا تحدث زعماء الحزب الاشتراكى عن دروس المعركة الأنتخابية فماذا عن مستقبل الحكم اليمينى؟ وماهى التحديات السياسية والاقتصادية التى تنتظره... وتنتظر فرنسا معه؟

يدرك قادة اليمين خطورة وعظم المسئوليات الملقاة على عاتقهم من أجل اخراج الاقتصاد الفرنسى من أزمته، وخاصة من أجل تخفيف حدة مشكلة البطالة، ولذلك لاحظ المراقبون تواضع تعبير قادة اليمين عن فرحتهم بالانتصارالذى حققوه فى الانتخابات، وكان أول مظاهر ذلك هو رضاؤهم بالتعايش مع رئيس اشتراكى لمدة سنتين.

قبل الانتخابات أعلن آلان جوبيه أمين عام حزب التجمع من أجل الجمهورية،وفرنسوا بيرو أمين عام حزب الاتحاد من أجل الديمقراطية البرنامج الانتخابى للتحالف اليمينى وكان يتضمن عبارات إنشائية مثل «تعبئة كافة طاقات الأمة فى إطار خطة تطبق على مدى خمس سنوات لمكافحة البطالة »ونقل عدد من مؤسسات القطاع العام الى القطاع الخاص... ولكن هذا البرنامج لم يحدد أرقاماً لفرص العمل التى يتعهد بتوفيرها.

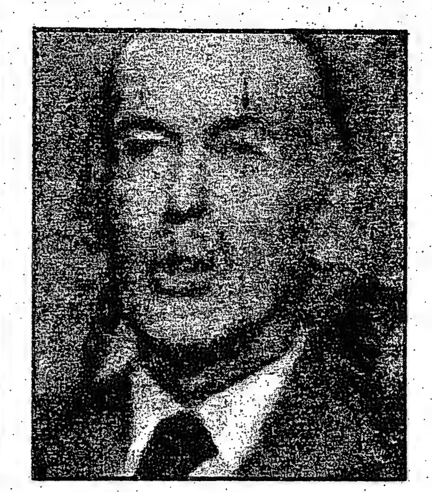
اكثر من ذلك فان أحد رموز حزب التجمع- صاحب الأغلبية الجديدة- وهو الوزير الاسبق فيليب سيجان والذى أنتخب رئيسا للجمعية الوطنية يؤكد انه من الخطأ الاعتقاد بان النمو الاقتصادى سيأتى تلقائياً بحل لمشكلة البطالة، وهو بذلك يعارض واحدة من أهم المقولات التى يرتكز عليها اليمين فى دعايته لقدرته على حل مشكلة البطالة.

هذا بالنسبة للبطالة، أما بخصوص بيع القطاع العام- وهى النقطة الثانية الجوهرية

روكار: تخلينا عن الاشتراكية فعاقبنا الناخبون.

هل يستوعب الحزب الاشتراكي الدرس ويعود لمبادئه قبل ١٩٩٥؟

البطالة... وخلافات قادة اليمين تحددان مسار المستقبل.





جيسكار ديستان



جاك شيراك

فى برنامج اليمين- فان الصحفى دانيل جيرفيه يطرح تساؤلاً هاماً فى عدد ابريل من مجلة"مون ديبلوماتيك"... التساؤل هو هل تستطيع الاسواق المالية المحلية استيعاب الاسهم المعروضة للبيع؟... ويجيب بان الكثيرين يتشككون فى امكانية ذلك رغم أهميته حتى لاتتسرب المشروعات الوطنية الى الايدى الأجنبية!!(هذا مايقولون فى فرنسا ذات الاقتصاد القوى فما بالنا بالحال عندنا ونحن نعرض قطاعنا العام لأى مشتر فى العالم!)

واتصالاً بالتحديات الاقتصادية نجد رئيس الوزراء ادوار بالادور يؤكد فى أول اجتماع لوزارته على ضرورة خفض الانفاق الحكومى بنحو ٢٠ بليون فرنك، وتخفيض النفقات المخصصة للاستقبالات بنسبة ٢٠٪. وفى هذا الاطار جاء تشكيله للوزارة من ٢٩ وزيراً فقط مقابل ٤٢ وزيراً فى الحكومة السابقة.

السياسة الزراعية والخلافات اليمينية

تحدى آخر يواجه اليمين وهو المتعلق بالسياسة الزراعية والعلاقات مع الولايات المتحدة فى اطار مفاوضات الجات... وقد تعمد جاك شيراك وحزبه الفائز بالأغلبية وبالوزارة التشدد فى مواقفه تجاه المطالب الامريكية المتعلقة بالتنازلات الاوروبية، وهذا التشدد كان ضرورياً من أجل كسب أصوات المزارعين. ولكنه بعد النجاح والوصول الى الحكم سيؤدى بشيراك الى مأزق: فلو انه أراد الوفاء بتعهده، فانه يصطدم بالرئيس ميتران وسيربك عمل رئيس الوزراء المعتدل. واذا هو تناسى وعوده وتحول الى المرونة وقبل الشروط الامريكية فانه سيخسر تأييد المزارعين فى الانتخابات الرئاسية بعد عامين، بينما قاعدته الانتخابية الاساسية من المزارعين... كما أن مرونته ستجعله يخسر تأييد عدد من رجال حزبه مثل ساجان الذى يجاهر برفض اتفاقيه ماستريخت للوحدة الاوروبية ويعلن تصميمه على اسقاطها، وهو يعمل فى ذلك مع زميله فى الحزب شارل باسكوا الذى عين وزيراً للداخلية فى الحكومة الجديدة، والمعروف ببعض مواقفه المؤيدة والمتماشية مع مواقف اليمين المتطرف تجاه المهاجرين.

معارضة ساجان وباسكوا وغيرهما من رموز الحكم اليمينى لاتقتصر على الموقف من ماستريخت فقط بل انهما يعارضان التزام اليمين بالاستمرار فى سياسة الحفاظ على الفرنك قوياً، وهما يطالبان بخفض قيمته وبخفض الفائدة عليه حتى يمكن تطبيق برنامج التخصيص بتشجيع المشترين على شراء أسهم الشركات. هذه الخلافات الاقتصادية تخفى وراءها انقسامات تاريخية بين أجنحة اليمين كانت السبب وراء سقوط ديستان فى انتخابات الرئاسة عام ١٩٨١ وذلك عندما طلب حليفه- غريمه جاك شيراك من حزبه التصويت ضده.

واليوم فان كلا القطبين- ديستان وشيراك- مازال يتطلع الى انتخابات الرئاسة فى ١٩٩٥ وهو السبب الذى جعل شيراك يرفض رئاسة الوزارة حيث يدرك حجم الصعوبات الاقتصادية التى تواجه الحكومة فى هذه الفترة والتى يرى انها تحتاج الى معجزات اقتصادية لكى تتصدى لمشكلة البطالة، ولاعادة انعاش الاقتصاد... فهل يتكرر سيناريو ٨١ نفسه بعد سنتين من الآن ويعود الاشتراكيون مرة أخرى بعد أن يكونوا قد استوعبوا الدرس؟ أم تدخل فرنسا فى دوامة الازمات السياسية الناتجة عن عجز اليمين واليسار معاً عن ايجاد حل لمشكلة البطالة، وعن فقدان الناخب الفرنسى الثقة فى وعودهما معاً؟

أم ينجح اليمين خلال هذه الفترة فى كسب ثقة الناخبين ولكن على حساب الوحدة الأوروبية التى ينادى بعض أقطابه بالتضحية بها فى سبيل انعاش الاقتصاد الفرنسى؟ وهل يسمح الرئيس ميتران بهذا الحل الذى يمثل ضربة لاحدى انجازاته التى يتمسك بها بكل قوته؟ هذا ماستجيب عنه الاحداث من الآن وحتى ١٩٩٥...

هل تضحى الحكومة اليمينية بـ"ماستريخت" لكسب ثقة الناخب الفرنسى؟

هاربين من كلباجار التى احتلها الأرمن



الصراع الأذربيجانى- الارمينى وتقسيم النفوذ الدولى

أحمد الخميسى

رسالة موسكو

كان أحد الاسباب الرئيسية التى أدت للاطاحة بمطاليبوف الرئيس الشيوعى السابق لأذربيجان هو موقفه المتراخى من الصراع على قرة باخ، واسترشاده الثابت برنين الأجراس الهاتفية التى تصله من الكرملين. علاوة على أن الشعب الاذربيجانى لم ينس له أنه- وكان السكرتير الثانى للحزب- لم يفتح فمه بكلمة عندما اقتحم الجيش السوفيتى باكو فى ١٩- ٢٠ يناير ١٩٩٠. بل واصبح فى مايو من نفس السنة رئيسا لأذربيجان. وخلال فترة حكمه من مايو حتى ٦ مارس ٩٢ تمكن الأرمن تقريبا من قرة باخ، وبلغ تخاذل مطاليبوف نهايته خلال هجوم الأرمن على قرية «خجلى» والمذبحة التى راح ضحيتها السكان الابرياء، مما أدى لتجمع المعارضة بأحزابها : الجبهة الشعبية والجناح النرابى المعروف بـ : «أذربيجان المستقلة»، وحزب «الاستقلال القومى» ، «وحزب النهضة» للاطاحة بالرئيس، لكنه عاد للحكم فى ١٤ مارس بتدخل من المخابرات الروسية، وحاول أن يفرض حالة الطوارئ، الا أن المعارضة نجحت فجر ١٥ مايو فى الاستيلاء على مقرات الحكم ، وانزال الرئيس من مقعده. وفى تلك الفترة نجح الأرمن فى السيطرة على ممر «لاتشين» همزة الوصل بين أرمينيا وقرة باخ. وبعد شهر من إقالة مطاليبوف وصل الحكم فى ٧ يونيه رئيس جديد فاز على منافسيه فى انتخابات شعبية وتعلقت به الآمال، بعد أن بدا أنه ابن للشوارع والمظاهرات والمجابهات، والزعيم الحقيقى للجبهة الشعبية : أبو الفضل العشى- بيه الذى بلغ الرابعة والخمسين يوم توليه الحكم. وكان تاريخ العشى- بيه يوحى بأن رجلا مثقفا وصل للحكم، فهو حاصل على درجة الدكتوراة من جامعة باكو بمعهد الاستشراق عام ٦٩ عن رسالة موضوعها هو : «دولة أحمد بن طولون» وله أكثر من خمسين مقالة ودراسة منشورة تدور كلها حول الأدب العربى والفلسفة الاسلامية، ويتحدث التشى- بيه بالعربية باللهجة المصرية أفضل مما يتحدث بالروسية، وكان يعمل فى مصر مترجما مابين ٦٣-١٩٦٤.، وفى حوار خاص معه فى أحد قصور الضيافة بموسكو، تعمدت أن اباده الحديث بالعربية، فترك كل من حوله مندهشا وسألنى: الله... انت من فين؟. قلت: من مصر. قال: انا عرفت من لهجتك، لكن من أى منطقة فى مصر؟ شبرا.. المطرية؟. قلت له: السيدة زينب، فعلق بصيحة قصيرة: الله أكبر.. منطقة عمرانة وحلوة. وبعد عشر سنوات من عودة العشى -بيه من مصر اعتقلته السلطات السوفيتية عام ١٩٧٥ بتهمة تأجيج النزعات القومية الأذربيجانية، وبعد ١٧ سنة إذا به يصبح رئيسا لأذربيجان، إذا بالانظار تتعلق به ليحل مشكلة قرة باخ التى بدأ الصراع عليها مع الأرمن عام ١٩٨٨. وفى مواجهة أبو الفضل، وقف على الجانب الاخر مثقف آخر هو الرئيس الأرمينى بيتروسيان، لكن الاثنين لم يتمكنا من التوصل لحل للصراع الذى بدا لسبب ما أن وقفه أو حلة مستحيل، وهو الصراع الذى استخدم فيه الطرفان نوعا من القنابل اشد من تلك التى ألقيت على فيتنام، وأسلحة كيميائية محرمة دوليا وتساقطت فى هدير القذائف المتبادلة الاف الضحايا والمبادرات السلمية المتعددة وكان أهمها مبادرة ماريو رفائيللى الايطالى رئيس الجنة التحضيرية لمؤتمر مينسك لتسوية النزاع فى مايو ١٩٩٢، ثم مبادرة نازار بايف الرئيس الكازاخستانى فى آلماتا أغسطس ١٩٩٢ على الرغم من اعتراف الطرفين بأن تسوية النزاع بالوسائل العسكرية أمر مستحيل على الأقل من ناحية توازن القوى.

وقد دخل الصراع الأذربيجانى- الارمينى عامه الخامس هذه السنة مفتتحا الشهور الأولى منها بالمزيد من القتلى والجرحى والبيوت المهدمة والتدمير المتواصل للهياكل الاقتصادية فى باكو ويريفان، وجرى تصعيد النزاع العسكرى الشعبى فى بدايات مارس عندما احتلت القوات الأرمينية عددا من القرى فى منطقة «مرداكرت» بشمال قرة باخ ، وهى الاراضى التى كان الجيش الاذربيجانى بقوامه البالغ ٧٥ ألف عسكرى قد استولى عليها صيف العام الماضى، ثم أتبع الأرمن انتصارات مارس بانتصارات أخرى أقوى فى الأيام الأولى من أبريل الحالى عندما كبدوا الفيلق الأذربيجانى الذى وقف بينهم وبين قرة باخ خسائر فادحة أدت عمليا لتفكيك قوامه بالكامل. وسيطرة

القوات الأرمينية على نقطعين هامعين الأولى: ممر لاتشين جنوب غرب قرة باخ، وممر أخر فتحوه عبر كلباجار شمال غرب قرة باخ، وبذلك نشروا قواتهم متحكمين فى مساحة بين هذين الممرين زادت عن ألفى كيلومتر مربع، ويقطنها أكثر من مائة ألف نسمة. وقد أدت تلك الانتصارات الاخيرة للخروج بالصراع من حالة «اللاخاسر واللامنتصر»، و«توازن القوى» الى انعطافة كبيرة فى صالح الأرمن، أثارت قلقا خاصا لدى تركيا وايران، فأعلنت انقرة أنها لن تسمح بانتصار عسكرى يحتل الأراضى الاذربيجانية ، وأن تركيا على استعداد لبذل كل التضحيات لمساعدة باكو وانها ستتخذ كافة الاجراءات بما فى ذلك الاجراءات العسكرية لصد العدوان. أما طهران فلم تكتف بالتعبير عن قلقها العميق، بل قامت بنقل فوجين ايرانيين الى الحدود، لأن القوات الأرمينية بزحفها نحو مدينة فضولى أصبحت قريبة من الحدود الايرانية ولم يعد يفصلها عنها الا مائتى كيلو متراً.

وقرة باخ التى يتقاتل عليها الطرفان قتالا يائسا للعام الخامس مشكلة تضرب بجذورها فى التاريخ البعيد، فخلال قرون طويلة كان معظم سكان هذه المنطقة الجبلية (مساحتها ٤٫٤ الاف كيلومتر) من الأرمن الهاربين من وجه الاعتداءات الايرانية، ثم ضمت المنطقة لروسيا خلال الحرب الروسية الايرانية أعوام ١٨٠٤-١٨١٣، الأمر الذى نصت عليه رسميا معاهدة جولستان الموقعة بين البلدين عام ١٨١٣، وخضعت قرة باخ لمحافظة روسيا ماوراء القفقاز لحوالى مائة عام بأكملها، فى الوقت الذى كانت فيه أذربيجان وأرمينيا وجورجيا أجزاء تابعة للامبراطورية الروسية. وخلال تلك السنوات كان الأذربيجانيون هم أيضا يسكنون قرة باخ حتى عام ١٩١٧.. واعتبر الارمن- بما أنهم يمثلون غالبية السكان- أن المنطقة أرضهم حتى وان وقعت جغرافيا فى أذربيجان خاصة أن هناك حالة مماثلة هى «ناخيتشفان» التى يسكنها أذربيجانيون لكنها تقع فى أرمينيا ومحاطة من كل ناحية بالاراضى الارمينية والسكان الأرمن. هكذا شاءت ظروف التداخل التاريخى السكانى أن يكون لكل بلد نقطة سكانية فى البلد الآخر... وعندما وقعت ثورة أكتوبر فى روسيا، كان على موسكو أن تفكر فى وضع للجمهوريات التى كانت جزءا من الامبراطورية الروسية، فأعلنت فيها جمهوريات سوفيتية فى جورجيا وأذربيجان أولا فى فبراير ١٩٢٠، أما أرمينيا فلم تكن جمهورية سوفيتية بعد، لأن الحزب الذى وصل للحكم هو حزب: الداشناك القومى المعادى للشيوعية. وعند تعيين حدود أذربيجان أعلن زعيمها الشيوعى حينذاك ناريمان ناريموف أن منطقة قرة باخ تعود تاريخيا لارمينيا، لكن ستالين- وكان مفوضا لشئون القوميات- أجبر ناريموف على ابتلاع تصريحاته تلك وسحبها بعد ثلاثة أيام فقط، والاعلان عن أن قرة باخ تعود لاذربيجان، وذلك لمجرد أن زعماء أرمينيا كانوا من القوميين.

وتتداخل فى عقدة قرة باخ بشكل وثيق أطراف كثيرة، أولها ايران، لأن ايران تخشى قيام دولة أذربيجانية قوية بدعم تركى، قد تطالب بالمنطقة المعروفة تاريخيا بجنوب أذربيجان والتى دخلت المساحات الايرانية منذ عام ١٨٢٨ والتى يعيش فيها الآن داخل ايران خمسة وعشرون مليون أذربيجانى، كما أن لتركيا أطماعها التى تعود الى تأييد الرئيس اتاتورك عام ١٩١٨ لقيام جمهورية أذربيجانية مستقلة، وادخال قرة باخ فى الجمهورية الحديثة. أما عن روسيا فأن لها- علاوة على أطماعها- نصف مليون روسى يعيشون فى أذربيجان، بينما يعيش فى روسيا حوالى أربعمائة ألف أذربيجانى. وقد كانت منطقة ماوراء القفقاز: جيورجيا وأرمينيا وأذربيجان تاريخيا موضع صراع منهك بين الروس والاتراك والايرانيين، الأمر الذى مازال قائما لظروف جغرافية وسياسية وتاريخية.



يلتسين وميتران وكلينتون

ولكن تلك الاسباب والتعقيدات وحدها لاتكفى لتفسير استمرار هذه الحرب القذرة التى لاصالح فيها للارمن أو الأذربيجانيين، والتى أرغمت نصف مليون اذربيجانى على الهجرة من مناطق الصراع، كما أرغمت مائتى ألف أرمينى أيضا على هجرة معاكسة من أذربيجان الى أرمينيا حيث يعيشون هناك فى الأكواخ، بينما لايلاحق أحد الطرفين المتصارعين على دفن موتاه فى قرة باخ. أما التفسير الحقيقى لاستمرار الحرب فيكمن فى انهيار الدولة السوفيتية وحتمية إعادة تقسيم ممتلكاتها، ومن هنا كان الانسحاب الكامل من الشرق الأوسط، ومن أفغانستان، وكوبا، وألمانيا، ومن هنا أيضا تمزقت يوغسلافيا الى قطع صغيرة.. وفى ذلك الاطار دعا السياسى الأمريكى المعروف بول جويل موخرا- وكان يعمل بالخارجية الأمريكية- دعوة صريحة لان تتبادل أرمينيا وأذربيجان الاراضى.. أى أن تتنازل باكو عن منطقة «ناخيتشفان» التابعة لأذربيجان وإن وقعت جغرافيا فى أرمينيا، مقابل أن تتنازل أرمينيا عن قرة باخ التابعة لها وإن وقعت جغرافيا فى أذربيجان. وخطورة ذلك الاقتراح أنه يمثل دعوة صريحة- للمرة الأولى- **لاعادة النظر فى الحدود الدولية المستقرة المتعارف عليها منذ انتهاء الحرب العالمية.** والفكرة من ذلك أن التنازل الأرمينى عن «قرة باخ» سيتبعه بالحتم تنازل عن قطاع حدودى طوله ٤٦ كيلومترا، هو الذى ينفصل تركيا عن أذربيجان، وبتلك المبادلة **ينفتح الطريق أمام تركيا- عضوة حلف الناتو- للنفوذ الواسع فى المنطقة وفى آسيا الوسطى،** ولهذا لم تكن صدفة أن رئيس الوزراء التركى اطلق على ذلك الشريط الحدودى «الاسفين»، متمنيا لزوال ذلك الاسفين من طريق النفوذ التركى، لأن زواله سيسمح بتنفيذ مشاريع مد أنابيب النفط بين باكو وأنقرة، **بينما ستحرم تلك المبادلة ارمينيا من أية حدود مع ايران، وتضيق الكماشة على ايران التى يسمى الغرب لمحاصرة اصوليتها الاسلامية.** لكن الارمن رفضوا ذلك الاقتراح لكى لايفقدوا الدعم الايرانى لهم، وهو دعم مقصود لاضعاف باكو وحرمانهم من فرصة تحالف قوى أذربيجانى- تركى يهدد طهران مستقبلا. وفى محاولة تعديل الحدود تلك، تنطلق أمريكا من ثقتها فى الوكيل التركى، عضو حلف الناتو، ولهذا فأنها ترشح تركيا- أساسا- لتشغل مواقع

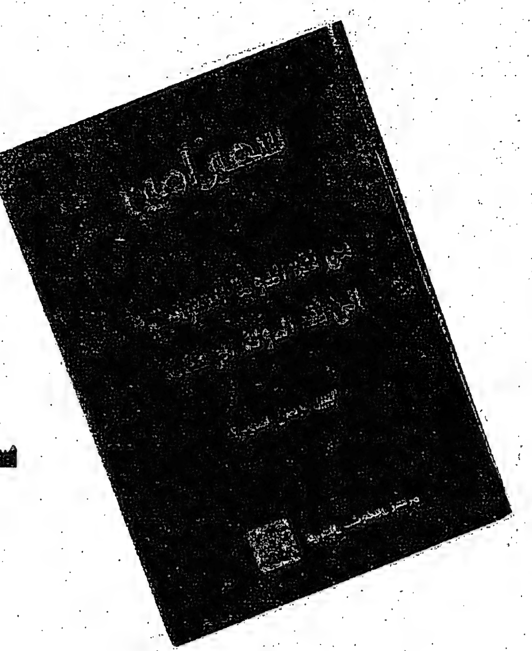


مرسكرلية تبحث وسط القمامة عن القوت

روسيا الشاغرة فى منطقة ماوراء القفقاز، فتركيا دولة اسلامية، علمانية، ذات علاقات تاريخية سابقة بالمنطقة، يمكنها تمرير السياسات الأمريكية بوجه شرقى. ولذلك تبدو الحرب الطويلة المنهكة كأنها تعد المسرح للتغيرات الجيو- بوليتيكية الكبيرة المرتقبة التى تدفع قرة باخ ثمنها. التغييرات التى يفترض أن تحرم روسيا من نفوذها- أو جزءا من ذلك النفوذ- والتى يفترض أيضا أن تضعف الوجود الايرانى، وأن تقوى النفوذ التركى الأمريكى الاسرائيلى. وجدير بالذكر أنه فى فترة تصاعد الصراع مؤخرا، اتصلت طهران بالقيادات الأذربيجانية عارضة عليها أية مساعدات، الا أن باكو رفضت حتى الرد باتصال مماثل مع القيادات فى طهران، مفضلة أن تتصل باسرائيل لتطلب منها العون الدبلوماسى، **والمعروف أن اسرائيل قد بدأت منذ فترة فى تزويد باكو بالاسلحة ومن بينها صواريخ «أرض- جو» من طراز ستينجر التى تطلق من الكتف، ومعدات اتصال عسكرية متطورة، كما أن عددا كبيرا من الخبراء العسكريين الاسرائيليين يعملون فى باكو ويدربون الجيش الأذربيجانى،** وقد بدأت تلك العلاقات العسكرية بعد أن ألحت تركيا وباكو على أن تقوم اسرائيل بدور أكثر نشاطا فى المنطقة وفى آسيا الوسطى، **وارتبط ذلك باعراب امريكا عن استعدادها لتمويل مطامع اسرائيل البعيدة المدى للتوغل فى آسيا الوسطى عبر مشاريع للرى والزراعة والتجارة الخ..**

والان بعد استمرار الحرب فى قرة باخ للعام الخامس، يبدو بالانعطافة العسكرية الاخيرة لصالح الأرمن، أن المسرح معد للتعديلات الحدودية.. التى يلزمها انتصار عسكرى لصالح أحد الطرفين، يعقبه سلام.. **وقد جربت أمريكا من قبل فى الشرق الأوسط هذا السيناريو: السلام بقوة الحرب.. فنجح مرة، وهاهى تجربه الآن فى مناطق أخرى..**

كتب



الخيار بين الاشتراكية والبربرية

سمير أمين.. والبديل الوطنى الشعبى

فريدة النقاش

تشهد ساحة الفكر الإشتراكى إجتهادات واسعة فى شتى الميادين.. الفلسفة، والاقتصاد، والسياسة، وعلم الجمال، والمجتمع، والإعلام.. تسعى جميعها للرد على الأسئلة الصعبة التى طرحها سقوط **الاتحاد السوفيتى** والنظم الإشتراكية فى شرق أوروبا، ثم انفراد الأمبريالية الأمريكية بالهيمنة على العالم، وتسعى من جهة أخرى لطرح تصورات جديدة وأصيلة لبديل ممكن على طريق الاشتراكية أمام شعوب آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية، أى الدول الرأسمالية التابعة، بديل يتخطى **الرأسمالية التى هى قرين البربرية والتوحش فى هذه البلدان**، ولايكرر أخطاء التجربة الإشتراكية الأولى فى الإتحاد السوفيتى السابق.

ومن بين هذه الاجتهادات مايقوم به المفكر المصرى «**سمير أمين**» الذى سبق أن نقد التجربة السوفيتية فى أوان ازدهارها وقياسكها وعلى مدى ثلاثين عاما هى عمر إنتاجه العلمى، وهو الشئ الذى يعفى **نقده الجديد الجذرى من صفة التعجل أو التقلب** التى أخذ أعداء الإشتراكية ونقادها يسجلونها ضد بعض المفكرين والكتاب الإشتراكيين، الذين قدموا صورا وردية للتجربة السوفيتية ولم ينقدوا أخطاءها الكبيرة والصغيرة مبكرا ففاجأهم الانهيار كما فاجأ الناس العاديين

وكتاب **سمير أمين الجديد** «من نقد الدولة السوفيتية الى نقد الدولة الوطنية.. البديل الوطنى الشعبى؟» الذى أصدره «مركز البحوث العربية» هو بلورة لاجتهاد السنوات الأخيرة للمفكر الماركسى، ومحاولته الأصيلة للرد على الاسئلة الجديدة كلها، يقرأ فيها سمير أمين بنفسه- كما يقول تقديم الكتاب- بعض أفكاره السابقة فى إثنتين من أهم قضايا العصر.. بناء الدولة الإشتراكية، وتجارب الدولة الوطنية. وفى محاولة أولية يطرح مفهومه عن البديل الوطنى الشعبى.. وهو مايعنينا بصورة أساسية الآن.

يقع الكتاب فى أربعة فصول: ثلاثون عاما من نقد النظام السوفيتى- الدولة والاقتصاد والسياسة فى الوطن العربى- المادية التاريخية وتحدى الثقافة الرأسمالية- التحالف الوطنى الشعبى- ملاحظات أولية.

وفى الكتاب ملحق مترجم عن الموسوعة البريطانية للمفكرين المعاصرين عن «**سمير أمين**».

ولمن لايعرف هذا المفكر المصرى الذى أسهم بشكل مرموق وأصيل فى تطوير الفكر الماركسى نسوق بعض أهم ما قالته الموسوعة عنه:

«تندرج أهم مساهمات **سمير أمين** تحت أربعة عناوين ١- نقد نظرية وتجارب التنمية ٢- اقتراح بديل لتحليل النظام العالمى الذى يسميه الرأسمالية القائمة بالفعل ٣- إعادة قراءة تاريخ التكرينات الاجتماعية ٤- اعادة تأويل للمجتمعات التى يسميها المجتمعات مابعد الرأسمالية.

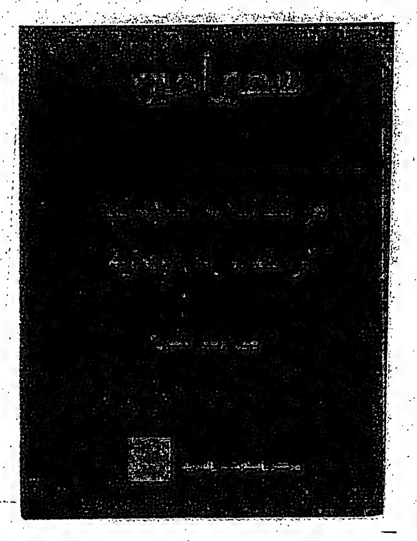
وفى نقده لأحكام علم الاقتصاد البورجوازى فى مجال دراسة «التخلف» أبرز الحدود الضيقة لهذا العلم وأخطاءه الأساسية كذلك فإن الفلسفة الاجتماعية البورجوازية عاجزة عن تناول تاريخ التطور المجتمعى. ويقترح **سمير أمين** بديلا منهجيا من أجل تحليل الرأسمالية العالمية. ويقدم فكرته الأساسية التى تقول بأن الأطراف فى النظام الرأسمالى تخضع لآليات تكيف لمقتضيات تراكم رأس المال المهيمن، وهى آليات تعمل بشكل مستمر عبر تاريخ التوسع الرأسمالى.

ويستخلص أمين مفهوم عكس هذا النشاط» الذى يدعو اليه، ومضمونه عكس هذه العلاقة فى البلدان التابعة من خلال اخضاع العلاقات الخارجية لمنطق ومقتضيات النمو الداخلى، فهو يعتبر أن الاستقطاب على صعيد عالمى ناتج ضرورى للتوسع الرأسمالى القائم بالفعل، يضاف الى ذلك عدم التكافؤ فى الحصول على الثروات الطبيعية، واحتكار التكنولوجيا وآليات سياسية بل وعسكرية وثقافية ومايشابهها غير اقتصادية الطابع، وهى جميعا عوامل تضمن إعادة تكوين الاستقطاب وتفاقمه، وهو يعتبر عقد السبعينيات بداية للدخول فى مرحلة جديدة تتصف بهيمنة التكنولوجيات الحديثة وأشكال مستحدثة لرأس المال المالى العالمى لابد أن تفضى بدورها الى تفاقم للاستقطاب، يتخذ الآن شكل تصنيع العالم الثالث من جانب وتهميش العالم الرابع من الجانب الآخر، مما يحتم ضرورة تنمية أخرى تختلف نوعيا عن التنمية التى تتم فى اطار الاندماج فى المنظومة الرأسمالية العالمية.

وفى هذا الاطار أعاد أمين النظر فى تجارب العالم الثالث خلال عقدى الستينيات والسبعينيات وهى «مرحلة باندونج» كما أطلق عليها.

وهو يعتبر أن الفكر النقدى هو بالتحديد ذلك الفكر الذى يهتم بالبحث عن التحالفات الاجتماعية البديلة التى يمكن من خلالها الخروج من «مأزق السوق» ، وفى هذا الاطار يرى أن هناك تباينا ملحوظا بين مختلف مناطق العالم يدعو الى إتباع مناهج مختلفة وخاصة لكل منطقة لايمكن إستنتاجها من عقلية السوق البحتة. وعلى هذا الأساس لابد من بناء عالم متعدد الأقطاب. والتحالف الوطنى الشعبى المقترح يعطى مضمونا للمشروع الاجتماعى مختلفا عن المضمون الذى يمكن استنباطه من مجرد عقلانية السوق على أن مجتمعات «الجنوب» و«الشرق» تواجه هذا التحدى فى ظروف أكثر دراماتيكية منها فى الغرب.

ولايخشى أمين أن يقول أن الماركسية فى أزمة ، فهو من هؤلاء الذين ينظرون للمادية التاريخية على أنها منهج وليست نظرية تم اسكمالها فى لحظة ماعند وفاة ماركس أو لينين أو ماو، ويرى أن التطور التاريخى يطرح فى كل لحظة جديدة مشاكل متجددة تدعو الى ابداع خلاق، وعلى الماركسية أن تواجه هذا التحدى المستمر والمتواصل،



فرفض مواجهته لابد أن يؤدى الى جمود وموات».

انتهت المقتطفات من تعريف الموسوعة البريطانية لسمير أمين.

أما الفكرة المحورية للكتاب فى ثلاثين عاما من نقد النظام السوفييتى، فهى أن الخيار الرأسمالى العلنى الآن فى شرق أوروبا والاتحاد السوفيتى السابق يعيد فى جدول التاريخ احتمال «تطريف» الاقتصاد والمجتمع «علما بأن كلا من الطبقات الشعبية والبورجوازية المحلية غير مهيأة لمواجهة تحديات النظام العالمى بسبب غياب وعى سياسى، وإن الانزلاق السريع نحو رأسمالية همجية لايجد حاليا عائقا فى سبيله، ولكن، يتساءل سمير أمين الذى رفض طيلة ثلاثين عاما القول بأن النظام فى الاتحاد السوفييتى هو نظام اشتراكى.

«أليس من المحتمل فى الأمد الأطول أن يحتدم الصراع الإجتماعى مرة أخرى حول هذه المشاكل بعد أن تكتشف الجماهير أن التضحيات المفروضة عليها ليست مؤقتة؟

وينقد نفسه إذ «كنت أعتقد أن «الوطنية السوفيتية» وتمسك الطبقة الحاكمة بدور الاتحاد السوفييتى كدولة عظمى من شأنهما أن يضعا حدا لخطر الانزلاق نحو التفكك، ويبدو أننى لم أقدر تماما قوة الميول الاستهلاكية لهذه الطبقة وطموحاتها فى اللحاق السريع بالغرب فى هذا المجال لصالحها ولو على حساب أى اعتبار وطنى آخر..»

وهو يرفض اعتبار ماحدث فى الاتحاد السوفيتى ثورة مضادة بل هو تعجيل تطور اتجاهات كامنة ، وهو نفس تفسيرى لما حدث فى مصر فى ظل أنور السادات.

«فهل يعنى هذا التهافت نهاية الاشتراكية والماركسية كما تكرره أحاديث وسائل الاعلام السائدة ،بل نهاية التاريخ؟ أعتقد أن هذه الأقوال لا أساس علمى لها، ولو أن مرحلة تاريخية قد إنتهت بالفعل. والخيار الآن ليس بين الرأسمالية أو الاشتراكية بل هو بين الاشتراكية والبربرية!

وفى الدولة والاقتصاد والسياسة فى الوطن العربى يقول أمين:

«يتكون العالم العربى المعاصر من ٢١ دولة قطرية تعانى كل منها من أزمة عميقة، وتندرج فى مجموعات نمطية واضحة الشكل مجموعة الدول الشعبوية المتأزمة (الجزائر، سوريا، العراق، اليمن، ليبيا) مجموعة النظم التكنوقراطية اليمينية الديمقراطية المحدودة (مصر، المغرب، تونس، لبنان، الأردن) مجموعة الدول السلفية الثابتة ظاهريا (السعودية، الكويت، الامارات، قطر ، البحرين، عمان..) مجموعة دول العالم الرابع فى حالة تفكك إجتماعى (السودان، موريتانيا، الصومال، جيبوتى) ودولة لاتزال تحت الاحتلال الأجنبى. فلسطين.

فقد فكك التغلغل الرأسمالى التكوينات الاجتماعية السابقة على العصور الحديثة فى الوطن العربى وفتح مختلف الأجزاء المكونة لهذه النظم، وكيف كل جزء على حده وخصصه فى وظيفة خاصة به.

وأصبحت المجتمعات العربية متمدنة بمعنى أن أكثر من نصف السكان يسكنون المدن نتيجة أزمة المجتمع الريفى، بينما المدن صارت بدورها مريضة بسبب نقص التصنيع، كما يتسم الوضع بغلبة عنصر الطبقات الوسطى فى المدن والريف حتى أصبحت هذه الطبقات الوسطى تمثل ثلث اجمالى السكان، ثم تقوم الدولة الاستبدادية المستحدثة على رأس هذا المجتمع وتثقل عليه، وقد فقد أى قدرة على صنع مصيره حيث تحولت الدولة الى كومبرادور ينفذ سياسة التكيف المفروضة من صندوق النقد الدولى، والاتجاه لاحلال الملكية الخاصة محل الملكية العامة وهى خطة استعمارية تؤدى الى تصفية الدولة الوطنية، والتخلى عن ايديولوجيا التنمية. ويقوم المشروع الاستعمارى للمنطقة بعد حرب الخليج على أساس تثبيت الانفتاح والارتباط المتبادل لصالح هيمنة الاستعمار من جانب، وإعطاء دور إقليمى قيادى للكيان

الصهيونى من خلال ضمان تفوقه العسكرى المطلق.

ويطرح سمير أمين بديله المشهور وهو فك الارتباط واخضاع العلاقات الخارجية لمقتضيات تنمية داخلية ذات مضمون شعبى مع الوعى بأن العمل المشترك من داخل النظام العالمى لن ينجز كثيرا ويصبح الملح هو إشاعة الديمقراطية فى المجتمعات العربية سياسيا واجتماعيا وثقافيا وفكريا، والاشتراك فى نضال آخر عالمى لاعادة بناء عالم متعدد الأقطاب يخلق ظروفا من أجل أممية شعبية فى مواجهة أممية رأس المال.

وفى الفصل الثالث عن المادية التاريخية وتحدى ثقافة الرأسمالية عودة للتأمل حول الخصوصية والحداثة والأصالة وموقع القيم الأخلاقية فى البناء الايديولوجى،« ومفهوم الاستقلال الثقافى» يقول سمير أمين أن سبب ضعفنا ليس هو التحديث بل نقص التحديث، ومن ثم فإن التواصل فى سبيل التحديث واستكماله بحيث يصبح تحديثا شاملا يلغى نواقص التحديث القائمة فى إطار رأسمالية الأطراف ، هو مشروع لابديل عنه. فالثقافة السائدة عالميا هى ثقافة الرأسمالية وليست كما يشاع خطأ ثقافة الغرب، وهناك ثلاثة مواقف منها فإما قبولها كما هى دون تحفظ، أو رفضها كليه، أو النضال من أجل تطويرها حتى تتجاوز حدودها التاريخية الراهنة.

وتجاوز حدود الرأسمالية كظاهرة تاريخية يفرض النضال من أجل نظام أرقى لانموذج له فى الماضى السابق على الرأسمالية، هذا هو مضمون القول بأن الاشتراكية ضرورة تاريخية موضوعية فالاشتراكية لم تفشل طالما أن الرأسمالية لاتزال تسود عالميا ولاتستطيع أن تحل تناقضها الرئيسى المذكور، مافشل فعلا هى التجارب الاشتراكية التى وضعت أمامها هدف تجاوز حدود الرأسمالية فلم تفعل.

ان بناء اقتصاد وطنى متمركز على الذات وفى خدمة الجماهير الشعبية هو الشرط الأساسى والضرورى الذى دونه يظل الحديث عن الثقافة معلقا فى الفراغ.

أما القضية الثانية فى هذا الفصل فهى قضية «الدين» فهناك مسافة للتساؤل الميتافيزيقى لن يلغيها أى تطور أو «تقدم» اجتماعى «لذلك أعتقد أن للعقيدة الدينية مكانة يستحيل أن تلغى».

«وفى الغرب حافظ الدين على وظيفته فى مواجهة التساؤل الميتافيزيقى، بعد أن تحررت الايديولوجيا من هيمنة الفكر الدينى. وهذا هو مضمون الثورة الداخلية التى مرت المسيحية بها بدءا من عصر النهضة. أضيف الى ذلك أن المسيحية، ربما على وشك أن تحقق ثورتها الثانية المتجلية فى ثيولوجيا التحرير «لاهوت التحرير» حتى تتكيف لاحتياجات مجتمع اشتراكى متحرر من الاستغلال والاستلاب السلفى..» ويضيف «هذا ولم يحقق الاسلام تقدما مماثلا الى الآن، بل ظل متجمدا فى تأويله. وأسفر هذا التجمد اجتماعيا بملاحظة غياب قوى اجتماعية فاعلة من المجتمعات الاسلامية تكون قد بلغت درجة النضوج المطلوب لانجاز هذه المهمة، سواء كانت هذه القوى بورجوازية جذرية، أم كانت تقدمية بمضمون اجتماعى شعبى ، ويرجع غياب النضوج هذا الى أسباب اجتماعية بحته تتعلق بالتكوينة الاجتماعية الخاصة للأطراف الرأسمالية ولاتمت لمضمون الاسلام بصلة. ففى أحسن الفروض ، لم تتجاوز البورجوازية فى الأقطار الاسلامية فكر فلسفة التنوير ثم تراجعت عن هذه المواقف خوفا من تأثير الفكر الحر على الجماهير..»

وفى الفصل الأخير يرشح سمير أمين بدلا من الطبقة العاملة وحزبها التحالف الوطنى الشعبى ليقوم بمهمة فك الارتباط واستكمال التحديث. وهو يقدم هذا الفصل فى شكل ملاحظات أولية وأسئلة ، من أهمها، أخذ عامل الاستقطاب- وهو فكرة محورية فى كل عمل سمير أمين- أخذ هذا العامل فى الحساب بشكل جدى فهو عملية تؤدى بدورها الى اعتبار عامل القومية واعطائه دورا فعالا حقيقيا فى التاريخ وهو دور أساسى لفك الارتباط.

ويرى أمين أن الاستقطاب المستقبلى سيقوم على أسس جديدة تعمل فيها الهيمنة التكنولوجية والمالية والثقافية (بما فيها الهيمنة على وسائل الاعلام) والعسكرية لصالح المركز.

ويتطلب بناء التحالف الوطنى الشعبى المعادى للكومبرادورية تحديد أعداء مختلف الطبقات والفئات الشعبية تحديدا ملموسا، ويتساءل هل توجد أمثلة تاريخية مقنعة لمثل هذا التحالف ويجيب:

نعم فى أمثلة الثورات الاشتراكية المزعومة فى روسيا والصين حيث التقت ثورات عمالية وثورات فلاحين.

كذلك يتطلب بناء هذا التحالف ضرورة تبلور إنتلجنسيا «جماعة المثقفين» ثورية صاحبة المشروع المعادى للكومبرادورية، ثم تكوين الاشكال السياسية المناسبة لهذا التبلور وإدارة التناقضات ،«هنا أشك فى الشكل الحزبى (نظرية المركزية الديمقراطية) والشكل الجبهوى الذى يضمن قيادة الحزب والحاجة الى ممارسات ديمقراطية حقيقية. وبالتالى تعدد أشكال التنظيم..»

«كذلك لايمكن اقتصار المرحلة على الطابع الاشتراكى وكأن الاشتراكية هى نمط انتاج خاص، فهى مرحلة نمو متناقض ومتواصل لنزعات رأسمالية واشتراكية أى بعبارة أخرى تطور ايجابى من اتجاه سيطرة تدريجية للمنتجين على وسائل الانتاج...»

* * *

هذه هى باختصار القضايا الرئيسية فى كتاب سمير أمين الأخير الذى لايخلو من تناقضات داخلية عميقة فهو يرفض القول بمرحلة إنتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية رغم أن العالم كله هو وحدة التحليل حيث نظرية الاستقطاب والمركز والأطراف، ويخصص للأطراف مهمات مختلفة حتى أنه يرفض - دون منطق- أمكانية التحالف بين الطبقات الثورية فى المراكز الرأسمالية ونضال الشعوب فى بلدان الأطراف من أجل تحررها، وعلى مستوى التنظيم الحزبى يرفض المبدأ اللينينى للمركزية الديمقراطية فيبدو كما لو أن هذا البديل الوطنى الشعبى سوف ينضج وحده دون مبادرة أو قيادة فتصبح الفكرة طوباوية عن شعب منظم يعيش ديمقراطية مثالية.

ولكنها ملاحظات صغيرة لاتنفى أهمية الكتاب وجدارته بالقراءة والمناقشة المستفيضة لأفكاره.

أنور كامل ونظرية الفن/البارود

لا أحب أن أعيش ميتا!


د. رفعت السعيد

وأنور كامل شخصية متفردة في تاريخ اليسار المصرى.

مثقف، موسوعى، معتزل، منعزل، يفكر بالفرنسية ويكتب كلاما فوق طاقة الفهم العام، تروتسكى، مثابر، يعرف كيف يمسك بخيط الحقيقة ليصنع منه فعلا طلقة رصاص.

البداية قديمة جدا ربما أقدم من كل قرنائه ومنافسيه. الفتى الشاب الذى يتقن الفرنسية (ربما جنى عليه هذا الاتقان إذ دفعه إلى المزيد من الاعتزال) هذا الفتى يستشعر مرارة الاحتلال البريطانى لوطنه، ومرارة القهر الرجعى لفكره المتفجر بنزعات للتفتح ربما كانت أكثر من طاقة المجتمع، ومرارة الفكر الفاشى الذى بدأ يتسيد عددا من بلدان العالم ليجد له صدى هنا فى مصر.

وبحثا عن طريق للخلاص انضم الفتى إلى جماعة من تلك الجماعات « المتمصرة» أو «المتأجنبة» والتى ضمت عديدا من الأجانب المتمصرين، وقليلا من المصرين «المتأجنبين»، والتى حاولت أن تخلق فى مصر مناخا عاما داعيا لمقاومة النازية وأفكارها.

ووسط جماعة « **المحاولين** -Essayists» بدأ أنور كامل أولى خطاه فى رحلة طويلة مريرة متشابكة خاضها سعيا وراء المزيد من الاستنارة للعقل المصرى.

لكن « **المحاولين**» الذين كانت كل حواراتهم بالفرنسية، وكذلك محاولاتهم لم يستطيعوا أن يشبعوا نهم الشاب المتفجر نحو العمل ضد كل القيود فكرية كانت أم مادية،وأيا كان مصدر هذه القيود.

ويتفجر كل غيظ **أنور كامل** تجاه المجتمع فى كتاب كان جديدا تماما على مصر أسماه «**الكتاب المنبوذ**»(١٩٣٦) ولعل هذا الكتاب قد اتخذ طابعا « تحرريا » فى العلاقة الجنسية بصورة لم تحتملها أوضاع هذا الزمان..

والكتابة جديدة تماما ، والأفكار غريبة تماما.

هوى على وجهها بالسوط
قالت: لذا أحبك
فهوى عل وجهها بالسوط
قالت: كلما تمعن فى هذا أمعن فى حبك(ص٧)

ويؤكد أنور كامل فى كتابه المنبوذ أنه يرفض أحادية الحب فقلبه يتفتح لكل جمال يراه.

..ويصادر الكتاب بقرار من مجلس الوزرا ءلأنه كما يقول القرار « يدعو إلى الإباحية، والتجرد عن الأديان، والتخلى عن الفضيلة فى سبيل الشهوات الجسدية. »..

..« وعن طريق هذا الكتاب تعرفت بـ«**كامل التلمسانى**» وتدعمت العلاقة بيننا بشكل وثيق، وعن طريق التلمسانى تعرفت **بجورج حنين** وانفصلنا عن جماعة المحاولين وبعدها إتصلنا بالاتحاد الديمقراطى لكن لم نشعر بالارتياح معهم..وأسسنا معا جماعة « **الفن والحرية**» وتحولت « **الفن والحرية**» إلى أداة للصراع السياسى ضد الفكر المتخلف وضد الفاشية لكنها كانت بالأساس ذات طابع فنى.

فعندما أصدر **هتلر** قرارا بتدمير عدد من روائع الفن التشكيلى بدعوى أنها فن منحط أصدرت الجماعة أول منشور لها بعنوان « **يحيا الفن المنحط**»..المنشور صدر بالفرنسية وعلى ظهره « **جرنيكا** » **لبيكاسو**»..

ولعل صياغة البيان تحدد لنا معالم الطريق الذى سارت عليه جماعة « **جورج حنين-أنور كامل**» تحت مختلف مسمياتها وفى مختلف عهودها..

..« نعرف مدى عداء المجتمع البرجوازى

أنور كامل:
يتعلم حرفا فى معنى العدل



لكل خلق أدبى فنى يهدد مباشرة أو غير مباشرة النظم الفكرية والقيم المعنوية التى يخضع لها الكثير من بقائه وحياته لاستمرارها.

« نحن نرى أن الأحكام المسبقة فى المجال الدينى أو العنصرى أو الوطنى التى يدعى بعض الذين أطاحت نشوة القوة المؤقتة بصوابهم، ومحاولة إخضاع مصير العمل الفنى لها، عبثا جديرا بالاحتقار الكامل».

« نحن نرفض أن نرى فى هذه الأساطير الرجعية شيئا بخلاف معسكرات لتعذيب الفكر»

ويوقع على هذا البيان ٣٣ من الفنانين المصريين، ويقول أنور كامل:كان انتصارنا الحقيقى هو أن جميع الموقعين من المصريين»

(رفعت السعيد- اليسار المصرى ١٩٢٥-١٩٤٥- محضر نقاش مع أنور كامل. ص٢٥٢)

إنهم يتمصرون وكأنهم يتوضأون لكن الفكر الفرنسى والمعرفة الفرنسية واللغة الفرنسية تظل تلاحقهم دوما.

***

٢٤ ساعة حرية

وفى عام ١٩٤١ أصدر أنور كامل كتابا عنوانه **مشاكل العمال فى مصر** ربما كان نقطة تحول جديدة فى تفكيره حيث بدأ يتجه بفكره نحو الطبقة العاملة ومشكلاتها..

ويبدأ أنور كامل رحلة تأكيد الجديد فى وجدان مصر.

لسنا هنا نحاول تقييم الجديد.فقط نحاول أن نتتبع خطاه فمن « **الفن والحرية**» إلى « **الخبز والحرية**» ومن جلسات المتفرنسين إلى محاولات الالتقاء بالمصريين والتقارب الفكرى معهم ..بل محاولة تنظيمهم.

وقبل هذا وذاك تصدر « **التطور**»

وهى مجلة متمردة تعلن شعارا أكثر تمردا « **الفن معمل بارود**» وأنور كامل هو رئيس التحرير وأول عبارات العدد الأول (يناير ١٩٤٠) تقول « نحن نؤمن بالتطور الدائم والتغيير المستمر.. نحن نقاوم الأساطير والخرافات ونكافح القيم المتوارثة التى وضعت لاستغلال قوى الفرد فى حياته المادية»..

وتتناثر على صفحات المجلة شعارات مثل« نحن نحارب الرجعية ونثور على القديم، ندافع عن حقوق الأفراد، وننادى بحق المرأة فى الحرية والحياة.. فلتأخذ المرأة حريتها بنفسها، ولاتنتظر من أحد أن يمنحها هذه الحرية « المرأة التى تخدم الرجل، والرجل الذى يخدم الرئيس كلاهما من طبقة واحدة..طبقة العبيد»-« لكل فرد فى الدولة الحق فى أن يعيش حرا ٢٤ ساعة فى اليوم».

ويواجه أنور كامل **رجال الدين** على صفحات « **التطور**» مواجهة عنيفة معلنا « نحن نرفض هذه السجون التى تضعها على عقولنا فئة ضئيلة جاءتها القوة عفوا» ثم يقول« لرجال الدين فى التاريخ صفحة سوداء(التطور- مارس ١٩٤٠)

وتتوقف « **التطور**» بعد أن سحب **جورج حنين** الضمان المالى الذى قدمه لها، وأعتقد أن هذا التوقف كان تعبيرا عن خلاف بينه وبين **أنور كامل** الذى كان يتجه سريعا إلى اليسار محاولا إقامة تنظيم مصرى وعمالى ذى نزعة تروتسكية الأمر الذى كان يرفضه **جورج حنين** مطالبا بالاكتفاء بالعمل الفكرى والثقافى.

ويقع **أنور كامل**أكثر من مرة فى قبضة الأمن. وفى كل مرة كان يعود ليحاول من جديد.

وفى ذات الوقت كان يواصل رحلة الكتابة.وفى عام ١٩٤٥ أصدر كتيبا بعنوان « **لاطبقات**» وعلى غلاف الكتاب نقرأ « لن تحل بنا الهزيمة مادمنا لم نهرب، ومادمنا لم نرفع أيدينا بعلامة التسليم.قد نطوق بالأغلال وقد يوضع الحديد فى أقدامنا ولكنا هنا وسنبقى هنا.. سنبقى على عهدنا فى تمثيل آمال الشعب والتعبير عن إرادة الجماهير- الجماهير الكادحة».

وقبلها فى عام ١٩٤٤ كان قد أصدر كتابا عن « **الصهيونية**» أدان فيه الفكر الصهيونى إدانة شاملة وطالب فقراء اليهود بالتمرد عليه وأكد على عروبة فلسطين كاملة..

***

لست شيوعيا

وفجأة يتراجع أنور كامل.

فجأة وعندما يحاكم فى قضية الشيوعية الكبرى (١٩٤٦) يقول وفق نص حيثيات الحكم « أنه ليس شيوعيا وأن غرضه كان الإصلاح والقضاء على الفساد..ومما يقطع بأنه ليس له نشاط شيوعى أنه ألف كتاب « **أفيون الشعب**» وقد حمل فى هذا الكتاب على الشيوعية والا لما وكل له هذا العمل الذى يعمل به الآن والذى يتصل اتصالا مباشرا بالعمال حيث يوجد المجال لترويج ما يحلو له من الأفكار والمبادىء»

(راجع النص الكامل للحيثيات فى د. رفعت السعيد.تاريخ الحركة الشيوعية- المجلد الثالث-ص٣٢١).

فماذا قال **أنور كامل** فى كتابه « **أفيون الشعب**»ذلك الكتاب الذى قال بعض خصومه أنه كان الحد الفاصل بين فترة من مطاردة السلطة له وفترة من رضائها عنه أو على الأقل سكوتها عنه، ومنحها له وظيفة هامة فى مصلحة الكفاية الإنتاجية؟.

الحقيقة أن الكتيب فى مجمله انتقاد مرير للاتحاد السوفيتى ولستالين ولولا انتقادات محددة للماركسية ذاتها لأمكن القول أنه نوع من التطرف التروتسكى فى العداء للاتحاد السوفيتى.

لكن العبرة دوما تكون بالنتائج فالكتاب استخدم سلاحا بيد الرجعية المصرية للهجوم على الحركة الشيوعية،واستخدم مبررا للكف عن ملاحقة الكاتب.

كذلك فإن الكتاب وقد صدرت طبعته الأولى فى ٢٢ ديسمبر ١٩٤٨ قد استخدم من جانب المؤلف كى يتبرأ أمام المحكمة « من «الشيوعية» ذاتها بما يعنى أنه ليس مجرد انتقاد« **تروتسكى**» للخصم السوفيتى،ولامجرد انتقاد متحرر لديكتاتورية ستالين .وكان ذلك فى عام ١٩٥٠.

لكن « أنور كامل» رجل لايعرف التوقف فهو برغم منصبه الحكومى الحساس وبرغم

سكوت الحكم عليه يواصل محاولاته لفعل شيء ما.

وعندما قامت ثورة يوليو علق عليها آمالا كبارا ،ووجه رسالة مطولة جدا إلى الرئيس محمد نجيب(فى ١٢ أكتوبر ١٩٥٢)

والرسالة مليئة بالمديح،فهو يوجه حديثه إلى نجيب قائلا« لعلك وقد تصدرت هذا التحول التاريخى تكون أقدر من غيرك على استشعار هذه الرغبات ،لأن حركتك نفسها لم تكن منذ اشتعلت سوى انعكاس لما كبت فى صدر هذه الأمة فى عهود الضغط والإرهاب».

وهو يلقن نجيب أو يحاول ذات موقفه القديم الذى قمع بانتقاد الكثيرين، فيقول:« لقد تجمعت معظم الدول فى معسكرين رهيبين تتصدر روسيا أحدهما وتتصدر أمريكا الآخر، ومن الناس من يدعو إلى الإنضمام إلى المعسكر الشرقى ومنهم من يدعو إلى الإنضمام إلى المعسكر الغربى، وفى رأيى أن كلا الفريقين مخدوع،فلا المارد الأمريكى ولا المارد الروسى يفكر فى مصلحة الشعوب بل هو يقول« لقد وصفت الحرب الماضية» «الحرب العالمية الثانية» بأنها حرب تحرير،لكن الأحداث التاريخية اثبتت أنها لم تكن سوى مهزلة تحرير ثم يقدم أنور كامل بعد ذلك رؤية «إصلاحية» تستهدف زيادة الثروة القومية وتحقيق قدر ما من العدالة الاجتماعية..

ويختتم أنور كامل رسالته المطولة (١٣ فولسكاب)قائلا:« وأنى إذ أبعث اليك بهذا الكتاب أرجو من صميم قلبى كما يرجو كل مواطن أن توفق فيما أنت مقدم عليه بمعاونة زملائك وتأييد الجماهير من مشروعات بدأنا نحس بالفعل أثرها على كيان هذه الأمة التى بقيت حبيسة الطغيان خلال أجيال حتى قام الجيش بحركته فأشعل فيها نار الثورة « ليدك بها أركان الظلم ركنا بعد ركن».

مرة أخرى نذكر أن الرسالة مؤرخة فى ١٢ أكتوبر ١٩٥٢ أى بعد أيام فقط من إعدام خميس والبقرى.وهكذا أوقع أنور كامل نفسه فى ذات المأزق الذى وقعت فيه حدتو رغم تباينهما فى الموقف والتاريخ.لكن الفارق أن المنظمة أمكنها أن تستعيد توازنها بعد قليل،أما «الفرد» فقد عجز عن ذلك.

لكن أنور كامل لم يكن وحده من هذا الاتجاه الذى ساق المديح للحكام الجدد فعندما

لن تحل بنا الهزيمة مادمنا لم نهرب

أنور كامل

قامت الثورة كان جورج حنين فى روما وأسرع إلى مصر ليكتب رسالة إلى صديق يقول فيها« أواصل تفاؤلى بالنسبة للتطورات المحلية،أعتمد بالأخص على بعض سمات واضحة بشكل كاف. مثل محمد نجيب الذى احتل الصدارة. الرؤوس لها أهمية كبيرة فى التاريخ».

لكن جورج حنين يعود ليهاجم دكتاتورية عهد الناصر..ويسميه « الأمير ذو الأنف كعمود الإشارة» ويؤكد أن صوته يذكره بصوت هتلر(سمير غريب. السيريالية فى مصر- ص٦٣).

لكن جورج حنين رجل يمتلك ثروة كبيرة تمكنه من الهجرة من مصر إلى فرنسا فماذا يفعل موظف مثل أنور كامل لايمتلك سوى مرتبه.. لقد امتثل..وصمت.

ولعله يفسر ذلك بوضوح مغلف بالبراءة عندما يعترف بأنه قد تعرض لاضطهاد وتجويع ومطاردة ثم ؟« ولهذا توقفت، ولم أكن استطيع إلا التوقف فى حدود قدراتى الاجتماعية والاقتصادية والنفسية. لكن وجدت متنفسا فى مجال لايقل فى نظرى أهمية عن النشاط فى المجال السياسى، لأنه بالتحاقى بمصلحة الكفاية الإنتاجية اتيحت لى الفرصة لأن ألقى مئات المحاضرات وأن أنشر مئات البحوث على مدى ثلاثين عاما تقريبا. وكانت معظم هذه المحاضرات والبحوث تدور حول العلاقات الإنسانية والاتصالات والقيادة والتفكير الابتكارى، ،حضرها وقرأها مئات من الكوادر القيادية على مستوى مصر..»

ويختتم هذا الاعتراف قائلا « أنا إذن لم أكن ميتا ولا أحب أن أعيش ميتا»

(أنور كامل- حوار معه.أدب ونقد فبراير ١٩٨٨).

زمن الفسائد

والحقيقة أن أنور كامل رغم تباعده عن الخضم السياسى لم يكن ميتا.

فإذا كانت عقيدته الأولى «أن الفن معمل بارود »فقد نحى السياسة وماتستجلبه من معاناة جانبا، وترك لنفسه عنان الاقتراب من الفن..

..ويواصل أنور كامل عطاءه،رغم كل شيء.

يكتب ويكتب ويكتب.لايزعجه عدم إتاحة النشر، فهو يكتب وماكينة «الفوتوكوبى» تصور عدة نسخ كفيلة بتناقلها بين دائرته المحدودة.

وطوال سنوات عدة وقبيل وفاته كانت أوراقه توزع تحت عنوان غريب « الفسائل»، لعله كان متأثرا بالحديث النبوى« إن جاء أحدكم ملك الموت وفى يده فسيله فليغرسها».

ونطالع بعضا من فسائله.

« إلى أمشاط من ماس مكسورة
وطفل صغير يصرخ فى هلع
من نمال ظالمة تسقط فوق جسم لايحتمل
نتعلم حرفا فى معنى العدل.»

ولعل أنور كامل يلخص لنا كل حكمته فى آخر أيام حياته عندما يتحدث عن رحلته إلى باريس عام ١٩٦٧ أى فى ظل طنين الحديث عن اشتراكية عبد الناصر فيقول:« حين سافر أنور كامل إلى باريس فى ١٩٦٧ لم يتصل بأحد ممن كانوا يعيشون هناك سوى جورج حنين وبولا العلايلى ثم البير قصيرى أما جورج حنين فقد تساءل« ماذا يصنع الثائر الاشتراكى فى بلد غير اشتراكى؟ فأجابه أنور كامل فورا » يتحول إلى ليبرالى غير ليبرالى».

***

وأيا كانت إحباطات أو حتى تراجعات أنور كامل بسبب «أمشاط الماس المكسورة فقد ظل قادرا على العطاء بأسلوبه الخاص جدا ،وطريقته الخاصة جدا.

وعندما رحل ترك لنا تراثا هائلا من كتابات تستحق الدراسة والتقييم..

وباختصار فإذا كان قد قال معتذرا عن فترة سكوته «أنا لم أكن ميتا ،ولا أحب أن أعيش ميتا».

فإننا نعتقد أنه ليس ميتا حتى بعد أن مات.

لينين بؤرة الجدل هذه الأيام (٨)

هل عدل لينين عن الاشتراكية؟

شاع رأى أن لينين قد أعاد النظر فى ارائه عام ١٩٢١ ووضع نموذجا جديدا للأشتراكية.. ماصحة ذلك؟

- يقول سيدوف رادا على ذلك:

* الاجابة على هذا السؤال ليست بسيطة، وهناك اليوم ثلاثة مواقف مختلفة بشأن تبديل لينين لوجهة نظرة فى موضوع الاشتراكية، هناك موقف لبعض الباحثين يرى أنه من الممكن الحديث بالفعل عن تبديل كامل لاراء لينين، وهم يطابقون بين السياسة الاقتصادية الجديدة «نيب»، وبين نموذج جديد للاشتراكية نشأ لدى لينين فى أواخر عمره يقر بدور العلاقات النقدية السلعية والاقتصاد الحر، نتيجة لفقدان لينين الأمل فى بناء الاشتراكية المباشر فى روسيا. بينما يعارض اخرون تلك الرؤية بقولهم أن السياسة الاقتصادية الجديدة لم تكن الا خطوة مؤقتة وتراجعا تكتيكيا، كان لابد أن تليه العودة للخطط والافكار السابقة. كما أن هناك رأيا ينكر وجود أية تصورات مصاغة بدقة لدى لينين بشأن الخطوات التى كان ينبغى أن تتلو هذه السياسة الجديدة،الأمر الذى أدى لعدد من التناقضات فى مجرى تنفيذها. ولكن الحجج التى يوردها أصحاب تلك المواقف ليست كافية لحد بعيد، ولاتستند الا على عدد بسيط من أقاويل لينين. فالحجة الرئيسية التى يستندون اليها للقول بأن لينين بدل وجهة نظره فى الاشتراكية هى كلماته المعروفة المأخوذة من مقاله «حول التعاونيات» لكن التطرق لنص ذلك المقال يكشف أن هذه الفكرة ذات مغزى أوسع، كما أن لينين يختتم تلك المقالة بعبارة تدل على مغناها بوضوح، اذ يقول: «أن أمامنا مهمتين تشكلان عصرا كاملا هما مهمة اعادة بناء جهازنا، والعمل الثقافى وسط الفلاحين» . ومن الواضح أننا اذ تركز اهتمامنا على جزء واحد من العبارة ولانكترث بمتابعتها، فإننا نعطى تأويلا أحادى الجانب لفكرة لينين، سواء أكان ذلك بإرادة منا أو بدون ارادة. والواضح أن لينين عندما تحدث عن تبديل وجهة نظره فى الاشتراكية كان يقصد طرق بناء قاعدة المجتمع الاشتراكى. وقد أشار لينين الى أن الاهتمام الاساسى لابد أن ينصب خلال تلك العملية على توفير رافعات جديدة لتنظيم الاقتصاد القومى واستكمال الجهاز ونشر التعاونيات فى الارياف. فهل يدور الحديث هنا عن تغيير نظرية الاشتراكية؟. ينبغى علينا أن نفصل العام عن الخاص بدقة.إن المسألة العامة هنا هى تصور الاشتراكية والعلامات الاساسية المميزة لهذا النظام، أما المسألة الخاصة فهى تحديد طرق بناء المجتمع الجديد. وقد أكد لينين أن قضية الاشتراكية تنتقل من صعيد الصراع الطبقى ومصير السلطة الثورية الى صعيد بناء قاعدة المجتمع الاشتراكى. وكانت هناك مقدمات لذلك الموقف فى أعمال أخرى سابقة للينين أيضا.

ولننظر فى أعمال لينين عام ١٩١٨. ففى الظروف التى انتهى فيها «هجوم الحرس الأحمر» على الرأسمال، وأصبح التخلف فى أمر تنظيم المؤسسات المؤممة والتخلف فى ادارتها مسألة واضحة، قدر لينين ماتم انجازه بصورة انتقادية فى مارس وأبريل ١٩١٨ فكتب يقول: «لقد أممنا وصادرنا وحطمنا وكسرنا أكثر مما بوسعنا حتى أن نحصيه» . وبعد تحليل الوضع الناشئ قام لينين فى عمله «المهام الدورية للسلطة السوفيتية» (فى صياغته الاولى المسماة: ست مقولات بصدد المهام الدورية للسلطة السوفيتية) بتحليل دقيق للفكرة التى تطابقت الى حد كبير مع فكرته من مقالته «حول التعاونيات»:- ضرورة اعطاء الاولوية فى العمل لتنظيم الاقتصاد. وأشار فى البند الرابع من مقولاته بصدد المهام الدورية الى أن:« مصارعة البرجوازية تدخل طورا جديدا، وبالتحديد فإن تنظيم الحسابات والرقابة يصبح مركز الثقل. وعبر هذا الطريق وحده يمكن الاعداد للنصر على البرجوازية، أى الترسيخ الكامل لأقدام الاشتراكية». ورأى لينين أنه من الممكن استخدام عناصر لرأسمالية الدولة لدى اجراء هذا العمل، وكان يخصص لها مكانة ملحوظة فى مجال تنظيم ادارة المؤسسات وإقامة نظام دقيق للحساب والرقابة. **ولكن من المهم الا ننسى أن لينين لم يكن يعتبر الآلية الاقتصادية التى تشكلت آلية اشتراكية. ففى عمله حول «نزعة الطفولة اليسارية» كتب يقول:** «لايمكن لشخص سبق أن اهتم بوضع الاقتصاد الروسى أن ينكر الطابع الانتقالى لهذا الاقتصاد، كما أن شيوعيا واحدا لم ينكر أيضا أن عبارة الجمهورية الاشتراكية السوفيتية لاتعنى الاعتراف بأن النظم الاقتصادية الجديدة هى نظم اشتراكية، لكنها تعنى عزم السلطة السوفيتية على تحقيق الانتقال للاشتراكية. **ولكن ماالذى تعنيه عبارة الانتقال للأشتراكية؟ الا تعنى عمليا- إذا طبقناها على المجال الاقتصادى- أن هذا النظام يحتوى على عناصر وجزيئات وقطع من الرأسمالية ومن الاشتراكية معا على حد سواء؟».**

كان لينين يقول ذلك عام ١٩١٨، ولكن ألا يصلح نفس هذا المقتطف لوصف الوضع الاقتصادى عامى ٢١-١٩٢٢ أيضا؟. ولنعد بالذاكرة الى أن لينين دعا عام ١٩١٨ لوقف الهجوم لصالح هجوم لاحق مستقبلا. وعام ١٩٢١ أكد لينين فى كلمة له أمام مؤتمر الحزب السابع بموسكو: «لقد واجهنا ربيع ١٩٢١ وضع واضح: ليس البناء الاشتراكى المباشر وانما التراجع فى عدد كبير من ميادين الاقتصاد نحو رأسمالية الدولة..».، وبالتالى فإن الالية الاقتصادية للسياسة الاقتصادية الجديدة«نيب» حسب تصور لينين شكلت هيكلا لايميز الاشتراكية، ولكن يميز المرحلة الانتقالية لبناء قاعدة الاشتراكية المادية. ويشير لينين أيضا: «أن الوضع الذى نشأ نتيجة للسياسة الاقتصادية الجديدة: تطوير المؤسسات التجارية الصغيرة، وتأجير مؤسسات الدولة.. الخ، كل ذلك هو تطوير

للعلاقات الرأسمالية، وعدم رؤية تلك الحقيقة يعنى الفقدان التام للصواب». وقد ظهرت السياسة الاقتصادية الجديدة نتيجة للأوضاع الناشئة على تخوم عامى ١٩٢٠-١٩٢١، وأشار لينين بذلك الصدد قائلا: «.. لقد قمنا بتغيير سياستنا الاقتصادية مذعنين للظروف العملية على وجه الحصر».

أن صيرورة التطور الاقتصادي تحديدا- وليس مراجعة المبادئ النظرية- هو الذى أثر فى القرار الذي اتخذه الحزب عام ١٩٢١ بإقرار سياسة اقتصادية جديدة. ومما يؤكد ذلك الحفاظ على البرنامج الثانى للحزب الذى أقر من قبل عام ١٩١٩ فى ذروة سياسة **الشيوعية العسكرية**. ومع الاحتفاظ بنفس البرنامج كان لينين يفكر فى مداخل جديدة لحل الأوضاع الاقتصادية للبلاد. وفى يوليو ١٩٢١ ألقى لينين خطابا فى المؤتمر الثالث للكومنترن، صاغ فيه فكرة قريبة جدا من الفكرة الواردة فى مقالته «حول التعاونيات» قائلا: «**يجب علينا الانتقال من الاتحاد العسكرى الى الاتحاد الاقتصادي**، والاساس النظرى الوحيد لذلك الاتحاد هو ادخال الضريبة العينية. وفى ذلك تكمن الامكانية النظرية الوحيدة للتوصل الى قاعدة اقتصادية ذات شأن للمجتمع الاشتراكى». ويتبين من هذا المقتطف أن الحديث يدور عن عملية يتغير خلالها المدخل إلى بناء القاعدة الاقتصادية للاشتراكية، ولا يدور الحديث عن تغيير فى النظرية نفسها. وبذلك فإن السياسة الاقتصادية الجديدة لم تكن نموذجا جديدا للاشتراكية، ولكن طريقا جديدا لبناء قاعدتها فى مجال الاقتصاد وادارة الدولة. وفى آخر خطاب ألقاه لينين فى ٢٠ نوفمبر ١٩٢٢ قال: «اننا لن ننسى أيا من الشعارات التى تعلمناها بالامس، ويمكننا قول ذلك باطمئنان كامل ودون أدنى ظل من التردد.. ولسوف تتحول روسيا بالسياسة الاقتصادية الجديدة الى روسيا الاشتراكية». والنتيجة النهائية أن لينين ظل وفيا للمبادئ النظرية الاشتراكية، كما أنه ضرب فى الوقت نفسه نموذجا على التناول المبدع للنظرية للتوصل الى أفضل النتائج.

فارلاموف:

لقد شاع ذلك الرأى القائل بأن **لينين** قد راجع تصوراته وتصورات **ماركس** عن الاشتراكية خلال عمله وحياته فى الفترة الاخيرة، ويؤكد أنصار هذا الرأى أن التحول نحو السياسة الاقتصادية الجديدة شكل اعترافا واضحا بالاخطاء المبدئية المتعلقة بالرؤيا الاشتراكية السابقة على تلك السياسة، وليس فقط اعترافا بخطأ الطرق المؤدية للاشتراكية. هذا مايقولة مثلا **بوتهنكو** فى مقالته«الاشتراكية بين الماضى والمستقبل». ويؤكد أيضا **كروبين** فى مقالته «الاشتراكية والملكية» اننا نستطيع أن نقدر كل التقدير حكمة لينين وبسالته فى تخليه عن الماركسية وانتقاله الى الواقع. أيضا يقول **كيسيليوف** فى مقالته «تطور الانماط الاشتراكية» أن مرحلة السياسة الاقتصادية الجديدة كانت تمثل فى واقع الأمر ولادة نموذج ونمط جديد للاشتراكية يختلف عن النمط الكلاسيكى.

ومع ذلك فلابد من الاشارة الى أنه مع جميع التغييرات التى طرأت على آراء لينين بالنسبة لاهداف السياسة الاقتصادية الجديدة وفحواها، فإن جوهر تصوراته قد تجسد فيما قاله هو: «أن السياسة الاقتصادية الجديدة تدخل عددا من التغييرات الملحوظة فى أوضاع البروليتاريا.. وتعود هذه التغييرات الى أن الحزب الشيوعى والسلطة- فى عملية الانتقال من الرأسمالية للاشتراكية- يمارسان الان أساليب خاصة لهذا الانتقال، ويستخدمان جملة من الوسائل المختلفة عما فى السابق، ويفوزان بعدد من المواقع عن طريق حركة التفاف جديدة اذا جاز القول، ويقومان بتراجع من أجل الانتقال الى الهجوم على الرأسمالية مجددا باستعداد أكبر. وعلى سبيل المثال أصبح مسموحا الان بتطور التجارة الحرة والرأسمالية اللتين تخضعان للضبط الحكومى. ومن جهة أخرى يجرى تحويل مؤسسات الدولة الى نظام الاكتفاء الاقتصادى الذاتى، أى عمليا تحويلها الى المبادئ التجارية والرأسمالية لحد ملحوظ». «وكانت إحدى الاختلافات الكبيرة للسياسة الاقتصادية الجديدة عن خطط ربيع ١٩١٨، طرح المسألة الخاصة بماهية العلاقة النسبية بين اقتصادنا من جهة والسوق والتجارة من جهة أخرى». وفى وقت لاحق اكتسب فهم لينين لخطة السياسة الاقتصادية الجديدة، أو فكرتها، أو جوهرها، طابعا ملموسا أكثر. ذلك أن فكرة ماركس عن ضرورة وجود مرحلة انتقالية من الرأسمالية للأشتراكية تنمو لدى لينين لتتحول الى تعليل لـ «الانتقال لاقامة المقدمات الاساسية للحضارة فى بلد مختلف عن جميع البلدان الاوروبية الاخرى. ولم تكن تلك السياسة بالنسبة للينين الا تطبيقا لاساليب خاصة للانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية، فقد كانت **الشيوعية العسكرية**- على حد وصف لينين- هى قيام الشيوعيين بمفردهم بمحاولة جر العربة، أما السياسة الاقتصادية الجديدة فهى أن تقوم الرأسمالية بجر العربة، وبتعبير لينين كانت السياسة الاقتصادية الجديدة وسيلة لتحويل الوضع من: «عندما نكون بمفردنا ونجر نحن العربة، إلى وضع عندما يقومون هم بجرنا..». وتكفى متابعة مقاله لينين بصدد التغيير الجذرى لوجهة النظر الاشتراكية حتى يتضح أن الحديث يدور عن طرق وأساليب الانتقال للاشتراكية. وينبغى أن نضيف أيضا أن الموضوع المكرسة له مقاله لينين «حول التعاونيات» هو موضوع حول مهمة «كيف نتعلم بناء الاشتراكية بصورة عملية بحيث يستطيع كل فلاح المشاركة فى هذا البناء»

إن الموضوع نفسه يجعل **محاولات الحديث عن طرح لينين لنموذج جديد من الاشتراكية محاولات مشبوهة تعتمد على جمل اقتطعت من السياق**. الاكثر من ذلك أن المبادئ التى وضعها لينين فى مرحلة السياسة الاقتصادية الجديدة تشكل تجسيدا عمليا لفكرة المرحلة الانتقالية، بل إنها أول وضع لافكار الماركسية بهذا الصدد فى الواقع، كما انها تسمح لنا بالحديث عن مراجعة جذرية للتصورات السابقة بالفعل، ولكن أين تكمن هذه المراجعة؟؟. إن جوهرها- إذا أخذنا بعين الاعتبار مجمل أعمال لينين وليس مقالة واحدة- يكمن فى الانتقال من الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا الى «أعمال اصلاحية للغاية»، ولكن فى ظل المحافظة على ديكتاتورية البروليتاريا: «لاينبغى تحطيم النمط الاقتصادى الاجتماعى القديم، التجارة، والاقتصاد الصغير، والاستثمارات الصغيرة، والرأسمالية، ولكن انعاش التجارة والاستثمارات الصغيرة والرأسمالية والسيطرة عليها بصورة جذرية وتدريجية، أو الحصول على إمكانية اخضاعها لمراقبة الدولة وذلك بقدر انعاشها فقط». وبالاحرى كان الانتقال يكمن فى التخلى عن فرض الاشتراكية بالقوة بقمع واستئصال الانماط الاقتصادية غير الاشتراكية. وكان الانتقال يكمن فى طرح برنامج للانتقال الى العلاقات الاجتماعية الاشتراكية عبر تحرير طاقات نقيضها أى علاقات الملكية الخاصة.

أحمد الخميسى



فيلم «مستر كاراتيه» لمحمد خان

فلاح مصرى أصيل.. من تايوان!

أحمد يوسف

نقطة الضعف فى فيلم «مستر كاراتيه» لمحمد خان هى جوهر قوته، وتلك هى المفارقة الأصيلة التى لابد أن نقبلها فى الأعمال الفنية، أحيانا عن رضى وأحيانا أخرى على مضض، عندما تستحوذ على الفنان فكرة تحقيق النجاح الجماهيرى، بعد مابدا أن الجماهير قد انصرفت طويلا عن أفلامه، وهى فى الحق فكرة مشروعة، بل هى بالأحرى أكثر الأفكار شرعية ونبلا، إن من «الواجب» على الفنان أن يتوجه إلى الجمهور، بنفس القدر الذى يملك «الحق» فى أن ينتظر بشوق وشغف ثمرة نجاحه عند الجماهير.

ولطالما اشتاق النقد الجاد إلى أن يصل فيلم يتمتع بقدر كبير من الفن الرفيع والفكر الناضج إلى الناس، فيقف النقد الى جانبه ملقيا الضوء على مابدا غامضا ملتبسا على المتلقى، بنفس القدر الذى يكشف فيه هذا النقد فى أفلام أخرى عن محاولة تعسف الجدية وافتعالها، واتخاذ امتناع الجماهير عن فيلم مابرهانا على أن الفيلم يسبق عصره، بينما يحاول النقد مع أفلام ثالثة أن يقف موقفا أكثر تشددا، عندما يتضح زيف مفهوم النجاح الجماهيرى الذى يتخذه البعض عن تجار السينما ستارا لابتزاز مشاعر المتفرج، واستغلاله على نحو يكاد يكون نوعا من «الغش التجارى» أو النصب والاحتيال.

تقف الجماهير دائما فى فن وصناعة وتجارة السينما فى مركز الصورة، فالجماهير هى البداية والنهاية، وليس هناك فى تاريخ السينما الروائية على نحو خاص أى عمل فنى يكتفى بأن يستمد قيمته الحقيقية من خلال العروض الخاصة للنقاد والمثقفين، بل إنه لايحقق «التعميد» إلا عندما ينجح فى أن يغوص فى وجدان الجماهير، تلك الجماهير التى تحدث عنها المخرج مرهف الحس والعاطفة والفكر **داود عبد السيد** فقال أنها تبدو مثل **«القدر بالنسبة للفنان، الذى يكون من المحتم عليه أن يقبل هذا القدر ويرضاه ويتعامل معه ، ليس استسلاما، وإنما تفاعلا خلاقا من خلال التأثر والتأثير، تماما مثلما استطاع شكسبير وموليير وموزار أن يخلقوا صيغة توائم بين الفن الرفيع، واحتياجات هذا الجمهور القادم بعد يوم عمل طويل ليبحث عن لحظات المتعة، وعبارات من الحكمة ، تعينه فى اليوم التالى على أن يستكمل رحلة حياته المليئة بأسباب السعادة والشقاء».**

التوجه الى الجماهير:

الآن يعرف **محمد خان** فى «**مستر كاراتيه**» إلى من يتوجه فى صالة العرض المظلمة، وهو الذى حفر اسمه فى تاريخ السينما المصرية بسلسلة طويلة من الأفلام التى كان معظمها من أفضل أفلام عقد الثمانينات، وتمتع أغلبها بأصالة مستمدة من عالم فنى خاص، تتخلله روح شفافة شغوف بالاقتراب من الناس، والتعبير عنهم بلغة سينمائية راقية. طاف **محمد خان** بقطاعات

عريضة من الناس، وشعر بالألفة الحميمة الدافئة وكأنه يقف على أرضه التي يعرفها شبرا شبرا عندما تناول حياة الطبقة المتوسطة، مثلما فعل في **«زوجة رجل مهم»** و**«سوبرماركت»** وعانى من الاغتراب والفتور عندما تعامل بعقله دون قلبه مع حياة الذين قفزوا في غفلة من التاريخ إلى أعلى السلم الاجتماعي ، كما في **«فارس المدينة»**، وأظهر قدرا كبيرا من الدهشة الممزوجة بالحب عندما اقترب من حياة الفقراء الذين يبحثون لأنفسهم عن مكان في زحام المجتمع الذي أصابته لوثة مايسمى بالانفتاح، كما في **«أحلام هند وكاميليا»**.

الآن يعرف **محمد خان** في **«مستر كاراتيه»** إلى من يتوجه، إلى هؤلاء ، الذين يعبر عنهم في أفلامه من الفقراء والمطحونين، ولا تعرف أقدامهم طريقها الى دور العرض الفاخرة في وسط القاهرة، وإنما تعج بهم دور العرض المتواضعة في الأحياء الشعبية والمدن الصغيرة، هؤلاء الذين كانوا في الماضي ينظرون إلى «وحش الشاشة» **فريد شوقي** وهو يعبر عن رغبتهم في الانتقام من ظالميهم، وينتزع لهم في الخيال حقهم المسلوب في أن يملكوا مصائرهم. لكنهم اليوم يفتقدون هذا **«الفتوة العادل»** في الحياة والفن على السواء، فيبحثون عنه حينا في بعض أفلام عادل إمام، ويغرقون من أجله في بحر أفلام **اميتاب باتشان** وأفلام الكاراتيه المصنوعة في شرق آسيا.

وإذا كان من السابق لأوانه أن يتنبأ الناقد بالنجاح الجماهيري لفيلم **«مستر كاراتيه»** أو فشله ، فإن ذلك الأمر لن تحسمه العروض الأولى للفيلم، وإنما عروضه في صالات العرض الفقيرة أو المتواضعة، وقد يكون هذا النجاح أو الفشل هو الحكم الصائب على تلك التجربة، على مستوى الشكل أو المضمون ، لأن من سوف يصدر الحكم هم هؤلاء الذين قرر محمد خان أن يتوجه إليهم بعد طول انقطاع.

الألوان الرمادية

يلتقط سيناريو رءوف توفيق واحدا من بين الجمهور الشغوف بأفلام الكاراتية، ليكون بطلا لفيلم **«مستر كاراتيه»** القادم لتوه من الريف، قانعا بعد فترة بطالة طويلة أن يرمي وراء ظهره مؤهله الدراسي وانتظاره خطاب «القوى العاملة» ليذهب إلى القاهرة ليستكمل مشوار أبيه الراحل ، عاملا في «جاراج» أسفل إحدى العمارات العالية، فيبدو وكأنه يولد من جديد، يتعرف على العالم بقدر من الدهشة والبراءة، وإن كان سرعان مايستطيع أن يستوعب مايراه بقدرة الفلاح المصري على التكيف أحيانا، والرفض أحيانا أخرى، وادعاء الصبر أحيانا ثالثة حتى تأتي له فرصة الانتقام.

في هذا العالم الجديد يقف الفتى صلاح عبد الراضي **(أحمد زكي)**، محاولا أن يجمع شتات نفسه، يحتضنه في دفء الريس عمر **(عثمان عبد المنعم)** صاحب الجاراج، ويلمس شفاف قلبه ببساطة وتلقائية نادية **(نهلة سلامة)** التي تعمل في مكتبة الفيديو القريبة، ويقوده حسن **(ابراهيم نصر)** إلى عالم جديد، يبدأ من المقهى الصغير حيث يفرض حسن من نفسه فتوة يأخذ نصف الايراد مقابل ما يعرضه على الزبائن من شرائط أفلام الكاراتيه، لكنه يأخذ صلاح إلى إحدى الساحات الشعبية حيث يدربه على الكاراتيه، بعد أن ترسم فيه الرغبة والقدرة على ذلك، حتى أنه يطلق عليه **«مستر كاراتيه»**.

من تلك الخيوط الانسانية البسيطة يغزل «مستر كاراتيه» نسيجه الذي يمضي ليقدم في لمسات رقيقة لوحة بانورامية عريضة لشخصيات عديدة في عالم احد شوارع القاهرة وبيوتها، وكأنه شريحة لواقع هذا المجتمع في الفترة الحالية، دون أن يقع في مأزق الأبيض والأسود، الخير والشر، في الجزء الأكبر من الفيلم على الأقل.

وإذا كانت صورة القاهرة في الأغلب الأعم من الأفلام، بالنسبة للقادمين إليها من الريف، هي صورة **«النداهة»** أو الوحش الذي يبتلع كل من يقترب من رءوسه العديدة، فإن القاهرة في «مستر كاراتيه» هي ذاتها تعاني من التمزق بين عالمين، أولهما عالم جيل يذهب دون عودة، مجسدا في الاستاذ عزيز **(عدوي غيث)**، ذلك الرجل العجوز صاحب السيارة القديمة الذي يصر على تنظيفها بنفسه، ويهبط إليها في الليالي الباردة ليؤنسها ويدفئها، وعندما يموت يفحص أقاربه السيارة باشمئزاز على أنها «خردة» يجب التخلص منها. أما العالم الثاني فهو ذلك الذي لايعرف للحياة معنى إلا استغلال الآخرين واستهلاكهم، مثلما يفعل المهندس الشاب شريف (ممدوح وافي) ، الذي يحيا باحثا عن لذة رخيصة عابرة، ينالها مقابل ثمن أرخص يدفعه للفتيات الباحثات بدورهن عن غنائم استهلاكية من تلك التي تحتشد بها الاعلانات.

سؤال واحد، واجابتان

بين تلك المتاهة يحيا صلاح، أو **«مستر كاراتيه»**، فلا يعرف إن كان عليه أن يصدق أنه يستطيع من خلال الكاراتيه أن يصبح في مأمن من ان «يتاكل أونطة» على حد تعبيره، وفي الحقيقة أن شخصية حسن في السيناريو، والتي قدمها الممثل **ابراهيم نصر** بحب شديد، والتي تذكرك على نحو ما بشخصية مدرس التاريخ عبد العظيم القرنفلي في **«فارس المدينة»** إن هذه الشخصية تمثل بالنسبة لصلاح نموذجا ومثالا يحتذيه في قلب المدينة الصاخبة، فهو مدرس التربية الرياضية السابق، الحاصل على بعض بطولات في المصارعة، لكنه أمام صعوبات الحياة يضطر للعمل **«نقاشا»**، كما يفرض نفسه **«فتوة»** على المقهى ، ويفتح الطريق أمام صلاح لكي يتقن رياضته المحبوبة.

وربما يظل السؤال مطروحا حول قدرة هذا النموذج على الاستمرار في الحياة، ولتصرف نظرا عن أخلاقيته أو مشروعيته في مجتمع تحكمه شريعة الغاب. في قلب الفيلم سوف تجد الاجابة الحقيقية، حتى لو اضطر في النهاية الى تقديم إجابة أخرى زائفة. إن حسن يأخذ صديقة صلاح إلى إحدى دور السينما حيث تعرض أفلام الكاراتية، ويدعوه إلى أن ينسى العالم ويدخل إلى عالم الفيلم، حيث تصبح الجماهير كائنا واحدا يردد الصيحات مع البطل الذي يخوض على الشاشة معركة دامية، وبعد الفيلم يخرج صلاح منتشيا وقد اسكرته الرغبة في القفز في الهواء كأنه يلاطم بيديه العاريتين وساقية المتخيلتين عدوا مجهولا، أو لعله يصارع كل اعدائه الذين يقهرونه كل يوم. وإن كان لك أن تغفر للفيلم أغنية يقطع بها أحداثه، ويتناقض فيها مع أسلوبه، حيث يصور **أحمد زكي** وهو يمضي في شوارع القاهرة وفوق جسورها مغنيا لقدرته على أن يقهر العالم و«الدنيا بنت الايه»، فإن الاجابة على سؤال إذا ماكان الكاراتيه حلا لأزمة البطل سوف تأتي صفعة قاسية، حين يتعرض صلاح لطفل أرعن يقود سيارة أبيه، فيقع صريعا تحت العجلات لتكسر ساقة، وتنهزم أحلامه إلى الأبد.

ومن الضياع إلى مزيد من الضياع يمضي صلاح، كما يمضي معه في تواز درامي رقيق صديقة، الذي ينتهي «فتوة» ، أو فلنقل **«بلطجيا»** في أحد الملاهي الليلية، وتخلى عن كل أحلامه القديمة في عالم الرياضة، وإن

كان الثمن الذى سوف يدفعه أعلى مما تصور، حين يجد نفسه وقد أتفق رواد الملهى الأغنياء ووجهاء المجتمع على أن يتحمل وحده جريمة قتل لم يرتكبها. أما صلاح الذى يعمل مناديا فى إحدى ساحات السيارات فإنه يجد نفسه شاهدا وشريكا على جريمة اتجار بالمخدرات، ليكتشف أن الفساد قد توغل إلى أبعد مما كان يتصور، وأن التقصير المتعمد الذى يشوب أداء الادارات الحكومية مع أرملة عجوز (زوزو نبيل)، ومعاناتها من أجل الحصول على معاشها، ليس إلا جانبا من تقصير متعمد أكثر عمقا، وأشد فداحة، فى جريمة المخدرات التى تحدث على مرأى ومسمع من الجميع.

إن كان لتلك المتاهة الجديدة من نهاية فى الفيلم، فهى ذلك المشهد الذى تحايل فيه صلاح بخبثه الفطرى على أن يشى إلى السلطات بالفاعلين دون أن يظهر على مسرح الأحداث. وإذا ما كان للمتاهة من نهاية فى الواقع فهى أن يهرب منها صلاح دون عودة، ربما إلى متاهة جديدة فى نهاية مفتوحة، أو فلتكن النهاية المغلقة التى اختارها الفيلم بعودة صلاح مع نادية إلى قريته.

بين هاتين النهايتين، المفتوحة والمغلقة، حشر الفيلم مشهدا لايمت بصلة للعالم الفنى للفيلم أو للواقع على السواء.، وإذا كان من المفهوم أن هذا المشهد يغازل المتفرجين، فإن هؤلاء المتفرجين هم الذين فغروا أفواههم دهشة من تلك السذاجة التى تدفع بصلاح إلى أن يعود إلى المجرمين، ليدخل وهو أعزل قلعتهم المدججة بالسلاح، ويقاتلهم بيده العارية وساقة العرجاء، فى استماتة، ليصرعهم واحدا بعد الأخر بحركات الكاراتية المزعومة، كما يليق ببطل لصقت عليه عبارة: «صنع هونج كونج» أو تايوان»!

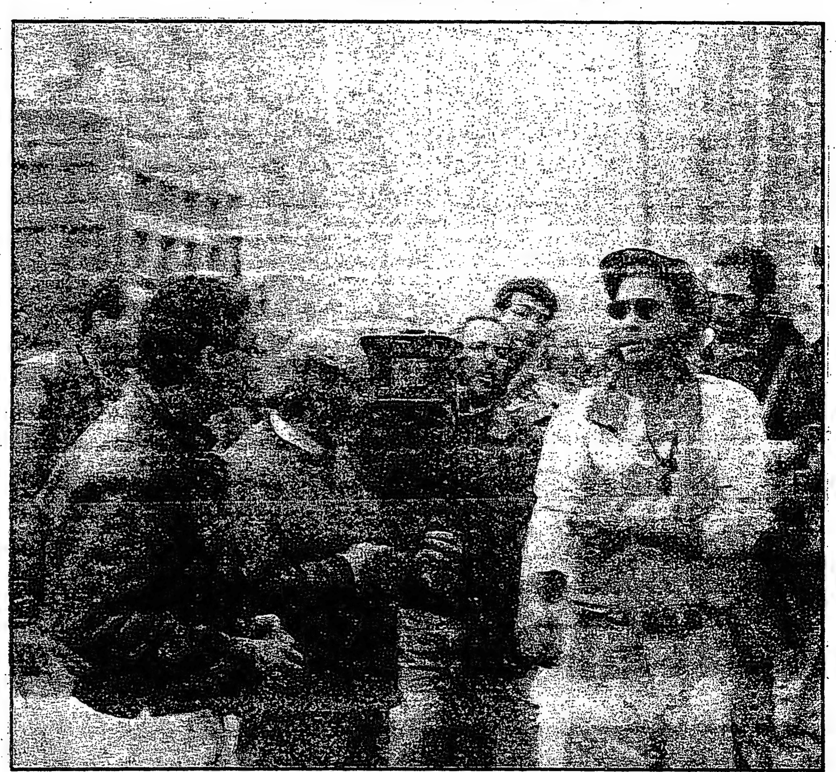
الشعر بالسينما

لقد كان الفيلم يفكر بنفس الطريقة التى يفسر بها بطله اعجابه بأفلام الكاراتيه، وهو أن «يكسب البطل فى النهاية كل شئ» لكن الفيلم إذا كان قد جعلنا فى البداية نرى تفسيرا لهذا الاعجاب، بحرمان هؤلاء البشر من الحياة الحقيقية، وانسحاقهم أمام الضربات المتوالية فى كل نواحى حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والانسانية، مما يدفعهم لحلم يقظة، بانتصارات وهمية زائفة من خلال السينما، فإن الفيلم ترك هذا الجانب النقدى، ومنحهم بدوره حلما من تلك الأحلام المستحيلة. وهكذا جعل فيلم «مستر كاراتيه» من جوهر قوته بالحديث عن الجماهير المقهورة المخدرة بالأوهام نقطة ضعفه عندما عالج قهرهم بجرعة وهم جديدة.

وإذا كان لك أن تحذف من خيالك هذا المشهد المصنوع من أجل أن يقوم **أحمد زكى** بدور «**بروس لى**» أو «**جاكى شان**»، وأن تغض الطرف عن أغنياته التى تبدو وكأنها نتوء خارج على نسيج الفيلم وأسلوبه، (وليسأل المنتجون والنجوم أنفسهم كما يشاؤن عما يبقى لكى يضمن الفيلم نجاحه!)، فإن مايبقى حقا هو واحد من أكثر الأفلام عذوبة ورقة وصدقا، على كل المستويات السينمائية، بدءا من سيناريو **رءوف توفيق** المكتوب بوعى فائق فى تصوير الشخصيات التى التقطها بعين الفنان الحساس، ومرورا بتصوير **كمال عبد العزيز** الذى يؤكد فلما بعد فيلم أنه واحد من جيل مديرى التصوير الذين لم يعودوا ينظرون إلى الكاميرا على أنها أداة لصنع صور فوتوغرافية جميلة، أو هؤلاء الذين يضعونها كيفما اتفق أمام الممثلين، وإنما تشعر بها كائنا حيا يشارك ويعايش ويقترب فى حميمية دافئة، يمضى وكأنه يندهش لمايراه، ويتوقف فجأة ليتأمل شخصية بعينها، ويتسلل فى نعومة مقتربا من وجوه الناس وكأنه يتلمس أرواحهم وأعماقهم.

وليس غريبا على أفلام محمد خان أن تصدق أن هؤلاء الممثلين الذين تراهم على الشاشة ليسوا بالفعل إلا تلك الشخصيات التى يؤدون أدوارها. النجوم منهم وأصحاب الأدوار الثانوية على السواء، فهم جميعا يدخلون تحت إهاب الشخصيات ويغوصون فى عالمها، ولن تستطيع أن تنسى تلك الملابس شديدة البساطة التى اختارها أحمد زكى بعناية فائقة ليرتديها فى المراحل المختلفة لدوره، أو التغيير الحاد على ملامحه بين سذاجة البداية ومرارة النهاية، أو المشية الخاصة التى كانت تسير بها **نهلة سلامة**، دون تأنق أو افتعال، وكأنها بالفعل واحدة من هؤلاء الفتيات القادمات من الحوارى الضيقة بحثا عن فرصة عمل وحياة فى الشوارع الواسعة النظيفة، أو ذلك الحذر العدوانى الذى علا وجه **ابراهيم نصر** عندما قابل صلاح للمرة الأولى، ليتحول الاحساس شيئا فشيئا إلى ارتياح عميق، حتى أنه يصبح أستاذه الحكيم الذى يعلمه فى النهاية كيف يواجه

أحمد زكى ومحمد خان خلال تصوير الفيلم بشوارع القاهرة



العالم بعد أن ذاق الفساد المستشرى: «كُل وحس يامستر كاراتيه، هاتعمل إيه يعنى؟! جايز البوليس عارف ومطنش راخر. كل وانت ساكت.. الدنيا خبطت فينا لاحد قال لنا انتوا مين ولاانتوا فين.. احنا مالناش ظهر يحيمنا».

لامستر.. ولاكاراتيه

وفى الحقيقة أن مايجعل محمد خان واحدا من أهم مخرجى السينما المصرية خلال الحقبة الأخيرة هو ذلك الوعى الجمالى والسياسى بضرورة الوقوف إلى جانب هؤلاء الذين بلا ظهر يحميهم، من أبناء الطبقة الفقيرة الذين يزحفون للخروج من ظروفهم القاسية، وأبناء الطبقة المتوسطة، المهددين بالسقوط بين عشية وضحاها إلى حضيض السلم الأجتماعى.

من هذا العشق للبسطاء يتجسد حب **محمد خان** للمكان، من غرفة صلاح فى الجاراج، إلى الشوارع، تحت الجسور وشقة حسن المتواضعة شديدة البساطة والنظافة فى منزل قديم مهدم.

ومن الوعى الجماعى الذى يتمتع به **محمد خان** تأتى تلك البلاغة البصرية، التى تتجلى فى التعبير الرائق الصافى دون كلمة واحدة عن جوهر الدراما، فعربة نقل الموتى التى أتت من الأفق البعيد حاملة جثة الأب قادمة من المدينة هى التى تختفى فى الأفق عائدة بصلاح ليدور الدائرة ذاتها التى أفنى أبوه فيها حياته، كما تبدو الكاميرا فى أول لقطة لها فى شوارع المدينة وكأنها تكتشفها فى حركة عرضية، ترى فيها نادية وهى تفتح محل شرائط الفيديو فى الصباح، ويخطف طفل ذاهب إلى مدرسته احدى الشطائر من طفلة، وينهمك شاب فى غسيل السيارات تتخطاه الكاميرا للحظات لكنها تعود إليه فتكتشف أنه صلاح، لتتوالى اللقطات فى مونتاج متلاحق لتعرض لنا شخصيات متباينة لأصحاب السيارات وردود فعل صلاح تجاههم.

على شريط الصوت، وبعيدا عن الأغنيات الساذجة (حتى وإن حملت اسم الشاعر **سيد حجاب**، والملحن كمال الطويل!) تدرك وعى **محمد خان** باستخدام الموسيقى، حين تنتهى رحلة صلاح فى الجاراج بمغادرته المكان دون عودة بعد معركته مع شريف انتقاما لاستدارجه نادية، فتسمع صوت بوق بائع **«غزل البنات»**، ساخرا مدويا، كأنه يعلن هزيمة **«مستر كاراتيه»**، ليتكرر اللحن، بنغمة حزينة، وبصوت البوق الأوركسترالى، مصحوبا بالآلات الوترية



أحمد زكى

الفليظة تارة، والأورغن تارة أخرى، فى عدة مشاهد تعبر عن الاحساس المرير الذى يجتاح صلاح لانسحاقة الدائم أمام مايراه حوله.

وفى هذا التناقض الحاد بين الاستسلام للاستخدام الاستهلاكى الدارج لاضافة اغنيات ساذجة- أيا كان الجهد الذى بذله **محمد خان** لتأتى **«استعراضية»** متقنه وهو مايتناقض مع أسلوب الفيلم- وبين الاستخدام الواعى لشريط الصوت لاضفاء دلالة درامية عميقة، يكمن المأزق الذى يعيشه **«مستر كاراتيه»**، لكننا نظلمة إذا أغفلنا أنه فى الجانب الأكبر منه ينتمى إلى أفلام محمد خان الحميمة الدافئة ، حتى لو أراد صناعه أن يجعلوه أكثر سخونة واشتعالا. وربما بسبب ذلك احترقت بعض من ملامحه الواقعية الصادقة، لكن الجوهر يظل واقعيا صافيا، بعيدا عن كل «مستر»، وبدون أى **«كاراتيه»**!



عبدالله غيث فى دور الرئيس السادات من مسلسل «الثعلب»

الثعلب

مسلسل عن مخابرات السادات

ماجدة موريس

فى اللقطة الأولى لهذا العمل، قبل التيترات، يظهر الرئيس السادات فى مجلس الشعب، بشخصه الحقيقى، يتحدث عن ثقته المطلقة فى القوات المسلحة وبعدها نقرأ شكرا من التلفيزيون للمخابرات العامة المصرية وسفارة مصر باليونان وأسرة الرئيس السادات الخ.. ثم تبدأ اسماء العاملين فى المسلسل يعلوها التأكيد على أنه من(ملفات المخابرات العامة المصرية)». وفى اللقطة الأخيرة، نجد أنفسنا (الحلقة رقم ١٣) أمام الرئيس السادات أيضا، ولكنه هذه المرة مشخص من خلال ممثل قدير هو عبد الله غيث، وحيث أنتهت حلقات المسلسل بحصول المخابرات على شرائط تسجيل اجتماعات الموساد التى سميت عملية(صقر سامح) وحتى يتسنى للرئيس- بعد سماع الشرائط- أن يخطط لهم(الضربة التى اعادت الكرامة والعزة لمصر) و(ظل الرئيس السادات يسمع ويسمع العديد من شرائط عملية صقر سامح الخ...).. وما بين البداية والنهاية كانت الحكاية.. فنحن أمام مسلسل تم صنعه- كما هو واضح- من أجل الدفاع عن الرئيس السادات أو تحسين صورته أو تأكيد وجوده وأرتباطه بعمليات هامة للمخابرات المصرية، أو ارتباط بعض عملياتها الهامة هى بعصره.. ومن هنا فإن أبرز مايطرحه المسلسل علينا هو هذه الرسالة التى يوجهها إلينا منذ اللقطة الاولى وحتى الأخيرة ليبدو وكأنه ينطلق من«فم» الرئيس السادات حقاً، ومن خلال رغبته الشخصية فى أن«يحضر» أجتماعات الموساد مع بقية المخططين على الأضرار بمصر، ومن قبلها شكوكه فى تلك الدولة الصديقة وخيانتها لنا مع الأعداء، والمسلسل لايسميها لكننا ندرك فى نقطة سريعة أن الرئيس فى مطار موسكو! ثم عاد ليؤكد لقائد المخابرات وقتها شكوكه وليتبادل رجال المخابرات فيما بينهم ورقة عليها أسم تلك الدول التى تتظاهر بالصداقة لمصر ثم تتعامل مع الموساد ضدنا، ويهز الرجال رؤوسهم أسفا وهم يقرأون الورقة- ويكون علينا نحن المشاهدين الذين قد صنع المسلسل لاقناعنا، أن نفهم أن عدم ذكر تلك الاسماء فى مصلحتنا، مع أن الامر مضت عليه عشرتان من السنوات(يناير ١٩٧٣)، وفيما بعد هذا، على أمتداد المسلسل يكون علينا أن نتعامل مع(صورة ما) لرجال المخابرات وعملهم فرضها المسلسل، أو فرضت عليه، بصراحة شديدة من خلال شخصية- شوكت فهمي أو(الثعلب) التى قام بأدائها نور الشريف ومن خلال زملائه اعضاء اللجنة الموقرة الذين قام بأدوارهم عادل هاشم ومصطفى متولى واسماعيل محمود ومحمد ابو داود، وقبلهم السيد رئيس المخابرات الذى قام بدوره صلاح ذو الفقار والذى تلقى ترقية فى نهاية المسلسل، بعد نجاح رجاله فى الحصول على الشرائط، فأصبح اللواء احمد اسماعيل وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة.. باختصار نحن أمام صورة جديدة لرجل المخابرات مرتبطة بالضرورة بتلك الحقبة، وذلك الرئيس، صورة تؤكد على جماعية القيادة من خلال اللجنة، بل وديكتاتورية الجماعة أيضا فعندما عاد الثعلب من آثينا وقدم تقريره المفصل عما حدث له وعن أصلح من يستطيع تجنيدهم لخدمة مصر قال أنه يفضل تجنيد أوليفيا فصوتت اللجنة غير هذا وفضلت تجنيد(آدم) مع أن اختيار البطل نفسه- أى شوكت فهمى الملقب بالثعلب- جاء لأنه رجل نابه شديد الذهاء، محترف ومتمرس وقادر على الحكم الدقيق على عناصر عمله! لكن، جاء هذا الموقف من أجل(صورة) المخابرات كما أرادها المسلسل، تماما كما أن تلك الصورة فرضت على صاحبها أن يكون صارماً اخلاقيا، وأنسانيا، جاف المشاعر، يقذف إلينا، عبر الشاشة، بدروس فى العادات والتقاليد وكأنما المقصود أن نرى مسلسلاً عن رجل فاضل تعرض لمؤامرة شوهت سمعته(من

خلال أعمال أخرى) فأراد أن يظهر معدنه الحقيقى للناس وهو أنه مواطن صالح، لاينظر لامرأة غير زوجته، حتى. لو أضطره العمل لذلك، صلب وفولاذى الارادة، و بالتأكيد فإن هناك محاولة واضحة لأعادة رسم صورة رجل مخابرات مختلف عن رجال(دموع فى عيون وقحة) و(الهجان)، طبعا غير التأكيد على اختلاف(رجل المخابرات) عن(العميل) وهو أختلاف يطرحه(الثعلب) من باب أخلاقى أيضا، فما هو مسموح به للهجان، والشوان، غير مسموح به لشوكت فهمى..

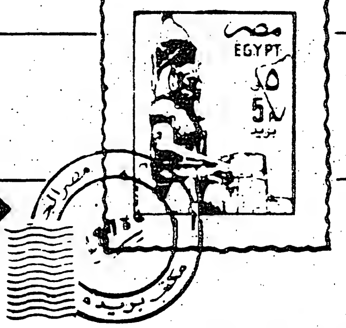
أوليفيا اكثر تألقاً

هناك طرف ثالث يفرض نفسه علينا من خلال(الثعلب) هو الرقابة التى بداظلها الثقيل واضحاً فى مشهد الذروة الذى لابد أن يكون مابعده مفهوماً لملايين المشاهدين في البيوت، وهو مشهد تتبع اوليفيا الجاسوسة أو العميلة الاسرائيلية إلى حيث اكتشاف حكاية شذوذها وغرامها بالتعذيب على يد(آدم)، ولأن الاقتناع لم يكن ضمن البنود الهامة لدى صناع المسلسل، فقد أنتهى المشهد لتبدأ الاسئلة عن معناه، فنحن لم نر شيئاً سوى الكرباج فى يد آدم، ولم نفهم وكأنه من العيب أن يفهم المشاهد كيف جندت المخابرات المصرية العميلة التى أوصلت بطلنا إلى أنجاح عمليته، فأولفيا هذه هى المرأة التى حققت النجاح للمخابرات المصرية وما قدمه المسلسل- وبرغم النتيجة- فى صالحها، فهى شخصية ديناميكية، متوهجة، تعيش صراعات متعددة وبناها الدرامى- باستثناء الحكاية التى حذفتها الرقابة- أضاف بعدا انسانياً للحلقات لم يضفه البناء الدرامى للثعلب- حتى مع وجود زوجته وابنائه كديكور- ولم يضفه ذلك البناء الجامد لأعضاء(اللجنة) المخابراتية العليا. وقد بدا واضحاً أن كاتب المعالجة الدرامية والسيناريو والحوار إبراهيم مسعود لم يستطع أن يملأ الفراغات حول تلك الاسس المبدئية التى وضعت أمامه ليبرزها أولا، وهى دور الرئيس السادات، وصورة رجال المخابرات فى عصر مابعد(الهجان) وأيضا الحفاظ على الاخلاقيات والفضيلة التليفزيونية أما المخرج أحمد خضر، الذى ارتبط أسمه لفترة طويلة بواحد من أهم وأفضل المسلسلات فى تاريخ دراما التليفزيون وهو مسلسل(الرجل والحصان) فهو هنا يملك ولايحكم، يملك مساحات حاول أن يملأها بقدر المستطاع، بما أتيح له من



نور الشريف فى نفق المجارى وعملية (صقر-سامح)

لقطات جميلة فى اليونان وجزرها وشوارعها وأسواقها، لكن جهده هو ومصوروه البارعون أجدر لأن احداث المسلسل تدور عام ١٩٧٣ واقتاع الحياه الذى التقطته الكاميرا ينتمى إلى عام ١٩٩٣، وخزائن انتاج التليفزيون عجزت عن توفير كل ماأستعمله الناس منذ عشرين عاماً من ملابس وسيارات وأكسسوار وأجهزة ومن هنا كان عليه أن يدير دفه عمله وفق الامكانيات المتاحة، والضوابط، والرقابة، وذلك السيناريو الذى عجز عن أشعارنا بصعوبة مهمة البطل والمخاوف التى تحيط به، وبعيدا عن التفلسف، فإن المشاهد الذى تتابعت عليه عشرات ومئات المسلسلات أكثرها أجنبى، وأقلها عربى، حول عوالم الجاسوسية والمخابرات أصبح لديه قدر من الخبرة والوعى بذلك البناء الذى يعتمد على الإثارة الشديدة والتشويق وايقاع الترقب حتى يتبنى المشاهد موقف البطل أو يتعاطف.. أو على الأقل يهتم به.. ولم يحدث هذا مع(الثعلب)، وبالتالى فقد جنى المسلسل على ذلك البطل الحقيقى من حيث أراد تكريمه، وجنى على المشاهد من حيث أراد تفهيمه أن ماضى المخابرات شئ، وحاضرها شئ، وجنى على الاثنين عندما فرغ العمل من المشاعر القومية والوجدانية.. فجزء هام من قيمة(الشوان) و(الهجان) هو فى أرتباط الخاص بالعام فى حياه ابطالهما، وأرتباط البطولة بالمشاعر الوطنية والقومية للمواطن العادى، وإلا أصبح هذا العمل أو ذاك مجرد عمل بوليسى مثير. لكن(الثعلب) يفصل بين البطولة ومشاعر الناس، ويعتبر البطولة حقاً خالصاً منسوباً للرئيس وحده وزمره من الضباط الذين يتعاملون بسرية تامة، وكأنهم مضطرون، أمام الكاميرا. وهو بذلك يحصر البطولة فى (الصفوة) ويبعدها عن المواطن العادى الذى ظهر فى مشهد واحد- وثائقى- فى الحلقة الاولى، من خلال مظاهرات طلبة الجامعات مطالبين بالحرب بعد الهزيمة وأنتهاء مرحلة (الضباب)، ولقد كان هذا المشهد مفاجأة حقيقية بقوته البالغة ورصده للرغبة الشعبية الجارفة فى تخطى الهزيمة وكيف قابلت قوات الامن المركزى هذه الرغبة بالهراوات.. ومن ثم كان المفترض أنه عندما يتعدل الموقف، من خلال مسيرة المسلسل، أن يعود بعض الفضل لهؤلاء الطلاب، أو للناس العاديين الذين عبروا عن مشاعرهم فى ذلك المشهد، لكن المسلسل جعل من لقطة المظاهرات سبباً لابراز بطولة الرئيس وحده، ولذلك أوقف الكاميرا فى لقطته الأخيرة عند الرئيس والشرائط والقرار ونسى أن الناس هم الذين طالبوا بالحرب، وهم الذين عبروا وصنعوا النصر.





خطيئة واحدة لاتكفى!

تعقيبا على رأى الأستاذ **اسحق روحى** فى آخر الأعمال الفنية للمطرب النوبى **محمد منير**، والذى نشر فى باب يمين × شمال عدد مارس ١٩٩٣ بعنوان الحرية الجديدة، أود أن أوضح أن محمد منير فى رأيى وفى رأى شريحة كبيرة من المثقفين هو أكثر فنان مصرى يحترم فنه ويقدس كلمته ويتعامل مع عقلية الانسان وضميره بصدق ولايشاركه فى ذلك سوى المطرب على الحجار ، ومحمد منير هو ضمير الغناء العربى، فهو حدوتة مصرية، وشجر الليمون وشمس المغيب والملك هو الملك وعقد الفل والياسمين واتكلمى، ويكفيه فخرا شعبيته الجارفة فى أوروبا رغم التجاهل المتعمد له ولفنه من جانب الاعلام المصرى. أما شريطه الأخير (الطول- اللون- الحرية) وأنا لا أختلف مع الأستاذ اسحق أنه أصابنى بصدمة شديدة ولكن لايكن أن يكون ايذانا بادانة محمد منير بالردة إلى أغانى التغييب لدرجة أن الأستاذ اسحق يسقط أن صورة تمثال الحرية التى وضعت خلف غلاف شريطه تعنى انبهار منير بالرأسمالية الأمريكية، وهذه ادانة شديدة الإجحاف، لمن قدم أغنية ملك الشحاتين التى ترفض بشدة الأمبريالية الغربية والأمريكية، ويدعو فيها العرب الى تفهمها والتصدى لها . أن شريط (الطول- اللون- الحرية

هو ثالث شريط لمنير مع شركة صوت أمريكا ، وعلى حد علمى فصاحبها مصرى ويحترم عمله وعقلية مستمعى الشرائط التى ينتجها بشكل كبير، وربما يرجع تدنى مستوى هذا الشريط إلى فقد محمد منير للشاعر الخالد عبد الرحيم منصور والملحن المبدع أحمد منيب، وكانوا يمثلون معا فريق عمل راقى الفكر والأحاسيس.

وأرى أن منير يمكن أن يكفر عن هذه الخطيئة عن طريق الالتحام بالشارع بأغانية الوطنية والانسانية السابقة من خلال حفلات مجانية لتسرى فى دماء الكادحين روح النضال والتحرر والتمرد ضد الظلم وضد استغلال الانسان لأخية الانسان.

أشرف عطيه السيد

رئيس رابطة المطرب محمد منير المؤسسة عام ١٩٨٥ ومساندته لنا، وعنوانها:

ميت غمر- ص.ب ٢٧

محمد منير



خيبة غزواتنا الجنوبية!

يبدو أن العالم النامى وقد تراجع بالانتظام فى المعركة الحضارية قد انكفأ على وجهه ليحارب معركة من إبداعه ومن أحلام اليقظة واخترع انتصارات وهميه احتفل بها برفع أعلامه وعزف الحانه الزرقاء.. انها معركة (الجنس) يحاول بها الأشاوس من رجال العالم الثالث اثبات رجولتهم على نساء العالم الثالث بعد أن تراجعت عقولهم أمام عقول اعلنت انتصارها الحاسم فى الابداع الحضارى!!

فلا بأس من أن نجعل نساءنا (حصوننا) وراء أسوار التقاليد البالية حتى يكون هناك غزو وانتصار.. ولابأس من أن نزف (الأسرى) فى مواكب أشبه بمواكب العصور الوسطى باطلاق النار ونفير الحرب فى صخب وأهازيج لأن (العجل) قرر أن يهد (المصطبة)!!

وقد تأملت طويلا فى مقولة أحد الرجال الأبطال وهو يتكلم جادا عن أنه لولا (أرخص ليالى) لقضى عليه الأحباط مما يحدث حوله من أزمات وفساد وتهاوى تكافؤ الفرص فى كل مجال!

هذا فى ميدان المعارك الشرعيه!

أما عن ميادين الغزو الأخرى فهى فى كل ركن مظلم أو طريق بعيد حيث يهجم الفدائيون على (انثى) عزلاء عند عودتها من زيارة لمريض أو فى طريقها الى درس خصوصى.. ويمارس الفدائيون وسائل التطويق والغزو حسب خطة أو دون خطة ليرفعوا رايات النصر حتى أعواد المشانق!!

ويستمر (القرب) فى غزو

على الحجار



الفضاء.. ويوغل (الشرق) في غزو مزعوم في عالم أحلام اليقظة والدخان الأزرق حتى يلجأ الى كهوف الماضي وأدغال الحيوانات المفترسة حيث تمارس الفداء والجنس والضياع!

ونتآكل في أرض الخيبة التي نراها بعيون غائمة.. انها أرض المعركة وماهي بمعركة انما هي جريمة انتحار نحن فيها القاتل والقتيل والسكين!

زغلول توفيق
بني سويف

هموم جيل

كنت أود أن يلحق جيلي بجيل المد القومي والثوري والأحلام العربية والآمال الكبار. أو أن نكون امتدادا له نضحي بأغلى مانملك من أجل قضايانا وأهدافنا الوطنية تحت راية عربية مرفوعة.. ولكن قدر لنا أن نأتي في زمن لم يحسن استقبالنا، زمن مزق مايربطنا بجيل الثورات الوطنية ، وكأننا خرجنا الى الحياة كنبت شيطاني. زمن لم نحببه ويبادلنا هو نفس الشعور. زمن لفظنا وتركنا عرايا وجعلنا خارج التاريخ. ياإخوتي نحن جيل أتى للدنيا مفتقد الهوية ولايعرف مصيره والى أي الثقافات يتبع وعلى نهج أي موروث يسير، جيل لايعرف في هذا الزمن من هو عدوه ، وأي الجبهات يحارب، وهل عدونا هوما تحدث عنه مؤلف ليالي الحلمية ، أي الفساد والمفسدين في الأرض؟ أم مايقال عنه تطرف وارهاب ؟ أم من يتسببون ويمهدون الأرض لهذا الأرهاب بفسادهم؟ أم عدونا هو المحرك الأساسي لضياعنا ولفقدنا الانتماء وحب الوطن وكل حبة رمل عربية.. أي صديقنا المحب لنا عدو الأمس وجارنا الجديد؟! أم عدونا الاستعمار بأشكاله ووجوهه القبيحة الشرسة، مصاص الدماء قديما كان أو حديثا؟ أم الضعف الاقتصادي المفروض علينا من قبل مخطط عالمي؟ نحن جيل ضائع يفتقد العدل والحرية والحق والحب والصدق والأمان وكل معنى جميل في الحياة. جيل يعيش في ظلام لايبدو له نهاية ويفتقد مجرد الحلم والأمل في الخلاص. وصارت الحرية في زماننا هبة وعطية من السلطان صدر بها مرسوم ملكي وتقتصر على العواء والنباح والنقيق، حرية مخاطبة الصخور والجبال وأديم الأرض ولامجيب.

ياإخوتي أخبرونا: ماذا نفعل؟ والى أين نحن سائرون؟

سهد عبد الراضي عبد الرحيم
أسيوط- القوصية- بوق



أسامة أنور عكاشة



..يمين في شمال:

رغم مرارة الواقع وهي أشد قسوة من مرارة الكلمات، فان الأمل لايزال قائما طالما ظلت لدى المصريين القدرة على المواجهة ولو بالكلمة في البداية.. ولن يصعب على شعب مصر الذي انتصر على العديد من المستعمرين والطغاة من كل ملة ونوع أن يخرج من هذه الكبوة ليصنع مستقبلا مشرقا.. ولانملك الا أن نهدي لجيلك أبياتا للشاعر أحمد فؤاد نجم:

دور ياكلام على كيفك دور
خلي بلدنا تعوم في النور
ارمي الكلمة في بطن الضلمة
تحبل سالمة وتولد نور
تكشف عيبنا.. وتلهلبنا
لسعة في لسعة نهب نثور
دور ياكلام

٥ مايو القادم إضراب.. دقيقة واحدة

في هذه المرحلة الحرجة التي تباع فيها كل جهود العمال ببيع مصانعنا في المزاد العلني، علينا نحن عمال مصر أن نجعل من عيد أول مايو عيدا للنضال. وأقترح أن يقف عمال مصر في مصانعهم دقيقة واحدة يوم ٥ مايو ، أي بعد خمسة أيام من صدور هذا العدد ، وذلك في الساعة الواحدة ظهرا، احتجاجا على بيع المصانع، أي نوحد صفوفنا ونجعل من مايو شهرا لنضال الطبقة العاملة المصرية

حسين حسن محمد
«شهلوف»

حسنات البشير- الترابي!!

تحية يسارية وبعد..

أحييكم على صحيفتكم التي تحمل أسما عزيزا لأنه التيار التقدمي الذي يضخ دماء نقية في هذا الزمن الردئ. قرأت مقالاتكم «جنرالات الخرطوم في قفص الاتهام» وأنا أعترف أن النظام السوداني عسكري يميني متحالف مع القوى الأصولية، وأنا ضده منذ قدومه في ٣٠ حزيران ١٩٨٩، لأنه جاء بحجة فشل الديمقراطية الليبرالية وأنا أؤكد أنها الحل الوحيد لخلاص السودان لأنها ليست من صنع شبه الأقطاع والشرائح الطفيلية والمضاربين والأحزاب الطائفية وانما من صنع القوى التقدمية والقوى الحديثة المناضلة: ولكن للنظام السوداني الكثير من المواقف المشرفة مع العراق الباسل قيادة وشعبا، وكان بامكانه أن يرضي أنظمة الخليج ويحصل بذلك على مساعدات اقتصادية ضخمة ، بينما كانت البرجوازية الكبيرة التابعة في بلادكم تخضع لها. وهو من حقه استرداد حلايب لأنها للشعب السوداني. وعلى الصعيد

الداخلي حقق النظام السوداني التنمية وقضى على المافيا التي كانت تفتك بجسده، ومن رموزها مبارك الفاضل والشيخ حسن الترابي وتجار العملة. صحيح أن النظام السوداني ليس

البشير



حسن الترابي



عادلا وغير ديمقراطى ، ولكن هذا لايجعلنا ننسى حسناته التى بسببها تهاجمه أجهزة الاعلام الرجعية والامبريالية كأنه النظام الأوتوقراطى الوحيد

ل. ر. الأردن

◆◆◆

..يمين فى شمال:

* الصديق ل.ر. نأمل أن تصلنا رسالتك القادمة حتى ولو اختلفت معنا تماما موقعة باسمك، فهو تقليد لكتاب اليسار ومحررى يمين × شمال.

* جاءت رسالتك مليئة بالأحكام والمقارنات بين النظم دون استناد الى أدلة ووقائع فيما يخص قضيتى حلايب والتنمية فى السودان، وبدأت مهاجما نظام البشير الترابى وانتهيت مدافعا عنه وهذا رأيك لكننا نقترح عليك مقالات د. حيدر ابراهيم فى «اليسار» حول أوضاع السودان لاعادة قراءة مافيها من حقائق، فقد يكون لك رأى آخر بعدها..

عفوا.. وشكرا

وصائلك

** شكرا للصديق مصطفى عباس فهمى على تبرعه المالى للمجلة.

موسوعة جينز للمكيفات: الكوكايين السياسى

يصنع محليا كمخدر موسمى وهو (الكيف) الوحيد الذى لانستورده نظرا لتوافر المادة الخام والصنايعية لدينا والحمد لله. فقط يشترط على منتجه أن يكون مصرى الجنسية وأن يجيد لغة الحرافيش والصعاليك وأولاد الايه إجادة تامه تحدثا وكتابه وتمثيلا مع الإلمام بالمفردات والمصطلحات الضخمة ذات البريق الديمقراطى التى تشنف الأذن وتثلج القلوب و تشرح الصدور ويبعث صداها على الأنشكاح والفرفشة وغيبوبة الفكر والتحليق فى دنيا الهبل اللانهائية مع سريان شعور لذيذ بالسلطنه والسعادة من شدة حلاوة الواقع والدعاء بدوامه فى البيوت والطرقات والمواخير. ويقتصر صنع الكوكايين السياسى على اصحاب الكراسى العاليه والمواقع المركزية ذات الكلمه والكرباج والقانون وليس على بقيه خلق الله من الحرافيش المهمشين. فهم المبدعون والمنتجون والمروجون فى نفس واحد لذا تجدهم يحتكرون الصنف فى السوق كله. وقد طرح حديثا فى الأسواق المصرية عدة أصناف فائقة الجودة وهى (شمة ديمقراطية للنقابات المهنية) و(سطر البيان لحكومة التوهان) و(بودرة الشطار بخفض الأسعار) و(التذكرة الأرمينية لمزاج الداخلية) و(هلوسة المصاطب فى رفع الرواتب) أما حكاية تصنيع تلك الأصناف فأنها وبحق تستحق أن تسجل بحروف من نور فى موسوعة (جينز للمكيفات الجماهيرية) نظرا لما أستغرقته من جهد ووقت واجتماعات ومناقشات على أعلى رأس حتى تخرج إلى النور فى أطهر ثوب وأزهى صورة وأقوى تأثير وأبلغ بيان ولامانع من حقنها ببعض مأثورات الخطب السلطانية واحاديث الصائم وقد صدقت كل التوقعات والأستقراءات الخاصة بتأثير تلك الأصناف الحديثة على الحرافيش والدهماء فى تلك الأونه لما كان لها من وقع السحر على عقولهم وقلوبهم وجوارحهم الساكن منها والمتحرك. ومن خلال التصفيق والتهليل والتأييد والمساندة ومن خلال كتائب الأعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة نستطيع أن نتبين أنه قد تعاطى تلك الأصناف مالايقل عن ٥٠ مليون زبون!

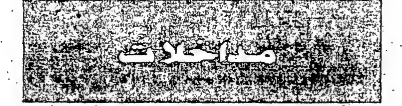
خالد عبدالرؤف

الى عمال مصر والعالم
كل عام وأنتم بخير

للمستضعفين فى الأرض وفى القلب منهم الطبقة العاملة تواصل «اليسار» الصدور فى ظروف تزداد صعوبة. ولهم تكون كلمتنا فى أول مايو بطاقة المعايدة. وفى مثل هذا اليوم منذ مائة وسبعة أعوام ناضل عمال شيكاغو ومعهم عمال العالم من أجل شعار ٨ ساعات عمل- ٨ ساعات راحة- ٨ ساعات نوم. واليوم ترتد ظروف عمال مصر الى أسوأ مما كان عام ١٨٨٦ (قبل ١٠٧ عاما) فيعمل معظمهم حوالى ١٤-١٦ ساعة يوميا ليواجهوا أعباء المعيشة المتزايدة عليهم وعلى أسرهم، ولا يأمنون على غيرهم وعلى مستقبل أولادهم فهم مهددون يوما بعد آخر بالالتحاق بجيش العاطلين، وبانخفاض أجورهم الحقيقية أمام جنون السوق وآلياته المنفلتة، وبعودة السخرة مرة أخرى ببيع مصانعهم وشركاتهم للأجانب ولاكثر شرائح الرأسمالية المصرية فسادا.

وفى عيدكم الذى ماعاد عيدا.. لانملك الا أن تكون تهنئتنا لكم كلمة صادقة وأمل فى قدرتكم ، ونحن معكم فى صنع مستقبل ترتفع فيه رايات العدل والحرية..

يمين ×شمال



مداخلات

نرفض الحوار مع الأصوليين:

التحالف المشبوه

بين الحركات الاسلامية والصهيونية

صلاح المصرى

اليوم، ثلاثة عشر عاما بعد ثورة الشعب الإيرانى المجيدة على حكم الشاه الطاغية وضد النفوذ الأمريكى، من حقنا أن نتساءل إذا ما كان الحكم الظلامى الذى يخنق إيران، هذا البلد المسكين ويسحق كل قواه الديمقراطية والتقدمية بالقتل والتعذيب والنفى فى غياهب السجون ويطفئ أى بصيص من أمل فى تحقيق الحرية والديمقراطيةللجماهير فى المستقبل المنظور قد وفر ظروفا أفضل لمواصلة الشعب الإيرانى نضاله من أجل التقدم والعدل الاجتماعى أم وضع عقبات جديدة تجهض هذا النضال لمرحلة تاريخية كاملة يصعب اليوم تقديرها.

إن هذه الصورة القاتمة يجب أن تكون دائما فى أذهاننا ونحن اليساريين والديمقراطيين نتحاور حول «الحوار» مع الأصولين.

ثم إن الدعوة **للحوار والتحالف** مع الاسلام السياسى ليست بجديدة فى صفوف اليسار بل هى قديمة قدم الحركة اليسارية المصرية التى ازدهرت بعد الحرب العالمية الثانية. إننا نذكر بمحاولة التحالف بين فريق من اليسار والاخوان المسلمين فى **لجنة الطلبة والعمال** عام١٩٤٦ والتى اجهضتها خيانة الاخوان وانقلابهم المفاجئ وتأييدهم **لاسماعيل صدقى** حليف الانجليز وعميلهم. كما أننا لاننسى دعوة ح.ش.م. (الراية) للجبهة الثلاثية مع الاخوان المسلمين وحزب أحمد حسين ذى الاتجاهات الفاشية **ضد الوفد** ثم **ضد عهد الناصر**. هذا الاتجاه إذا ليس بجديد كما يقول البعض، تدعو إليه ظروف جديدة ناتجة عن اختفاء المعسكر الاشتراكى أو عن تغير فى موقف الاخوان من الامبريالية والصهيونية بل هو متأصل لدى أجزاء من اليسار فى فهم معين لماهية حركة الأخوان المسلمين السياسية.

ويساعد على بروز هذا الاتجاه اتساع نفوذ هذا الفكر بين الجماهير مما يساعد على البلبلة الفكرية داخل اليسار إذ فى نظر البعض كل حركة جماهيرية تستحق محاولة التحالف معها وهؤلاء يتناسون أن الحركات الفاشية تتمتع فى أحيان كثيرة بجماهيرية واسعة.

هؤلاء هم المجرمون

وبعد ذلك ينبغى أن نقول أنه لايمكن أن **يدور حوار تحت التهديد أى بينما يهدد أحد طرفى الحوار الطرف الآخر.** إن اليسار من جانبه يعترف منذ نشأته بحق المتدينين فى التدين بل يضم فى صفوفه العديد منهم. أما موقف التيار السياسى الاسلامى من العلمانية واليسار فكان دائما العداء المطلق. ولايكفى أن يدعى اليوم بعض أعلام التيار السياسى الاسلامى قبولهم للحوار أو التعاون مع العلمانيين واليساريين لكى نصدقهم ونأمن لهم فى الوقت الذى يبثون فى كل لحظة وفى كل وعظة بين جماهيرهم الحقد والكراهية والعلياء بالنسبة لكل من لايخضع لفهمهم الخاص للاسلام. وفى خبرتنا القريبة العاجلة رأينا علما من أعلام الفكر العلمانى، الشهيد الدكتور **فرج فودة** ، يقتل على يدهم بسبب عقيدته ولم نسمع تنديدا جديا من قبل أعلام الفكر الإسلامى لهذه الجريمة الشنعاء، لم نسمع من منابرهم فى المساجد، وهى من المفترض منابر الدين الإسلامى السمح، صوتا صريحا يجرم دون تحفظ هذا الجرم الشنيع الذى ارتكب باسم الإسلام، وذلك بينما يدعون دون هوادة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية بحدودها، كما يفهمونها هم، على شعب بأكمله ، بغض النظر عن رغبة هذا الشعب أو رغبة جزء منه حتى ولو كان هذا الجزء أقلية. لقد أعطانا الشعب التركى جميعا درسا فى الوعى السياسى عندما خرجت الجماهير فى شهر يناير الماضى فى عدة مدن فى تركيا، تندد بمقتل الصحفى التركى **«أغور ممكو»** على يد الأصوليين وهتفت: **«هذه هى شريعتهم! هؤلاء هم المجرمون ! إيران هى المسؤولة!»**

فرج فودة
التطرف يغتال المفكرين



تاريخ التحالفات

إن العلمانية التى نؤمن بها هى الحق المطلق للفرد فى تحديد موقفه الشخصى من العقيدة والدين دون وصى يفرض عليه نوعية هذه العلاقة أو واجباته الدينية. هذه هى الدعوة المتمشية حقيقة مع سماحة الدين الاسلامى والأديان السماوية الأخرى. أما أن نصدق هذا الموقف الجديد تماما من قبل الاسلاميين فذلك جائز فقط يوم تتخذ قياداتهم المواقف العملية التى تتمشى مع هذه الدعوة الجديدة تماما من جانبهم، أى عندما يعلنون هذا الموقف صراحة من المنابر الدينية

المدينة التى يبشون دعوتهم منها، وعندما يدينون صراحة وملء شدقيهم مواقف حكام السودان الأصوليين القاضية على الحرية الدينية والمدنية للشعب السودانى، وعندما يتبرأون علنا من سياسات السعودية وإيران فى هذا المجال بالتحديد أى فى مجال الحرية المطلقة للفرد فى تحديد موقفه من العقيدة. وإلا فهذه مناورة من مناوراتهم المعتادة المتكررة وتقية لإخفاء أهدافهم الحقيقية التي تعود على أمثالها كل من درس تاريخهم وسياساتهم.

ولكن لماذا هذا الموقف الجديد تماما فى بلادنا من قبل الإسلاميين تجاه العلمانية واليسار؟

إن هدف التيار السياسى الاسلامى كان دائما الوصول إلى السلطة بغض النظر عن الوسائل والأساليب التى تستخدم لهذا الغرض ولهذا التقلب الانتهازى الدائم في مواقفهم السياسية دون احترام لأى مبدأ عام سوى السعى اللامبدئى إلى السلطة. تاريخهم فى مصر محفوف بفترات التعاون مع المحتل الإنجليزى أو السكوت على هذا الاحتلال، وبفترات التعاون ثم التحارب مع الحكومات الرجعية العميلة ومع السراى ثم بعد فترة تحالف قصيرة، التآمر المتواصل على النظام الوطنى الناصرى سواء فى داخل البلاد أو بالتعاون مع ألد أعدائه الخارجيين مثل السعودية وحلفائها الأمريكان. وفى المرحلة القريبة لاينسى أحد تعاونهم الكامل مع نظام السادات واستخدامه لهم لضرب اليسار والناصريين حتى انقلبوا عليه بعد أن أشتد ساعدهم هذا فى الداخل، أما فى الخارج فالأمثلة عديدة. فسكوت إسرائيل لمدة طويلة على حركة الأخوان المسلمين فى الأراضى المحتلة واستخدامها طوال هذه المدة لتقسيم صفوف الفلسطينيين وإضعاف نفوذ م.ت.ف. بل وقوفهم ضد الانتفاضة فى أيامها الأولى ورفضهم الانضمام إلى قيادتها حتى اليوم، كل ذلك مشهور، وكذلك سكوت إسرائيل على الإخوان المسلمين فى إسرائيل نفسها بل ومساعدتها لهم كى ينافسوا الحزب الشيوعى الإسرائيلى بين الجماهير العربية فى اسرائيل معروف أيضا، وكذلك لاننسى إمداد إسرائيل إيران الخومينية بالسلاح أثناء الحرب العراقية الإيرانية وتواطؤ أمريكا معهم الذى افتضح فى «الايران جيت».

علينا أيضا أن نذكر الحلف غير المقدس منذ أكثر من اربعة عقود بين الولايات المتحدة الأمريكية والنظام السعودى رأس الرمح الظلامى فى العالم والممول الأساسى للحركات الأصولية في العالم العربي خاصة (مصر، السودان، الجزائر، الخ..) وعامة من باكستان شرقا حتى السنغال فى الغرب الأقصى من أفريقيا. كما لاتنسى دور السعودية فى تمويل الحركات الأصولية الأفغانية ودور جهاز المخابرات المركزية الأمريكى فى تسليحهم بينما أوفد الأصوليون من كل البلاد العربية، بما فيهم مصر، محاربيهم للقتال بهذه الأسلحة ضد النظام الوطنى اليسارى الأفغانى. كما لاتنسى محاولات مد يد التعاون بين النظام الإسلامى السودانى والولايات المتحدة وحماية هذه الأخيرة للاجئين الإرهابيين الإسلاميين وعدم تسليمهم للسلطات المصرية التى تطالب بهم لمحاكمتهم، واستعداد أصوليى الجزائر التعاون مع فرنسا ودفاع الحكومة الفرنسية عنهم وغضبها من العسكريين الذين قاموا بالانقلاب لمنع وصول جبهة الإنقاذ الى السلطة! من كل هذه الأمثلة يتضح تماما أن العداء بين الإمبريالية والصهيونية من جانب والحركات الإسلامية الأصولية من جانب أخر عداء مناسبات خاضع للظروف وليس عداءا مبدئيا اصيلا وهو عداء قابل للانقلاب إلى تعاون وتحالف أو تهادن إذا اقتضت ذلك ضرورات الوصول إلى السلطة.

لتكون الأمور واضحة ينبغى توضيح ماهية القوى الإسلامية السياسية التى نريد التصدى لها ولأفكارها ولأعمالها الظلامية.

القتلة الإلهيون

إنها أولا تلك القوى التى تربعت فى السلطة منذ زمن قريب أو بعيد مثل الحكم فى السعودية ودول الخليج والحكم الاسلامى فى باكستان والقوى المسيطرة حاليا على أفغانستان والنظام الأسود فى إيران والدكتاتورية العسكرية الاسلامية فى السودان. وعندما نشير إلى القوى الظلامية الاسلامية فإننا لانقصد بالطبع القوى الاسلامية المستنيرة التى لانعاديها بل لنا تاريخ فى التعاون معها، إلا أن هذه القوى المستنيرة للأسف الشديد لاتمثل حتى الآن تيارا سياسيا ذا اعتبار مثل مقابلها المسيحى من لاهوت التحرير الذى برز فى أمريكا اللاتينية والذى يدافع بحرارة عن ضرورة العلمانية وفصل السلطة الدينية بصفتها هذه عن السلطة المدنية. إننا نعنى بالقوى الإسلامية الظلامية تلك القوى التى تدعى التحدث باسم الدين وكتاب الله للتدخل فى السياسة وتتخذ الدين ذريعة لفرض تفسيرها الخاص للقرآن الكريم على العباد مهما كانت آراؤهم ورغباتهم وذلك بالمطالبة بتطبيق الشريعة عنوة على الجميع . كيف نقبل بالشريعة كحكم تفسرها جماعة تفسيرها الخاص وتدعى الحكم تعبيرا عن حاكمية الله والشريعة، كما نعلم، قابلة التفسير والاجتهاد بل واجبة التفسير والاجتهاد من كل مؤمن. كيف نقبل بالشريعة كحكم سياسى لجماعة واحدة متحزبة، والتاريخ الاسلامى ذاته يعلمنا أنه منذ الخلفاء الراشدين انقسم الاسلام إلى شيع وأحزاب وفرق متحاربة باسم الدين، لم تتم الغلبة لأى منهم إلا بحد السيف منذ اليوم الأول بعد موت النبى، كما يعلمنا نفس هذا التاريخ أن ثلاثة من الخلفاء الراشدين بين أربعة قتلوا بيد قتلة إدعى كل منهم تنفيذ الإرادة الإلاهية..! الدين الاسلامى فى مفهوم الأصوليين الحالين أى الاخوان المسلمون والجماعات الإسلامية الاخرى تحول إلى دين طقوس وحدود وأفرغ بمفاهيمهم هذه من السماحة والحب والرأفة والمضمون الاجتماعى التى دفعت شعوب بأكملها إلى الإسلام فى صدره الأول. إننا نعنى بالأصوليين الذين نريد التصدى لهم كل القوى الإسلامية السياسية العلنية والسرية التى تلعب دورا ذا مغزى على المسرح السياسى المصرى والعربى . (باستثناء حكم القذافى فى ليبيا الذى يمكن أن يعتبر اقرب شئ فى المجتمع الاسلامى العربى إلى لاهوت التحرير المسيحى).

علاقات «البازار» الكبير

وهنا ينبغى أن نشير إلى العلاقة الوثيقة بين الأصوليين ومؤسسات مالية عربية كبرى فى جميع البلاد الاسلامية. وهذه العلاقات شهيرة فى السودان مثلا. أما فى السعودية فهل يمكن أن يشك أحد أن النظام الملكى الاستبدادى ذا الروابط الوثيقة بالرأسمال المالى العالمى، من بين اسلحته الإرهابية ومن أقوى دعائمه ، جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الأصولية. إيران مثال آخر

لبلاد ارتبط فيها الحكم الأصولى بكبار ملاك الأراضى وكبار الرأسماليين. فبعد الإصلاحات الأولى فى صالح المستضعفين التى تمت فى الأيام الأولى للثورة تحت ضغط الجماهير، انقلب الوضع وأجهضت هذه الإصلاحات ومن بينها الإصلاح الزراعى، كما توثق الارتباط بين كبار رأسمالى «البازار» والقيادة الإسلامية وعلى رأسها الرئيس رفسنجانى.

أما فى مصر فالعلاقات الوطيدة بين الإسلاميين وبعض الرأسماليين الكبار من أمثال عثمان أحمد عثمان وكذلك مع شركات توظيف الأموال والبنوك الاسلامية التى افتضح أمرها ووقعت تحت طائلة القانون فى السنوات الأخيرة فمعروفة للجميع. إن هذه العلاقة الوطيدة بين فئة من الرأسمالية الكبيرة المالية فى الداخل وفى الخارج وبين القيادة السياسية للإخوان فى مصر بالإضافة إلى إيديولوجية الحكم المطلق باسم القرآن وحاكمية الله التى تتبناها هذه القيادة وجماهيرها، تشكل تربة صالحة تماما لاستقرار نظام فاشى إذا مااستولى الظلاميون على السلطة كما هو الوضع حاليا فى السودان وإيران والسعودية.

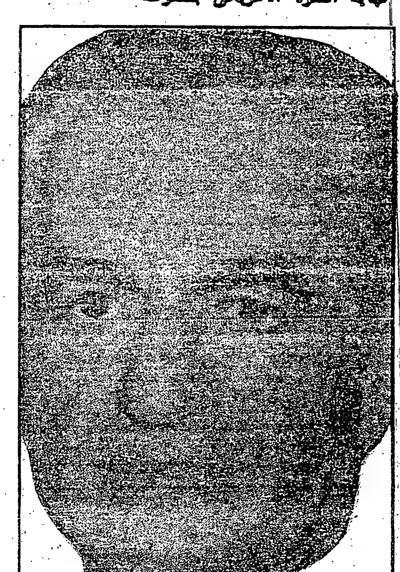
فالدعوة الفاشية قديمة فى العالم العربى وتستند إلى إيديولوجيات مختلفة ولكنها جميعا تشترك فى أنها استبدادية وعنصرية الفكر، تسود على أساس العرق أو الجنس أو الدين شعب على شعب آخر أو فريق على فريق آخر فى شعب واحد. وفى مصر تمثلت فى حركات مختلفة مثل حزب أحمد حسين للقمصان الخضر الذى مجد فى الثلاثينات النظم الفاشية والنازية. أما فى لبنان فتمثلت فى الحزب القومى السورى أيام انطون سعادة الذى كان يتغنى بالجنس السورى المتفوق وبالجمجمة السورية!!! وفى حزب الكتائب للمسيحيين المارونيين المتعصبين الذى اشتهرت جرائمة فى المدة الأخيرة. إن الصفة الأساسية للأيديولوجية الفاشية كما قلنا هى التميز والتفرقة بين فئات الشعب الواحد أو بين الشعوب المختلفة على أساس العرق أو الجنس أو الدين. الجنس الآرى لدى هتـ... وريث الامبراطورية الر... مالى «البازار» والق... شيين الإيطاليين، الأ... رأسها الرئيس رفسنجا... تعصبين من اليهود العـ... ـر فالعلاقات الوطيـ... كل هؤلاء فى نظر اتـ... ض الرأسماليين الكبـ... ودوا الجميع! وهل الغـ... أحمد عثمان وكذا ... ون أو يتعالون على كل من لايدين بلونهم الخاص للإسلام يفعلون شيئا آخر؟

إخلاص الجماهير

عندما نتحدث عن انتهازية سياسة الحركات الاسلامية تجاه الامبريالية والصهيونية فإننا لانمس بذلك شرف الجماهير الغفيرة المضللة بدعايتهم والتى تسير وراءهم قناعة ولكن دون وعى سياسى، ولانمس شجاعة ووطنية مناضليهم الذين يضحون بحياتهم فى سبيل قضية عادلة رغم مايشوب دوافعهم من تعصب (مقاتلة العدو لأنه يهودى لا لأنه صهيونى اغتصب أرضا فلسطينية، مقاتلة الأمريكان لأنهم مسيحيون كافرون صليبيون لا أنهم امبرياليون ومستغلون ومحتلون). إننا إذن لانقلل من قيمة مشاعر وتضحيات مناضليهم وجماهيرهم بل نهاجم نيات وأهداف وانتهازية سياسة القيادة الأصولية وخضوعها للمناسبة وتقلبها بهدف الوصول الى السلطة مهما كانت الوسيلة. وللمقارنة هل يمكن أن يشك أحد فى أن الشباب النازى الذى ضحى بحياته على ساحات الحرب العالمية الثانية فعل ذلك وهو مقتنع بأنه يدافع عن قضية عادلة هى قضية وطنه وشعبه؟ بل أكثر من ذلك هل يمكن أن ينفى أحد أن غالبية من الجنود الصهيونيين الذين يقتلون الأطفال الفلسطينيين والفدائيين الفلسطينيين واللبنانيين، يعتقدون اعتقادا راسخا أن قضية بلادهم عادلة وأن الله قد وهب أرض فلسطين للشعب اليهودى كما جاء فى التوراة التى يؤمنون بها!!! إن مهاجمتنا لسياسة الأصوليين موجهة إذن أولا لقيادتهم المسؤولة رغم تسليمنا باخلاص وتضحيات المناضلين عندما يناضلون فى بعض الظروف ضد العدو المشترك. غير أن الذى يرتكب الجرائم ضد المعارضين مثل جريمة قتل الشهيد فرج فودة فهو هذا الشباب المخلص المضلل بالفكر الظلامى، وليست القيادة الأصولية التى تبث هذا الفكر وتحلله. وكذلك فإنها الجماهير والقواعد المضللة هى نفسها التى استخدمت فى الماضى لإرهاب المعارضين والتى سوف تستخدم فى المستقبل لفرض سياسة الظلاميين.

لاتحالف مع الظلاميين

ويضع بعض حسنى النية من اليساريين شروطا للحوار بهدف التنسيق ثم التحالف سوف نتناولها بالتمحيص فيما بعد. كما يقدمون أمثلة عن أحزاب شيوعية ويسارية متحالفة حاليا أو تنسق عملها السياسى مع قوى دينية ويتهمون من يختلف معهم فى هذا الموقف بالتحجر! وسوف نناقش أيضا موقفهم «غير المتحجر»! ولكن باديء ذى بدء يجب أن استرعى الانتباه إلى أن حسنى النية هؤلاء لكى يثبتوا ويؤكدوا عدم



شاه إيران
نهاية النفوذ الأمريكى بسقوطه



القذافى
أقرب للمجتمع الاسلامى العربى

انحيازهم وسلامة نيتهم فى المناقشة يساوون بين «المتعصبين من الجانبين» الذين يرون فى خصومهم كل الموبقات، ويطالبون الجانبين بالتعقل والسماحة! ولكن للأسف يعلمنا الواقع فى الماضى وفى الحاضر أن القوة والعنف حتى القتل والاغتيال لم يأت إلا من جانب واحد ضد الجانب الآخر. وهذا طبيعى حيث الدين الاسلامى، فى نظر الظلاميين، يحلل ويبيح دم الملحدين والعلمانيين والشيوعيين ودم كثيرين آخرين حسب الظروف والحاجة وعنف مقاومة المقاومين..!!

أما شروط اليساريين حسنى النية للحوار فهى شروط وجيهة وقيمة ولكن لاقيمة لها إذا ما اكتفينا بأن يتم الحوار فى المقابلات بين جدران أربعة أو على صفحات الحوار التى يقرأها عدد محدود من الناس ولاتسمع عنها الجماهير الغفيرة المضللة. **العلنية فى نظرنا هى أن تدافع الزعامات الإسلامية عن الحوار مع العلمانيين والشيوعيين وعن حقهم فى الوجود من أعلى المنابر أمام الجماهير الغفيرة كما ينعقد أمام الجماهير أيضا الموقف المتعصب السابق وتجرم اغتيالات المعارضين لمجرد أنهم عارضوا التعصب بقوة.** إننا لسنا متعنتين ولكن المؤمن لايلدغ من جحر مرتين!

أما فيما يتعلق بالقوى اليسارية والأحزاب الشيوعية التى تقدم لنا كمثال يحتذى لتحالفها وتنسيقها مع القوى الدينية، فعلينا أولا وقبل كل شئ أن نتفحص نوعية هذه القوى الدينية وأقوالها وبرامجها المعلنة خاصة فى البلاد التى تسودها نظم أصولية مثل السعودية ودول الخليج والتى قد تكون فيها القوى الاسلامية بحكم وضعها فى هذه البلاد قد تعلمت معاداة الأصولية الظلامية وأساليبها واقتنعت بضرورة العلمانية. أما فى حالات أخرى فقد رأينا أن بعض هذه القوى اليسارية والشيوعية التى تقدم لنا كمثال للحكمة السياسية بسبب تحالفها وتنسيقها مع القوى الأصولية، فرغم اقتناعنا بسلامة نيتها، فإنها لم تتميز فى الماضى بحكمة كبيرة فى تقديراتها السياسية السابقة وخاصة فى تحالفاتها، ويكفى كمثال أن نذكر **بموقفها من نظام صدام حسين** الدموى سواء منذ سنوات طويلة أو فى المدة الأخيرة!!! وأهم من هذا كله ما هى هذه الحجة التى تقدم وتجربة التحالف بين الاسلاميين واليساريين العلمانيين لم تأت بثمارها النهائية



رافسنجانى

نادى كبار الرأسماليين

بعد، بينما هناك ثمار قد أينعت فى تجارب أخرى وقطفت فيها الرؤوس مثل ماحدث فى **إيران والسودان وأفغانستان!** إننا نرى مايحدث فى السودان حاليا كما رأينا ماحدث فى إيران حيث **سحق الحكم الظلامى حلفاء الماضى من مجاهدى الشعب الاسلاميين وفدائيى الشعب الماركسيين وشيوعيى حزب تودة الذين وقعوا فى فخ التحالف مع القوى الظلامية والذين لم يتعلم من تجربتهم حتى الآن يساريونا حسنو النية!**

معركة التنوير

إننا اذن نشترط أن يتبرأ إسلاميونا فى مصر من جرائم النظم الإسلامية فى الخارج ضد الديموقراطيين واليساريين لا أن يمدحوا هذه النظم ويتغنوا بها ويقدموها كمثال يحتذى! إن فعلوا كل هذا اقتنعنا بالكلام المعسول عن رغبتهم الحقيقية فى الحوار والتعاون مع اليساريين والعلمانيين ومع كل من لايتفق فى الرأى معهم. إن فعلوا ذلك وهنا اتوجه فى كلامى إلى يسارينا حسنى النية، أقول إن فعلوا كل ذلك فقد تحولوا فى نظرنا إلى **إسلاميين متنورين** نسعى بكل قوة للتعاون معهم وأصبحوا **حقا التيار الاسلامى الثورى** المقابل فى البلدان الاسلامية **للاهوت التحرير المسيحى** المعادى للإمبريالية فى أمريكا اللاتينية والذى لايوجد حاليا مقابل له فى مصر إلا ممثلا فى بعض الشخصيات الإسلامية المتنورة التى ليس لها نفوذ يذكر بين الجماهير لأسفنا الشديد.

وأخيرا فى الوقت الذى فيه احتمالات الثورة الاشتراكية قد اصبحت بعيدة بعدا غير منظور تاريخيا فى بلادنا وفى العالم الثالث وحتى فى البلاد الرأسمالية المتقدمة ذاتها وحيث يحتاج الأمر إلى مرحلة تاريخية جديدة تتبلور فيها التناقضات وتتفاقم حتى يصبح الحل الاشتراكى هو المنفذ الأوحد والحتمى للخروج من الأزمة، فى الوقت الذى نحتاج فيه إلى سياسة جديدة طويلة الأمد تساعد مجتمعنا على إنجاز ثورة اجتماعية شاملة قوامها **التنوير العلمى والثقافى وتدعيم المؤسسات المدنية وفرض شامل لحقوق الانسان بأحدث مفاهيمها السياسية والاجتماعية** تحضيرا لثورة اشتراكية بعيدة المنال حاليا، تصبح الظلامية المتمثلة فى بلادنا بالأصولية الإسلامية وبحركات التعصب المسيحية المقابلة والتى تقوم على مبادئ نفى المساواة الكاملة المطلقة بين الجميع، أى **الاقباط والمسلمين وبين النساء والرجال وبين المتدينين وغير المتدينين** والتى لايمكن ارساؤها فى المجتمع إلا بموافقة الجميع على العلمانية **تصبح إذن الظلامية هى العدو المباشر** الجاثم على مستقبل شعبنا المهدد لكيانه ووحدته والذى يشل بأساليب التعصب والتفرقة بين المواطنين تحرك الشعب بجميع فئاته ضد مستغليه وظالميه من الداخل والخارج. ولذا **تصبح مهمتنا اليوم تجميع كل القوى الوطنية الحليفة تكتيكيا أو استراتيجيا للعمل على إرساء التنوير والعلمانية والديمقراطية فى مجتمعنا المصرى وتحويله إلى مجتمع معاصر ينبذ الظلامية وتخلف العصور الوسطى** الأيديولوجى. **هذا هو واجبنا كتقدميين واشتراكيين فى ظروفنا الراهنة.**

مرة أخرى

مع من؟.. ضد من؟!

أحمد طاهر

ستظل قضية التحالفات السياسية هى جوهر الخلاف بين فصائل اليسار المصرى، كما كانت منذ زمن طويل.. ولنا أن نتذكر الإختلاف حول الموقف من البرجوازية الوطنية إبان ثورة ١٩١٩ وموقف الكومنترن الناقد لذلك.. ثم الخلاف الدامى حول الموقف من سلطة يوليو ١٩٥٢، والتى تبادلت فيها فصائل اليسار الماركسى لعبة الكراسى الموسيقية فى تأييدهم للنظام لفترة ثم معارضتهم له لفترة أخرى.. ثم تعاون بعض رموز اليسار مع السادات فى أول حكمه ودخولهم الوزارة معه.. ثم حديثا إختلاف اليسار حول الموقف من نظام مبارك إعتبارا من أكتوبر ١٩٨١، وماأدى إليه من شقاق وانشقاق داخل الصفوف بين من كانوا يرون أن التغيير فى مؤسسة الرئاسة بما لها من ثقل وتميز يعنى أن هناك تغييرا فى طبيعة النظام ومن رأوا أن مؤسسة الرئاسة ما هى إلا رأس حربة لطبقة حاكمه لاتتغير توجهاتها بإختلاف ممثليها فى مؤسسة الحكم وإن أختلفت طرق الحكم.

وهذه الإختلافات القديمة والحديثة والمتجددة دوما حول نفس الموضوع وبذات جوهر الخلاف تقريبا تعكس خللا دائما فى النظر لعملية التحالفات السياسية بوجهيها: الوحدة والصراع. فجوهر الخلل أنه فى كل مرحلة تنفى الوحدة مع النظام أو غيره من القوى السياسية جانب الصراع فى التحالف، أو يلغى الصراع. إذا تغلب جانبه- نقاط الإتفاق السياسى. وربما هذا الخلل مرتبط بطريقة تفكيرنا الشرقية شبه البدائية.. فإدراك الأشياء بنقائضها فى ذات اللحظة عملية مركبة تحتاج لتراكم فى الوعى والثقافة لاتتوافر إلا للشعوب التى خاضت تجارب سياسية ديمقراطية على مدى واسع وعميق. ففى الديمقراطيات السياسية فى الغرب مثلا نجد أنه رغم نطاق الحريات الواسعة التى تتمتع بها المعارضة وعدم وجود قيود على أى تيار سياسى هناك، إلا أن الوسط السياسى يتمتع بثبات نسبى فى حجم وتأثير القوى السياسية بعضها البعض وبالنظام الحاكم، حيث تدرك كل قوى سياسية بوعى حجمها الحقيقى والمدى والدرجة التى تقربها وتبعدها فى ذات اللحظة عن الحزب الحاكم والأحزاب الأخرى.

أنور السادات



ويعاد فى تلك الأيام، بخصوص موقف اليسار المصرى من مايسمى بالإرهاب، نفس السؤال القديم الجديد.. مع من؟ ضد من؟!

مع الحكومة ضد الارهاب، أم مع الإرهاب ضد الحكومة أم ضد الحكومة والإرهاب معا ومع من القوى السياسية نقف؟! وأيها نعارض؟!

أسئلة تبدو للوهلة الأولى كأنها أسئلة تراجيدية ومأساوية ليس لها من إجابة، تلف بنا وتدور وتوقع اليسار بفصائله فى حرج وحوار طويل بدون مخرج، وتظهر بينها الخلافات وتهدر الطاقات المفروض أن تتوحد.

فقر.. وديكتاتورية

ونقطة البدء فى حوارنا هذا أن نقرر أن الإرهاب ظاهرة إجتماعية، أى لها أسبابها ومسبباتها المحددة التى حين تتوافر تؤدى لظهورها وإستدعائها، وليست ظاهرة سلوكية لمجموعة من الأفراد، أو نتاج فهم جماعى خاطئ لبعض قضايا الدين الإسلامى أو نتاج لأيدى خارجية تعبث فى شئوننا الداخلية وتحركها. وأنه لايمكن فهم أو فصل ظاهرة الإرهاب أو غيرها من الظواهر الإجتماعية بدون فهم التطور الإجتماعى فى المجتمع المصرى فى الأربعين عاما الأخيرة. إبتداء من سلطة يوليو ١٩٥٢ وموقفها المعادى للديمقراطية لكل القوى السياسية على السواء. ومرورا بصدامات الأخوان والشيوعيين بالسلطة الناصرية أعوام ١٩٥٤، ١٩٥٦، ١٩٥٩، ١٩٦٤. ووقوفا عند صدمة النكسة عام ١٩٦٧ وماكشفت عنه من زيف شديد وردود الأفعال الشعبية والسياسية حولها.. ثم ممارسات السلطة على مختلف الأصعدة منذ ذلك الحين والتى بدت فى إستدعاء الموروث الدينى الشعبى كمنفث لطاقة السخط والغضب لدى المواطنين بعد النكسة. ثم بدأت مرحلة أكثر وضوحا فى التوجه بمجئ السادات الذى عقد تحالفا مع الاخوان المسلمين لضرب الخط الوطنى والتقدمى فى الشارع المصرى وسمح لهم بالتواجد الإعلامى والثقافى وأضفى على الحكم صبغة دينية إسلامية مزيفة مما أدى لظهور بوادر الفتنة الطائفية. ورغم خروج التيار الإسلامى عن الدور المرسوم له كسند

للنظام، وطمعهم فى الحكم وتدبير إغتيال السادات مما أدى للصدام الأمنى الدامى معهم من جانب السلطة والذى مازال مستمرا ومستعرا حتى الأن فى منافسة على السلطة تستشعر السلطة الحاكمة خطرها الحقيقى.

واليسار اليوم وهو يحاول أخذ الموقف السياسى الصحيح من ظاهرة الإرهاب لايجب أن ينظر لتلك الظاهرة نظرة أحادية الجانب ، لاتهون من خطر الإرهاب الحالى او تقلل من شأنه أو تختلف مع أحد فى ضرورة ووجوب مواجهته بكل الوسائل. **وأول تلك الوسائل هو الوقوف ضد السلطة القائمة بوصفها المصدر الأساسى ومبعث نشأة الإرهاب بممارساتها المنافية للديمقراطية وحقوق الإنسان وكبت المعارضة السياسية ومنع القوى السياسية من إنشاء أحزابها ووقف تكوين الجمعيات وإصدار الصحف إلى آخر سياسة القمع والكبت** التى إتحدت على إتباعها ثلاثة عهود كما أن طبيعة السلطة القائمة كنظام إقتصادى عميل وتابع ، تدار فيه السياسة الإقتصادية لمصلحة الرأسمال الدولى وليس لمصلحة التنمية الإقتصادية الوطنية المستقلة، ويتحكم فى أقداره طبقة وكلاء وسماسرة الإحتكارات الأقتصادية العالمية والمؤسسات متعدية الجنسية لابد أن يؤدى هذا النظام فى دورانه الى الإفقار والمزيد من الإفقار لمجمل الطبقات الشعبية، ويزيد من عدد العاطلين والمهمشين والمحبطين فى المجتمع، مما يخلق بيئة نموذجية لتربية وتنشأة الإرهاب وتغذية مفاهيمه.

هذا بالإضافة لمايؤدى إليه الفقر والديكتاتورية من خلل إجتماعى حاد فى القيم والعادات الإجتماعية، وتحول المجتمع لمجتمع إستهلاكى يعيش على الإقتصاد الطفيلى ، فريسة لإعلانات الدعاية الرخيصة مما يؤدى لإهدار قيم الثقافة والفن الجيد الأمر الذى يسبب لدى الشباب خاصة أزمة روحية ونفسية حاده.

ضد الفساد والإرهاب معا

إن المواجهة الصادقة والجادة للإرهاب والعنف تكون بمحاولة نزع الفتيل المحرك للأحداث. ومواجهة الإرهاب كظاهرة أمنية والرضا بالوقوف فى صف واحد مع السلطة تحت دعاوى مواجهة الإرهاب، لاتجد أى مصداقية فى الواقع ويرفضها المواطن البسيط بحسه الطبيعى الذى يدرك أن سياسات النظام هى أس البلاء ومصدره. وذلك مايفسر هذا التعاطف الشعبى الخفى للتيار الإسلامى بوصفه المعارض الحقيقى للنظام الآن.

ولسنا فى حاجة للتأكيد على أننا ضد العنف السياسى بكل صورة وضد محاولة فرض أى تيار سياسى لآرائه بالقوة ومنع الآخرين من الوجود تحت أية دعاوى دينية أو فكرية، ومع حق كل القوى السياسية فى الوجود السلمى والعلنى وأن نحتكم لصناديق الإقتراع الحر فى تداول السلطة، وضد فكرة الدولة الدينية المنافية لحقوق الإنسان والتى تؤدى لديكتاتورية بشعه تحت شعارات ذات بريق إسلامى.

ولكن مواجهتنا لهذا التيار الداعى للعنف وفضح دعاويه الباطلة وإعلاء قيم العقل والإستنارة والديمقراطية فى المجتمع يجب أن **يقترن فى نفس الوقت بفضح دور السلطة ومسئوليتها السياسية والإقتصادية والإجتماعية فى إستمرار وتصعيد الأزمة الأجتماعية العامة والتى يعد الإرهاب أحد صورها.**

وحتى لانكون فى موقف من يصدر أحكاما ثابته على أحد فلنربط **تنسيق مواقفنا أو إتخاذ إجراءات موحده مع الحكومة ضد الإرهاب، بظهور مؤشرات عملية وحقيقية وجادة على إستعداد السلطة للتغيير فى بعض مواقفها تجاه المعارضة وتجاه إعطاء المزيد من الحريات السياسية للشعب ومواجهة الفساد بحسم**.إن السلطة مدعوه لإثبات صدق نيتها فى مقاومة الإرهاب، وفى تعاونها مع قوى المعارضة كذلك.

إننا نقبل أن نقف بجوار السلطة وليس وراءها وكذلك مع أى قوى سياسية أخرى بشروطنا وبدون تنازلات مع التمسك بحقنا فى نقد سياسات الحكومة ومواجهتها بأخطائها.

إن هذه السياسة المزدوجة والتى تعكس الوحده والصراع مع السلطة فى التعامل مع ظاهرة الإرهاب هى الطريق الوحيد المناسب لمواجهة تلك الظاهرة دون أن يطغى وجه من أوجه الصراع على الوجه الآخر. وحتى لايفتقد اليسار باقى مصداقيته عند الشعب بتحالفه مع السلطة والرضا مره أخرى بالوقوف وراءها مكتفيا بأسلوب الفرجة والتأييد.



د. رءوف سلامة موسى

لاأستطيع أن أنكر ، بعد العرض الوافى الذى عرضت به الأستاذة **فريدة النقاش** كتابى **«سلامة موسى.. أبى»** أنها قد قرأت الكتاب قراءة واعية ومتعاطفة. ومع ذلك، أجدها تختم سطورها الكريمة بكلمة «ولكن» مرددة انتقادات للدكتورة **عفاف لطفى السيد والأستاذ عبد الله العروى والدكتور رفعت السعيد.** مما أصابنى بالأسى واليأس. فهل ياترى أخفقت ، بعد ٢٥٠ صفحة كبيرة من هذا الكتاب، فى بسط أفكارى والرد على كل الآراء والأنتقادات التى أردت الرد عليها باصداره.

أسمحوا لى أن آخذ سطورا قليلة من **«اليسار»**. وأن أعرض فى «كلمة ونصف» بعض ما عجزت عن عرضه على صفحات الكتاب.

أولا- ان **سلامة موسى** حين يدعو لتمجيد أجدادنا الفراعنة ، لايفكر فى استعادة حضارتهم، أو مجاراتهم فى نظمهم، أو أخذ عاداتهم، أو لبس ملابسهم، وانما هو يجد أن هؤلاء الأجداد العظام قد أرسوا أسس

حضارة ناجحة، ربما كانت أولى حضارات العالم. وقد امتدت شرقا وغربا وربما بلغت ايرلندا والمكسيك. فمن واجبنا أن ندرسهم لأنهم بناة احدى حضارات الانسان الأول، ومن واجبنا أن نفخر بهم لأننا أحفادهم.

ثانيا- عنونت أحد فصول كتابي **«الطائفية تطارد سلامة موسى»** وليس «سلامة يطارد الطائفية». فسلامة، وأسرته، وأبناء طائفته الدينية، بل وجميع أفراد وطنه، ماكانوا يستطيعون الفكاك من حقيقة أن سلامة كان قبطيا. وأن **الأقباط في مصر أقلية، لاتنال دائما حقوقها على الوجه الأكمل.** وقد عانى سلامة من ذلك، وعانت أسرته، في حياته، وبعدما مات وربما كانت هذه الحقيقة هي السبب الأول لما لاقاه في بعض حياته، ومالايزال يلاقيه بعد ٣٠ عاما من وفاته، من جحود ونكران.

ومع ذلك، فقد ظل سلامة على الدوام علمانيا ولم تتأثر أفكاره ولاكتاباته في يوم من الأيام بطائفيته بل تستطيع أن تقول أن طائفيته هي التي تأثرت بعلمانيته.

ثالثا- لم تقتصر عضوية جمعية الشبان المسيحية بالقاهرة في أي وقت من الأوقات- كما تفعل جمعيات أخرى- على المسيحيين. وكان فيها من الأعضاء غير المسيحيين أحيانا أكثر مما فيها من المسيحيين. **وأحاديث سلامة موسى في جمعية الشبان المسيحية لم تتناول «الدين» في يوم من الأيام، وكانت مواضيعها على الدوام «ثقافية».**

رابعا- إبتسمت ابتسامة عريضة حين قرأت ماروته الأستاذة فريدة، من أن الأشتراكية الانجليزية «رجعية». وقد ذكرت في كتابي «سلامة موسى.. أبي» أن سلامة كان ماديا، وعلميا، واشتراكيا، وماركسيا. ولكن كل هذه لم تكن عنده في يوم من الأيام «دوجما» مقدسة. لأن عقل سلامة لم يكن يقبل «الدوجمات» على اختلافها.

فحرية الفكر عنده ضرورية وغالية، مثل ضرورة وغلو الأشتراكية.

والديمقراطية عنده، كانت كما عند الفابيين الأنجليز، مرادف، ومقابل، وامتداد الاشتراكية وليس من الضروري أن تقف اشتراكيتنا عند كلمات لينين ومن تبعه. أو حتى عند تعاليم ماركس وانجلز ومن تبعهما.. ومن الخطأ أهمال التجارب الاشتراكية الأخرى في أنحاء العالم، وخصوصا في الغرب. أو القول أن الاشتراكية لا تتطور أو تتعدل.

خامسا- لم يتضح لي تماما- مع الأسف- ماقصده **عبد الله العروي** عندما تحدث عن التقنيين والبيروقراطيين وأهل الثقة. وأحب أن أكرر رأيي في **جمال عبد الناصر.** أنه لم يكن يعرف عندما أستولى على السلطة الطريق التي يجب أن يتوجه اليها. وأنه قد انتقل من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، والعكس. واضعا مختلف الأقنعة مرددا مختلف الشعارات ومضطهدا هذه المجموعة، ثم الأخرى، من أصحاب الرأي العارفين والمخلصين، وأن اكثر تصرفاته كانت ردود أفعال طفل غاضب تنبع من منجم فسيح من الأحقاد، والاغتصاب، والقمع لحقوق الآخرين.

سادسا- بقي انتقاد الدكتورة عفاف لسلامة موسى أنه قد أنجب- وهو صاحب الدعوة لتحديد النسل- ثمانية أطفال. والتعليل بسيط جدا. وقد أشار إليه سلامة قبل أن أكرره في كتابي. وهو أن زوجته قد أنجبت في البداية (وكان هذا في العشرينات) أربعة بنات متواليات. ثم انجبت ولدا ذكرا. ثم ثلاثة آخرين «عن غير قصد».

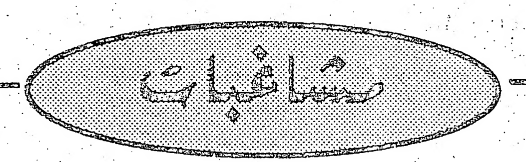
وأما عن «ظن الدكتورة عفاف أن سلامة قد فضل لهن الزواج على العمل، فالحقيقة أن سلامة لم يفضل لأحد منا شيئا من دون شئ آخر، وقد تركنا دائما أحرارا. وذكرت في كتابي «سلامة موسى.. أبي» أنني قد ظننت بعد ذلك أنه كان يجب أن يوجهنا ويتدخل في حياتنا بأكثر مما فعل. ولكن هكذا كان سلامة مع أفراد أسرته. وقد أشرت إلى اجتماع الأسرة الاسبوعي، الذي كان ينظمه لنا في بعض الأوقات حول مائدة الطعام، لتقرير أعمال الأسرة وتخصيص معاشاتها، والى أنه كان يظن أننا نصبح بهذا أكثر مسئولية.

وأضيف حادثة خطرت لي الآن أنني عندما نلت شهادة التوجيهية في عام ١٩٤٧، كان مجموعي يتيح لي دخول كلية علوم الاسكندرية. فصحبني سلامة لمقابلة صديقه وعميدها في ذلك الوقت الدكتور **حسين** فوزي. الذي طمأنه علي، ووعد بأن يتبناني عنه في كليته وفي حياتي بالأسكندرية. ولكنني لما عدت للقاهرة، فضلت دخول كلية الطب البيطري لأن أحد أصدقائي كان طالبا بها. ولم يكن لسلامة رأي آخر.

فسلامة لم يمنع، كما لم يشجع بناته على الزواج أو على مواصلة التعليم. وانما هو تركهن أحرارا الذي، ربما بأكثر مما يجب فلما أتممن دراساتهن الثانوية، آثرن الزواج على دخول الجامعة فتزوجن جميعا قبل أن يبلغن العشرين.


سلامة موسى

دولة المكفراتيه!



بمنتهى الاستهتار، دون أى إحساس بالمسئولية أو تقدير للعواقب، أو علم واف بالموضوع، أو إدراك لأن هناك تقاليد وقوانين لما يجوز نشره، خرجت علينا جريدة «الأهرام» - أقدم الصحف فى الشرق الأوسط وأوسع الصحف المصرية انتشارا- وفى صدر صفحة الرأى بها حكم بتكفير أستاذ جامعى هو **د. نصر حامد أبو زيد**.

بعبارات قاطعة لاتحتمل أى لبس فى الفهم، أو تأويل للنص، قال صاحب الفتوى، أن د. نصر **«أستاذ كافر بلاشك»** ، وأنه **«ملحد يعلن الحاده» وأنه «آثم مجنون لايجوز أن يبقى فى الجامعة» (الاهرام -١٢ ابريل - ص ٩).**

وصاحب هذا الحكم القاطع ليس من فقهاء المسلمين أو من أئمتهم ولاهو من المتخصصين فى شئون الدين، ولكنه وكيل مجلس الشورى، ورئيس اتحاد الكتاب الأستاذ ثروت أباظة، الذى لم يعرف عنه الناس إلا أنه من مؤلفى الروايات محدودة القيمة، ومن كتاب المقالات التى تمدح كل الذين عاصرهم من الحكام.

ولايتطلب الأمر ذكاء كبيرا، ليدرك الانسان أن الشيخ أباظة لم يقرأ النص الذى كتبه د. نصر، ولكنه اعتمد على تفسير **د. عبد الصبور شاهين** لذلك النص، وهو تفسير مغرض وشخصى، وينطلق من فكرة مسبقة، تعاملت مع أوهامه عن أفكار د. نصر ، وليس مع نصوص كتاباته التى كلف بفحصها. ومع أن الصورة النهائية لتقرير عبد الصبور تصف كلام د. نصر فى هذا الصدد، **بأنه «كلام خطير»** إلا أن الشيخ ثروت اندفع ليجزم بأن د. نصر «كافر بلاشك»!!

والنص «الخطير» الذى اقتنصه عبد الصبور- ليحوله أباظة إلى كفر بواح- هو قول د. نصر بأن الخليفة عثمان بن عفان قد ألغى التعدد فى قراءات القرآن واعتمد القراءة القرشية له، مما أعتبره أباظة تشكيكا فى صحة القرآن، مع أن الواقعة تاريخيا صحيحة، تحفل بها كل كتب السير والأخبار والتاريخ من **ابن هشام إلى ابن الجوزى ومن الطبرى الى السيوطى من طه حسين الى أحمد أمين** ، بل أن كل المصاحف التى يتداولها المسلمون منذ عصر النساخ إلى عصر المطبعة تنص صراحة في خاتمتها على أنها مصاحف على الرسم العثمانى، تنقل عن النص الذى اعتمده الخليفة عثمان بن عفان، وأمر باستنساخ ست نسخ منه وإرسالها الى الامصار، وحرق كل ماعداها من مصاحف وروايات!..

وقد آثار مافعله الخليفة الراشد كثيرا من الجدل فى حياته، وأنكره من أعلام الصحابه **عبد الله بن مسعود** ، واعتبره بدعه وضلاله، حتى قيل أنه أحل دم عثمان.. كما أثار جدلا واسعا بين المؤرخين ومفسرى القرآن مع اقرارهم بأن الفروق فى الروايات كانت فى الفاظ تحمل نفس المعنى، ووصفه طه حسين بأنه عمل فيه كثير من «الجراءة» ولكن فيه من النصح للملسمين أكثر مما فيه من «الجراءه» ونسبت أقوال عديدة، الى كثيرين من السابقين واللاحقين تنتقد مافعلة عثمان، وتنتقداستبعاده لفريق من الحفاظ كان على رأسهم **ابن مسعود** ، وتختلف حول تفسير دوافعه لذلك، وإن كانت تؤكد أنه حفظ على المسلمين دينهم، وحال دون الاختلاف حول قرآنهم.

وليس فى قول الدكتور نصر، بأن مافعله عثمان كان تعبيرا عن السيطرة القرشية ، تشكيكا فى القرآن الكريم ولكنه تفسير لاعتماد عثمان لقراءتهم دون غيرها، وهو تفسير يحتمل الخطأ والصواب، ويدخل فى إطار الجدل الذى مايزال سائدا منذ ١٥ قرنا، حول مدى صواب مافعله عثمان، ولو اعتبرنا رأيا مثل هذا كفرا، لحكمنا بكفر مئات من هؤلاء العلماء، ولجاز لنا أن نلغى فرعا كاملا من فروع الدراسات القرآنية ، هو **«دراسة الناسخ والمنسوخ»** التى حكم الأئمة - طبقا لما يقوله الامام السيوطى- بأنه لايجوز لأحد أن يفسر القرآن، أو يدعى العلم بأحكامه دون علم كاف بالناسخ والمنسوخ منه.

واقتناص واقعة تاريخية شائعة بهذا الشكل ، وتفسير لها يحتمل الخطأ والصواب، للاندفاع لاعلان حكم بالكفر والالحاد، يصدر عن غير ذى صفه ، وينشر فى صحيفة سيارة وشبه رسمية، يقرأها كثيرون من العوام الذين لايصبرون على فهم المسائل المختلف عليها وبقلم رجل يتولى منصبا يعطى لأقواله- التى لاتخرج عن أقوال العوام رغم لغتها المهجوره - ثقلا أكثر من وزنها ووزنه وينقل الموضوع من باب الافتاء بغير علم، الى باب التحريض الصريح والعلنى على القتل، والدعوة الجهرية لاهدار الدم وهى من الجرائم التى يعاقب عليها القانون العام وقانو ن الارهاب- الذى كان الشيخ أباظة من أكبر المتحمسين لاصداره- بالاعدام شنقا.. ولايكافئ عليها بمنصب وكيل مجلس الشورى..!

أما وقد أصدر الشيخ ثروت أباظة هذا الحكم القاطع بقتل د. نصر ، فليس من حق أحد فى هذا النظام، أن يقول لنا أنه ضد الارهاب، أو أن يدعى أن التطرف هو الأب الشرعى لهذا الارهاب، طالما أنهم يضعون فى واحد من أكبر مراكز الدولة، وفى منصب وكيل مجلس الشورى، وفى موقع رئاسة أحدى مؤسسات المجتمع المدنى- وهو اتحاد الكتاب- أميرا من أمراء الارهاب، ويحولون أقدم جريدة فى الشرق الأوسط الى لسان حال جماعة التكفير والهجرة وإهدار دماء المسلمين المجتهدين فى شئون دينهم..

رحم الله الشيخ **شكرى مصطفى** أمير جماعة التكفير والهجرة، الذى تسرعت دولة المكفراتيه فأعدمته ، إذ لو كان حيا إلى اليوم، لعينته وكيلا لمجلس الشورى ورئيسا لاتحاد الكتاب وكاتبا بصوره واشارة فى الصفحة الأولى بجريدة الأهرام التى يرأس تحريرها -بالمصادفة- نقيب الصحفيين!

صلاح عيسى